جميل عيّاد الوحيدي
في التراث والأنساب
نظرات في تاريخ عشيرة الوحيدات

في التراث والانساب

نظـــــرات
في تاريخ عشيرة
الوحيـــدات

جميل عياد الوحيدي

رقم الإجازة ١٢٠/٣/١٩٨٦
رقم الإيداع ١٣١/٣/١٩٨٦

إهــــداء

إلى والديّ اللذين أرضعاني لبان حب عشيرتي ووطني.. منذ نعومة أظافري..

وإلى صالحي هذه العشيرة، وصالحي المؤمنين، والشهداء والصديقين..

أهدي

كتابي

هذا



والد المؤلف

توطئـــــة

أللهم إني أعلم علم اليقين، أن ليس أقصر من باعي في التأليف باع، وأن لا عهد لي فيه من بعيد أو قريب، الا ما كان مني، من مقالات أدبية مختلفة، حررتها على فترات غير مؤتلفة، أو قصائد شعرية، أو مقطوعات نظمتها في عهود متباعدات أو متقاربات.

وأعلم أن التأليف مركب صعب، لا يمتطي صهوته الا الفارس الضرب.. وانه بحر خضم، لا يقوى على خوض لجحه، الا من كان ذا مضاء وعزم.. ولكن ماذا أصنع، وهذا الأمر، طالما راود مخيلتي، وألحّ علي، وداعب أفكاري، وغازل آرائي، وزين سهولته لهمتي الضعيفة الكَليلة، وأوهنه أمام حيلتي القليلة، حتى ملك علي أمري، وشغلني عن كل أمر سواه أو كاد، فشمرت عن ساعد الجد والاجتهاد، وقلت على الله التوكّل والإعتماد، فهو ولي الذين آمنوا وهو رب العباد، وهو المستعان سبحانه، وانه نعم المولى ونعم النصير.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحمد لله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، والصلاة والسلام على نبي الرحمة الذي لا نبي بعده.

أما بعد ،

فعندما راودتني فكرة الكتابة عن تاريخ عشيرتي ـ الوحيدات ـ وضعت نصب عيني، أموراً كثيرة، منها :

١ ـ أَنّ هذا الأمر، عزيز المنال، صعب المرتقى، عسير المبتغى، وعر المسالك، شائك ومتشابك، تختلف فيه الآراء وتأتلف، وتتباعد فيه الأفكار وتقترب، وتقوى فيه الرّوايات وتضطرب، تقل مصادره، وتزداد محاذره، تندر رواته، وتضؤل مادته، فمهما بذلت من جهد، وأوريت من زند، فلا استطيع أن أزعم لنفسي، أنني قلت فأوفيت، وكتبت فأشفيت، فسلمت من الزلل، وعصمت نفسي من الخطل، غير أنني لا أشك مطلقاً، أنني في هذه الدراسة المتواضعة، قد وضعت لمن خلفي اشارات مضيئة، وصفحات وضيئة، تنير سبيل من أراد أن يخوض غمار هذه الدراسة، تحليلاً وتعليلاً، وحذفاً وإضافة، وتدقيقاً وتحقيقاً، بما يمكن أن يتيسر لهم من مصادر جديدة، وأبحاث جديدة مفيدة، غير هذه التي عثرت عليها، أو سمعت بها، فقد اعتمدت في دراستي هذه على ما توافر لدي من مصادر، وما توفر لي من روايات ومراجع، وما سمعت وشاهدت، من آثار وأطلال. . أما الكتب، فعهدتها على رواتها، وأما الروايات، فهي دون أدنى ريب، تضطرب أحياناً، وتندّ إلى المبالغة أحياناً، وتصيب كبد الحقيقة أحياناً أخرى، والآثار والأطلال، لا تبل الأوام، ولا تروي من غلّة، أو تشفي من علّة، بيد أن هذه وتلك، هي بمثابة اللبنات الأولى، التي أقمت عليها صرح هذا البناء، الذي أحسبه سامقاً شامخاً، والذي يكفيني منه، أنني الباني الأول له وحسب، كما أزعم لنفسي، والذي آمل أن يسد فراغاً في المكتبة العربية، وأن يكون فيه بعض المتعة، لقارئي العربية. .

٢ ـ لا أضيف جديداً إذا قلت أن أي عمل لا تتوّجُهُ أهداف شريفة، وغايات نبيلة، فهو عمل مشوب بالرياء، ممزوج بالنفاق، وهو خداج، وهو رد، وهو شؤم لصاحبه يوم الدين، وصدق الله العظيم اذ يقول: (وقل آعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون).

من هنا يتضح لي حسب اجتهادي، بأن هذا العمل، بعيد كل البعد، عن أبواب الرياء

ومواطن الشبهة، ولعل القارىء الكريم، يبرئني من هذه المظنة. وأما النفاق، فأنا لا أكتب لسلطان، ولا لذي جاه ولا لنفع مادي أو معنوي علم الله. كل ما أبتغيه من عملي هذا، هو أنني نظرت، فرأيت هذه العشيرة، مثل لوحة فسيفساء جميلة، مختلفة الألوان، متباعدة في المكان والزمان، متناثرة كحبّات عقد انفرطت، فتشتت شملها فوق كل تراب.. فأنت تسمع أن هذه العشيرة، تتواجد في أماكن كثيرة من فلسطين، وأنت تسمع أنها تتواجد في السعودية وفي مصر وسوريا، وفي بلاد المغرب العربي الكبير، وفي الأندلس.. وفي الصّومال وحتى في إيران، فلها فيها وجود أيضاً.

من هنا، وجب لمّ شتات هذه العشيرة، ولو على ورق أبيض، محاصر بين دفتي كتاب، لا سيما وأن الحديث عن هذه العشيرة، يعلو على كل حديث، عندما يكون هناك لقاء لأبناء العشيرة، وما أكثر ما تكون اللقاءات بينهم! وما أكثر المناسبات التي تجمعهم! والكل يتساءل عن الأصول والجذور والفروع، وعن الموطن الأول وعن.. وعن... الخ.

٣ ـ لهذه العشيرة كما لغيرها، تراث شعبي، في مجالات شتى، وحتى لا يندثر هذا التراث أو يضيع، تحت أي سبب، فقد رأيت أن تدوينه وتسجيله، هو من جملة الواجبات..

٤ ـ وقد الهب حماسي، وأورى زناد فكري، ما وجدته من تشجيع الأقارب لا سيما شقيقي أحمد، الذي أمدني بكثير من المصادر النافعة، التي تفتقر اليها مكتبتي، وتحتاجها مادة كتابي هذا.

٥ ـ فإذا كان التوفيق حليفي، فبها ونعمت، والا، فهو جهد المقل، ومن سار على الدرب وصل..

ورحم الله امرءاً اهدى الينا عيوبنا، فقلوبنا مفتوحة، لكل نقد جريء بناء، أو اقتراح مجد مفيد، أو استدراك نافع، والله الموفق، وإياه نعبد، وبه نستعين. والحمد لله رب العالمين.

جميل عياد الوحيدي

٤ جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ

١٤ كانون الثاني ١٩٨٦ م

شكر وتقدير

عندما قدمت كتابي هذا قبل طباعته، للأستاذ جمعة حماد، الأديب المعروف، والصحفي المشهور، ليقرأه.. لم يتردد ولم يعتذر، رغم مشاغله الكثيرة، وهمومه الكبيرة، فقرأه قراءة سريعة، كما نوه بذلك في رسالته الرقيقة، التي يقول فيها «أشكرك جدا ـ يا أخي ـ أن عذرتني عن القيام بالواجب، الذي طلبته مني كاملاً، لما تعرف من مشاغلي، واعتذر لك عن هذا التأخير الطويل ـ ويعني التأخير في إعادة الكتاب الي ـ الذي هو كما تعرف، بسبب أخْلاط المشاكل والواجبات، التي تأخذ وما زالت تأخذ بخناقي، وتملك علي عقلي..

لقد طالعت وبصورة مستعجلة، هذا المخطوط، وقدرت الجهد الذي وضع فيه، والدافع النبيل الذي يحركه، لكي تحفظ بعض تراثنا للأجيال القادمة».

ويشير في رسالته، إلى بعض الملاحظات، فيقول: في ملاحظة أولى «لم تقع حرب شعواء بين الترابين والعزازمة ـ كما ذكرت في كتابي، نقلاً عن كتاب عارف العارف ـ تاريخ بئر السبع وقبائلها ـ وإنما كان بينهم نزاع على الحدود وحسب..» ومعلوم أن جمعة حماد، هو ابن أحد شيوخ عشائر الترابين المعروفين..

ويقول في ملاحظة ثانية «كنت أفضل أن لا تعمد إلى الشتائم، حين ذكر الأعداء، وإلا صدق علينا مثلنا القديم: أوسعتهم شتماً، وأودوا بالإبل» ومع تقديري الشديد لهذه الملاحظة، إلا أنني اعتقد، أن اليهود يستحقون أكثر من الشتائم والسباب.. وإلا لما لعنهم الله في محكم كتابه، وغضب عليهم، في أكثر من موضع.. ومعلوم أن لعنة الله ـ وقانا الله جميعاً منها ـ أمرّ وأقسى، وأشدّ وأنكى، من الشتائم والسباب..

وفي ملاحظة ثالثة يقول «أفضل أن لا تدخل في التاريخ» وقد ذكرت سبب دخولي في التاريخ في موضعه.

إن تقدير صديقي جمعة حماد، لجهدي الذي وضعته في هذا الكتاب، وتشجيعه لي على تقديمه للمطبعة.. أوجب علي، ازجاء تقديري العميق له، وتقديم شكري الجزيل اليه..

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم : الدكتور عمر عبدالرحمن الساريسي

ورد في التنزيل العزيز قول الله تعالى (**ولو انا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم**) وفي كتب التفاسير أن بعض صحابة رسول الله، رضوان الله عليهم، قالوا: لو أمرنا لفعلنا، وأنه ﷺ قال بعدها «لو أن الله كتب هذا لكان هذا، وأشار بيده الى عبدالله بن رواحة، من أولئك القليل» أي من الذين يقدمون على قتل النفس، في طاعة الله تعالى.

ويلاحظ الجاحظ في موضع من البيان والتبيين، أن في هذه الآية الكريمة ما يساوي بين هاتين القيمتين، قتل النفس والخروج من الأوطان، فهجر الأوطان خطيئة كبيرة، يرتكبها الفاعلون بحق أنفسهم، قد تصل إلى حد إزهاق أرواحهم بأيديهم، وهذا ما يغلي ويرتفع بالتعلق بالمكان، حيث المولد والمنشأ والمتربى. وهي مع ذلك كله، لا تخرج عن طوع الإرادة الإلهية في حالتي البقاء في مسقط الرأس والإبقاء على الحياة.

أما اخراج الآخرين للمرء من وطنه، فذلك أشد على النفس وأنكى، وليس أدل على ذلك، من أن الرسول عليه السلام، حينما تنبأ له ورقة بن نوفل عند البعثة، بأن قومه سوف يضعون في طريقه موانع ومعوّقات، وأنهم سوف يخرجونه من بلده، حينئذٍ قال «أومخرجيّ هم؟» استفظاعاً لما سمع، وكأنه لم يكن يستطيع أن تصل بهم الأمور إلى هذا الحد العجيب. ولقد حفلت بتسجيل هذه الظاهرة البينة في النفس البشرية دواوين الشعر منذ عهودها الأولى ـ وكل نفس تحب محياها ـ كما يقول المتنبي. فهذا شاعر يذكر المكان الذي فيه رأى النور فيقول:

بلاد بها نيطت عليّ تمائمي ... وأول أرض مسّ جلدي ترابها

وهذا آخر يعرض لأسباب تعلق المرء بأرضه:

وحبب أوطان الرجال اليهم ... مآرب قضاها الشباب هنالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكـرتهمو ... عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

إنه الحنين إذن، إلى المرابع التي درج فيها الرجال إذا ما تذكروا عهود الصبا فيها، حتى إذا ما وصلنا إلى اخراج بل تشريد الشعب الفلسطيني من أرضه كان الحنين لوناً أصيلاً من ألوان التشتيت بهذا الوطن ومقاومة الإغتراب الأبدي عنه، وهو الذي يدفع المبعدين للعمل على العودة تثبيت الصورة الجغرافية والثقافية للوطن السليب، إزاء ما يتعرض له يومياً من التحويل والتغيير والعدوان، على الأرض وعلى الناس، وأخيراً على

الأزياء الشعبية والمأثورات الشعبية، فكم من ثوب بنقوش محلية فلسطينية عرض في أوروبا على أنه أعمال اسرائيلية.

ومن هذا الباب، يطلع علينا السيد جميل الوحيدي، بهذه المقالات التي أطلق عليها إسم ـ التراث والأنْساب ـ وكان وكده فيها أن يثبت للناس الصورة التاريخية الجغرافية لعشائر الوحيدي، التي تضرب في القدم، في أنحاء مختلفة من بلاد المشرق العربي الإسلامي. . أنه تتبع نسب هذه القبيلة، حتى أيامنا التي نعيشها اليوم، ورقى بها إلى أصولها القديمة التي تضرب مع نسب رسول الله ﷺ، بعرق، وهذا أمر ذو دلالة معبّرة على هوية هذه السلالة، وانتشارها، على رقعة واسعة من هذه البلاد. ومن يدري! فلعلها تكون أساساً لدراسات موسعة في علم الإنثروبولوجيا وفي علم الإنسان الفلسطيني وتاريخه الثقافي على هذه الأرض المقدسة!

وقد سبق أن دارت أبحاث موسعة من هذا القبيل عن جميع المناحي الشعبية، في عدة قرى من فلسطين، كترمس عيّا وعجّور وغيرهما، كما يذكر في هذا الصدد كتاب المؤرخ الثبت مصطفى مراد الدباغ عن السلالات البشرية وانتشاراتها في فلسطين.

ذلك هو سر هذه المقالات والخيط الذي نسلكها جميعاً. ولقد نشأت حول هذه العشيرة وفروعها، التي تتخذ من أماكن متباعدة في السعودية وفي الأردن وفي فلسطين وفي سوريا مواطن لها، ونشأ حولها تساؤلات جمة عن الأصول وعن الفروع، ولقد عملت هذه الصفحات أن تكون هي الإجابة الشافية.

أما سائر هذه المقالات، فقد يمكن أن نرى أنها تدور حول محورين آخرين، يبدوان لأول وهلة، بعيدين عن إطار العشيرة، وهما في الحقيقة، يرفدانها ويصبان في قناتها.

أما الأول، ففيما يتصل بأخبار القضية الفلسطينية التي هي في متناول الرجل الفلسطيني العادي، الذي أسهم في بعض أحداث القضية بسبب، والمثقف الذي قضى شطراً طيباً من عمره في التربية والتعليم، مديراً في بعض مدارس وكالة الغوث في الضفة الغربية والضفة الشرقية في فلسطين والأردن.

ولئن لم تكن هذه الصفحات بحثاً تاريخياً دقيقاً مسئولاً، فإنها تستمد قيمتها من أن كاتبها، لم يكن متفرجاً من الخارج على الأحداث، بل أنه عاشها فعلاً وابتلى بنيرانها، وكان واحداً من ضحاياها وجرحى حروبها وأسرى بلاياها. إنها على الأقل تاريخ شعبي من باطن المنطقة التي تدور حولها الدراسة، وهو بعد، واحد من هذه العشيرة التي صمدت وناضلت في سبيل البقاء في بئر السبع وفي أنحائها.

أما الثاني، فهو المأثورات الشعبية التي جمعها من الحياة الشعبية لهذه العشيرة، في

مرابعها ومرابطها في فلسطين، لقد جمع لنا مجموعة طيبة من الأغاني الشعبية، التي ارتفعت بها حلوق الناس هناك، في أفراح القبيلة ومناسباتها الطيبة، ولقد أجاد الأخ الباحث في ألوان هذه الأغاني الشعبية ووظائفها المعبّرة في العمل في انتشال الماء من الآبار أو مع الراقص أمام السامر ـ الحاشي ـ أو مع غيره، وفيها مجموعة طيبة من الأمثال التي جمعها من هذه المنطقة والحكايات. . إن هذه المأثورات عن الأجداد والموروثات للأحفاد، إذا جمعت ودونت وأذيعت على الناس في الكتب هويّات تاريخية لهذه العشيرة في مواطنها الأصلية، إنها حفريات تأبى أن تموت كما قالوا عن غيرها من الأعمال الشعبية.

ومن هذه المأثورات ومن عرض ما قدمته العشيرة في الجهاد في سبيل الله في الصمود في فلسطين، من وجهة نظر أحد ابنائها الصادقين الغيارى، ومن تتبع نسبها في الحديث وفي القديم، ومن الحديث عن مواطنها في غزة وبئر السبع وغيرهما من بلادنا الحبيبة، من كل هذه الأعمال ذات الغاية النبيلة، والسعي الحثيث، فيها جميعاً تتكون القيمة المتميزة لهذه الصفحات من البحث الذي كان من بعد العشيرة ومن قبلها يبحث عن الفوز برضى الله الذي قال في كتابه العزيز (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) صدق الله العظيم. وإذا تقابلت رغبات وأبحاث بإزاء أمر الله، فإنها جميعاً تسخر له، منه تبدأ واليه تنتهي. فهو وحده المعين والميسّر لما خلقنا له، وندبنا لفعله.





غزة

غزة

بفتح أوله وتشديد ثانيه وفتحه ـ مدينة عربية كنعانية في أقصى بلاد الشام على ساحل البحر الأبيض المتوسط من ناحية مصر، وغزّ فلان بفلان واغتزّ[1] إذا اختصّه من بين أصحابه، والعامة تقول: غزه بالإبرة أي وخزه بها.

وفي غزة مات هاشم بن عبد مناف، جد رسول الله ﷺ، وبها قبره، ولذلك يقال لها: غزة هاشم..

وممن ذكرها قديماً من الشعراء: أبو ذؤيب الهذلي، في هذه الأبيات:

فما فضلةٌ من أذرعات هوت بها	مذكرة عنس كهازئة الضحل
سلافة راح ضمنتها إداوة	مقيرة ردف لمؤخرة الرحل
تزوّدها من أهل بصرى وغزة	على جرة مرفوعة الذيل والكفل
بأطيب من فيها اذا جئت طارقاً	ولم يتبين صادق الأفق المجلي

(١) قاموس المعجم الوسيط

وإلى غزه هذه، ينسب أبو عبدالله محمد بن عمر بن الجراح الغزي، كما ينسب اليها ابراهيم بن عثمان الأشهبي الشاعر الغزي.

على أن الأهم من هذا كله، أن سيدنا الشافعي محمد بن إدريس القرشي قد ولد فيها عام ١٥٠ مائة وخمسين للهجرة الموافق ٧٦٧ للميلاد، حيث كان والده إدريس قد أتى الى غزة، واتخذها مقراً له ومات فيها.. ويعتبر الشافعي بحق أعظم فلسطيني بعد الإسلام، وقد انتقل الشافعي طفلاً إلى الحجاز، فأقام بها، وتلقى العلم هناك، ويروى له قوله فيها:

وإني لمشتـاق إلى أرض غـزة وإن خانني بعد التفرق كتماني
سقى الله أرضاً لو ظفرت بتربها كحلت به من شدة الشوق أجفاني

وهذان البيتان، كما يرى القارىء، يذوبان رقة وعذوبة، ويقطران أسىً ولوعة، قالهما الشافعي، ـ رضي الله عنه ـ شوقاً وتوقاً إلى موطنه غزة.. فما أمرّ الفراق، وما أصعبه على النفس! فالشافعي هنا يتمنّى لو أنه عاد إلى موطنه الأول، إذن، لكحل عينيه بذرات ترابه الطهور، فيا للأوطان ما أغلاها! ويا للفرقة ما أقساها!!

ومما يذكر أن قريشاً كانت تقصد غزة للتجارة في شهور الصيف، فهي لذلك، إحدى الرحلتين اللتين ذكرهما القرآن الكريم (رحلة الشتاء والصيف).

وقال ابن خلدون: غزة من مواطن قبيلة جرم..

وكانت غزة قديماً، قد خضعت لحكم دول كثيرة، فقد احتلها سرجون الثاني عام ٧٢٠ ق.م والاسكندر المقدوني عام ٣٣٢ ق.م كما احتلها الرومان أيضاً ثم افتتحها المسلمون وطهروها من حكم الرومان، وقصة فاتحها القائد الإسلامي الشهير عمرو بن العاص مع آخر حاكم روماني فيها مشهورة... وإخيراً احتلتها العصابات الصهيونية عام ١٩٦٧ للميلاد وهي للآن أسيرة مكبلة بقيود القهر والإغتصاب الصهيوني، شأنها في ذلك شأن القدس الشريف وسائر ثرى فلسطين الطهور.

وقد كان في غزة في أواخر حكم المصريين عام ١٨٤٠ للميلاد[1] ٢٠٠٠ نسمة وفي أواخر القرن الماضي بلغوا ١٨,٠٠٠ شخص وفي عام ١٩٠٦م ذكر بأنهم ٤٠,٠٠٠ نسمة بينهم ٧٥٠ مسيحياً وثلاثة من اليهود.. وفي عام ١٩١٢ يقدر عددهم ٤٠,٠٠٠ شخص بينهم ١١٠٠ مسيحي و ١٥٠ يهودياً.. وقبيل الحرب العالمية الأولى قدر عددهم بـ ٤٢,٠٠٠ نسمة وإبان هذه الحرب اضطر سكانها لهجرها والالتجاء

(١) بلادنا فلسطين ج١ القسم الثاني لمصطفى الدباغ

لمختلف بلاد الشام، فنقص عددهم وأمسوا في احصاء عام ١٩٢٢م ٢١,٦٤٣ نفساً موزعون كما يلي[1]:

	ذكــور	إنـــاث	المجمــوع
المسلمون	١٠٤٢١	١٠٤٩٦	٢٠٩١٧
المسيحيون	٣٤٤	٣٨١	٧٢٥
اليهود	١	-	١
المجموع	١٠٧٦٦	١٠٨٧٧	٢١٦٤٣

وفي ١/٤/١٩٤٥م قدروا بـ ٣٤١٧٠ عربياً منهم ١٠١٠ من المسيحيين والباقي مسلمون.

وفي ٣١/١٢/١٩٤٦م قدروا بـ ٣٧٨٢٠ نسمة جميعهم مسلمون.

وفي آخر عام ١٩٦٣م بعد النكبة قدر عدد سكان غزة بـ ١٠٧٩٥٢ نسمة. أ. هـ.

اما لماذا هذا الموجز لتاريخ غزة، فما ذلك إلا لأنها كانت سوقاً للبدو قبل ولادة مدينتهم الغالية (السبع) وليس تأسياً بأساليب أحد كما قد يتوهم البعض أو يتبادر الى اذهانهم..

أجل كانت غزة سوقاً للبدو، فيها يشترون ويبيعون، وفيها يلتقون، وتُنْمِيٍ اليهم أخبار الغزوات، أو الاستعداد للحروب فيما بينهم، ففي غزة تسربت أنباء استعداد الوحيدي لنصرة حلفائه في واقعة (صبيحة) التي سنذكر وقائعها باقتضاب فيما بعد..

وفي غزة كانت تتم عمليات الثأر والانتقام، وتحضرني هنا الحادثة التالية، فلا أرى أية غضاضة في هذه الآونة من ذكرها للقارىء فلعل فيها ما يؤيد ما ذهبت اليه..

يزعمون أن أحد رجالات بني عطية، إحدى عشائر قبيلة التياها في منطقة بئر السبع وكان من سادتهم وكبرائهم، التقى ذات يوم بأحد أبناء عشيرة الثوابتة وهي من قبيلة الجبارات، وعيَّره ببهتان افترته أخته.. فاستشاط ابن ثابت غضباً، وتميز غيظاً، فإن قذف المحصنات عند البدو من أعظم الكبائر ومن أشدها وقعاً ومضاضة على

---

(١) بلادنا فلسطين ج١ القسم الثاني لمصطفى الدباغ

النفس.. لما يلحق بصاحبها من عار، يسجّل عليه أبد الدهر.. ولهذا فقد كظم غيظه، وكتم ألمه، ريثما يتأكد بنفسه من هذه الفرية العظيمة حتى إذا ما تم له ذلك، وأيقن بما لا يدع مجالاً للشك، إن عرضه وافر لم يُكْلَم، أخذ يتحيّن الفرص ويقتنصها.. حتى اذا ما التقيا في سوق غزةٍ وجهاً لوجه، صرخ به قائلاً: «خُذْها» جزاء قذفك المحصنات بالإثم، فأرداه قتيلاً، بطلقات نارية من «طبنجته» وتناقل الناس هذه القصة، وشاعت بين العربان، وانتشرت انتشار النار في الهشيم.. وفي هذه القصة يقول شاعرهم الشعبي:

أمـا آسْـوَاةْ ابـنْ ثـابـتْ في الملكْ ما حد سـوّاهـا
حتى الطبنجةْ امْ سبع ارواحْ في قـلـب التـيهـي عبّـاهـا

وهنا بدأ التياها بالاستعداد لأخذ الثأر، ورفع العار، ولكن ابن ثابت كان معتمداً على الوحيدي، قبل تنفيذ عملية الانتقام لأخته المفترى عليها، إذ التجأ الى عشيرة الوحيدي، وقبلوا جواره ـ جيرته ـ حتى أن شيخهم، أخذته الحمية، فقال مرتجلاً:

ولـدْ يـا نـاقـل الـعـودْ وحـدكْ، ولا لكْ مشـاركْ
الـعمـرْ لـهْ يـومْ محـدودْ طـيـح المنـايـا أو عـاركْ

والعود هنا الرمح، وقال بعضهم، ان هذا الشيخ بعد ذلك، هز الرمح بيده، وكان أيداً قوياً، فكسره نصفين.. وخلاصة القول: أن الوحيدي حمى مستجيره وخلصه من براثن خصمه.. والله أعلم.. وبقيت غزة، محافظة على مركزها الهام إلى أن ظهرت بئر السبع إلى حيّز الوجود، فجذبت اليها معظم القبائل، بعد أن وفرت لها كل ما تحتاجه أو تفتقر اليه..

وفي غزة يقول الحديث الشريف: «أبشركم بالعروسين غزة وعسقلان» أو كما قال..



بئر السبع عام ١٩٣٣ م

بئر السبع

تقع هذه المدينة الجميلة جنوب فلسطين، بين بيت المقدس والكرك، ويبلغ عدد سكانها قبل احتلال اليهود لها عام ١٩٤٨ ستة آلاف وسبعمائة نسمة تقريباً. وفي كتاب الدباغ الجزء الأول نقرأ ما يلي: قدر عدد سكانه ـ السبع ـ في عام ١٩٢٢ بـ ٧٥٢٥٤ نسمة منهم ٧٤,٩١٠ من المسلمين و ٢٣٥ من المسيحيين و ٩٨ يهودياً و ١١ درزياً وفي احصاء عام ١٩٣١م كانوا (٥١,٠٨٢) نسمة بينهم ٤٧,٩٨١ من البدو وجميعهم مسلمون والباقي ٣,١٠١ من الحضر، موزعون كما يلي :

مسلمون	٢٩٢٦
مسيحيون	١٥٣
يهود	١٧
بهائيون	٥

وفي أواخر الحكم البريطاني الظالم، بلغ عدد ساكني قضاء بئر السبع ما يقرب من مائة الف نسمة بينهم ٩١,٩٣٤ بدوياً ا.هـ

وأما مساحتها فتبلغ نيفاً وأحَد عشر مليوناً من الدونمات وهي بذلك تقترب في مساحتها من نصف مساحة فلسطين، وهذه المساحة تشمل أراضي قبائلها المحيطة بها إحاطة السوار بالمعصم.

إن الحديث عن هذه المدينة، ليس بالأمر اليسير الهين، فالمصادر التي تتحدث عنها قليلة ومن جملة من ذكرها: إبن الأثير في كتابه الكامل، حيث أفاد أن سيدنا ابراهيم عليه السلام كان قد حل بها بعد عودته من مصر، واتخذ بها مسجداً له وبئراً، وكانت آنذاك آهلة بسكانها العرب.. وقد ورد اسمها في بعض المصادر، نذكر منها:

١ - ينسب[1] بناؤها الى ابراهيم الخليل عليه السلام في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ودعيت بذلك نسبة الى البئر التي حفرها عليه السلام حينما كان يجوب بقطعانه وماشيته هذه الديار ويظهر أنه حدث خصام على مياه البئر بين رعاته ورعاة أبي مالك زعيم المنطقة مما أضطر ابراهيم لأن يقدم لهذا سبع نعاج تعويضاً له وشهادة على حفره البئر، فنسبت البئر الى هذه النعاج السبع.

٢ - يقول بعض المؤرخين[2] أن الأصل في تسمية مدينة بئر السبع بهذا الأسم يعود إلى وجود الأبار السبع التي حفرت إرضاءً للآلهة الرئيسة الكنعانية السبعة وذلك في الألف الرابع قبل الميلاد.

٣ - ويقول آخرون: إن سبب التسمية، هو وجود السباع الكثيرة فيها في عهد الكنعانيين، والتي كانت ترد آبار المدينة.

٤ - ذكر ابن الإعرابي في معجم البلدان للحموي، ان السبع، هو الموضع الذي يكون فيه الحشر يوم القيامة ومنه الحديث: ان ذئباً اختطف شاة من غنم فانتزعها الراعي منه، فقال الذئب: من لها يوم السبع؟ وقد روي في تأويل هذا الحديث غير هذا، ليس ذا موضعه، وقال أبوعمر: اتت سليمان بن عبدالملك الخلافة وهو بالسبع - بفتح الباء.

٥ - جاء في تاريخ الطبري وكتاب معجم ما استعجم ان اسمها: السبع.

٦ - وجاء في خطط المقريزي أن أرض مدين قد خربت وباد أهلها الا من بئر السبع هذه وبعض مدن أخرى.

٧ - قال بعضهم أن اسمها بئر السبع، لأن فيها سبع آبار.

٨ - والسبع أيضاً، قرية بين الرقة ورأس عين على الخابور.

---

(١) مجلة الأمة القطرية العدد السابع والأربعون.

(٢) نفس المصدر

ومن الطريف أن السبع كثيراً ما كانت تتردّد على السنة الناس خاصة الشعراء الشعبيين، وهناك قول مشهور لهم لحبهم لها وهو :

عمـــــرك ما طبّيــت السبــع ولا قــلّبـــت أراضيّـــــه!!

ومهما يكن من أمر، فقد أجمعت الآراء على اسمها الحالي «بئر السبع» وإن كانت قبائلها تطلق عليها السبع، تخفيفاً، وربما لسلاسة اللفظ وعذوبته، وخفته على الألسن ورقته..

كانت السبع قديماً من الأهمية بمكان، حيث كانت واقعة على مفترق طرق تجارية كثيرة، وفضلاً عن أهميتها التجارية القديمة، فهي بلد زراعي، ينتج الشعير والحنطة والأرز والبطيخ والسمسم والعدس والكرسنة، وغيرها.

ويروى أن من جملة من سكنها قبيلتا مدين وشعيب، كما سكنها أيضاً فيما بعد، القائد الإسلامي المشهور عمرو بن العاص، وكان قد اتخذ له فيها مقراً، كما كان له فيها قصر يسمى العجلان، وبقي فيها الى حين استشهاد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويقال أن ابنه عبدالله توفي في هذه المدينة ودفن فيها..

وبعد احتلال الأتراك للعالم الإسلامي، ومنه سوريا الجنوبية ـ فلسطين ـ كانت القبائل تابعة ادارياً لغزة، وفي عام ١٣١٩ للهجرة الموافق ١٩٠٠ للميلاد رأى الأتراك بصائب نظرتهم، وثاقب فكرتهم، فصل هذه القبائل عن غزة، فصلاً تاماً، لا سيما بعد أن اشتد أوار الحرب بين قبيلتي العزازمة والترابين، فتم لهم ذلك، وانشأوا قضاءً إدارياً جديدا، هو قضاء بئر السبع واتخذوا من موقع المدينة مقراً لهذا القضاء الجديد، وقد أحسن الأتراك هذا الاختيار، لتوسط هذا الموقع بين القبائل الكبيرة «إذ هو على الحد بين العزازمة من الجنوب والتياها من الشرق والترابين من الغرب.»[١]

ولما أن نشبت الحرب العالمية الأولى اظفارها، وبدأ يشتد أوارها، عام ١٩١٤م وأعلن الأتراك النفير العام، اتخذوا السبع مركزاً حربياً هاماً للحملة التي وجهوها الى قناة السويس، لملاقاة الإنجليز هناك.. وبقيت على أهميتها إلى أن احتلها الإنجليز عام ١٩١٧م واثناء ذلك استنفر الأتراك العربان، وحثوهم على التطوع، فأقبلوا عليه مسرعين، ليقينهم أنهم ذاهبون لملاقاة عدو كافر، ومعنى ذلك أنهم يطلبون إحدى الحسنيين : النصر أو الشهادة، فتطوع منهم خلق كثير، بين فارس وهجان، وتوجهوا جميعاً الى مصر لافتتاحها، واطلقوا على هذه الحملة إسم «حرب الترعة» أو جردة القناة، ثم أصبح إسمها فيما بعد «الجردة».

وقد انتظم المتطوعون البدو، في فرق أربع، يقال أن عددها بلغ أربعة آلاف

---

(١) تاريخ بئر السبع وقبائلها لعارف العارف.

مقاتل، وقد قادها شيوخ من كل قبيلة نذكر منهم عرار الوحيدي عن قبيلة الترابين، وسعود حسين الوحيدي عن الجبارات ويرافقه أحمد حسين الوحيدي وابراهيم حسن الوحيدي، وحرب الدقس ونمر أبي العدوس..[1].

أما في عهد الإنتداب البريطاني البغيض، عهد وعد بلفور، فقد مر أن الإنجليز احتلوا المدينة عام ١٩١٧م وبقيت تحت حكمهم حتى اليوم الرابع عشر من شهر أيار عام الف وتسعمائة وثمانية وأربعين للميلاد. ففي هذا التاريخ، تم في حفل بهيج، انزال العلم البريطاني، ورفع العلم العربي مكانه، وكان الذي رفع العلم العربي هو رئيس بلديتها آنذاك ـ شفيق مشتها ـ وبذلك تكون السبع حاضرة البدو وياقوتة النقب قد خرجت من عهد ودخلت في عهد جديد، فقد خرجت من حكم كافر غادر، ودخلت في حكم عربي إسلامي، وظن اهلها باديء ذي بدء، أنهم تخلصوا نهائياً من حكم استعماري عسكري فاشي، ولم يدروا أنَّ هذا الحكم الغاشم، قد خرج من الشباك ليعود الى فلسطين من أوسع الأبواب.. فإن ثمرته التي غرسها في قلب فلسطين قد آتت أكلها، وأينع ثمرها، فها هي الصهيونية قد خلعت عنها أردية المسكنة، والقت عنها مسوح الرهبنة، وقلبت ظهر المجن، ولبست دروع التحدي، فكشرت بذلك عن انيابها، وأماطت عن الشر لثامها، ورفعت براقع الحياء عن قبيح وجهها، وظهرت على شكل «دولة» منظمة، لها جيشها المنظم المدرب، ولها مؤسساتها وإداراتها ودواوينها، ولا عجب في ذلك، فإن بريطانيا لم تعلن عن استعدادها للإنسحاب من فلسطين، الا بعد أن وفرت لليهود جميع مقومات الدولة.. فأخذت القوات الصهيونية تضرب هنا وهناك، وتغير على هذه المدينة وتلك، الى أن احتلت بلاداً كثيرة، وقرى ومدنا كبيرة، في مدة يسيرة، ولم يقف شعب فلسطين مكتوف الأيدي، بطبيعة الحال، فهب ينافح ويكافح، ويناضل ويقاتل، بما تيسر له من سلاح قديم في أكثره فاسد في معظمه، وبدون تنظيم أو تدريب فاعلين، أو قيادة موحدة بمعناها الحقيقي، كما هو الحال مع اليهود.. وظلت هذه حاله، وهذه أعماله، الى أن بزغت شمس اليوم الخامس عشر من شهر أيار عام ثمانية وأربعين وتسعمائة وألف، ففي ذلك التاريخ، دخلت الجيوش العربية فلسطين، واشارت للمجاهدين الفلسطينيين أن قفوا واستريحوا.. فإننا داخلون... فسلم الفلسطينيون راية الجهاد ووقفوا جانباً يتفرجون(!) ثم كان ما كان.. مما علم به كل إنس وجان.. في كل زمان ومكان.

أما نحن في بئر السبع، فكان شأننا شأن اخوتنا في كل مكان. نجاهد مثلهم بالبندقية والسنان.. ونزرع الموت لليهود على الطرقات.. ونقاتلهم على مداخل المستعمرات، وكانت أهم الهجمات. تلك التي كان يشنها رجال المقاومة من أهل المدينة

---

(١) تاريخ بئر السبع وقبائلها لعارف العارف

والقضاء، على مستعمرة الويرلس الواقعة بين السبع وغزة على الطريق العام. . وكان آخر اشتباك مسلح لهم مع قوات هذه المستعمرة. هو ذلك الذي وقع قبل احتلال المدينة بأسابيع قليلة، بقيادة قائمقام المدينة محمد موسى عبدالهادي[1] وممن اشترك في هذا العمل العسكري: كاتب هذه السطور وفرحان أبو محفوظ وابراهيم أبو محفوظ والجاويش لطفي العكاوي والجاويش داود العقيلي والخضري وسعيد ابو عويلي وسائق المصفحة ابراهيم التركماني وآخرون. . وقد أصيب في هذه الموقعة، سعيد أبو عويلي، في فخذه، وأسر فرد من أفراد قوتنا ـ وهو من عشيرة الطلاع ـ وهنا تسقط الأقنعة السافرة، عن الوجوه الغادرة، وترفع الستائر، عن باقي فصول المؤامرة، فتضيق حلقاتها على شعب فلسطين، ويزحف اليهود على مدينتنا الباسلة، من كل حدب وصوب، ممهدين لهجومهم بالقاء المنشورات، على الشعب، بواسطة طائراتهم الحربية، التي كانت تحلق في سماء المدينة والقضاء، فتملأ القلوب هلعاً وفزعاً، وذلك كأسلوب دنيء خسيس في الحرب النفسية. يشنونها علينا أولا، ثم أتبعوا ذلك بغارات ليلية، لمدة خمس ليال طوال، وكنا أثناء هذه الغارات التي سبقت الهجوم الكبير على المدينة، نتصل ـ لاسلكياً ـ بالمسئولين في غزة، نطلب مساعداتهم، فيردون علينا قائلين: اصمدوا. . فإننا نُقْذَف مثلكم(!)

ولن أنسى ما حييت، كيف كان يتم الإتصال اللاسلكي، بين طائرات العدو أثناء الغارات وبعدها، وبين قوة لهيئة الأمم المتحدة، كانت تتخذ لها مقراً مجاوراً للمركز. . وكيف أن حاكم المدينة المصري قبل أن يستشهد بساعات، وهو محمد حلمي جمعة، الذي كان في المركز أيامئذ، كان يرفض أن يصدق معلوماتنا عن هذا الإتصال المريب، الذي كنا نلاحظه واضحاً بواسطة جهاز لاسلكي المركز الذي كنا نتناوب[2] العمل عليه، والذي هو من نوع C.R100 على ما اذكر وليلة الهجوم الغادر، حاصر اليهود المدينة، حصار القلائد لأعناق الولائد، وكان في المركز ـ تيجارت ـ حامية مؤلفة من نحو خمسين رجلاً بين مصريين ورجال بوليس فلسطيني، أضف الى ذلك، أحد عشر مجاهداً فلسطينياً من قوة الجهاد المقدس الفلسطيني، كانوا في طريقهم الى غزة، فاحتجزهم المصريون، وأودعوا سجن المركز، بعد أن ارتابوا في أمرهم، واثناء المعركة، خرجوا من سجنهم أبطالاً، وقاتلوا بشرف وبسالة، قتالاً لا نظير له. . كما قاتل بعض الضباط المصريين المتواجدين في المركز، والذين لا أذكر منهم الآن سوى الضابط الشجاع: أحمد كمال، وقد أصيب هذا الضابط بجروح مختلفة بعد أن ضرب اليهود البرج، وانفجر

---

(١) كان يدربنا على صنع القنابل واستعمالها، وعلى كيفية استعمال الألغام الأرضية. .

(٢) ممن كان يتناوب العمل معي على جهاز لاسلكي المركز: يونس الأمير وعبدالمالك الوحيدي، ومحمد خليل القريناوي.

خزان المياه، حيث كان يقاوم. . وينبغي التنويه هنا ببسالة عدد من الجنود والضباط المصريين الذين كانوا في اطراف المدينة، وأخص بالذكر، تلك القوة التي كانت تابعة لسلاح المدفعية.

وإن تعجب، فعجبك من قوة سودانية باسلة، كانت تقاوم طائرات العدو، من على سطح المركز، بمدفع رشاش واحد ـ من نوع هوشكوس ذو شرشور طويل ـ اذ لم يكن لدى هذه القوة، مدافع مضادة للطائرات، انسحبت هذه القوة، من المركز، قبيل مغيب الشمس، لليلة الهجوم النهائي على المركز، وذلك خضوعاً لأوامر تلقتها من قيادتها العليا. . كما ذكر أفرادها أثناء وداعهم الحار والمؤثر لنا. .

وبعد أن تم الحصار للمركز، بعد دخولهم المدينة، وجهوا الى الحامية المحاصرة، في المركز، انذاراً بالتسليم فرفضته، فضرب اليهود برج المركز، بالمدفعية الثقيلة، فانفجر خزان المياه، كما اسلفت، وانسابت المياه داخل ممرات المركز، فلا تسأل عن حالة الحامية المدافعة يومذاك! لقد امتلأت النفوس، رعباً ورهباً، وأصيبت بالهلع والفزع، والخوف والجزع، مما ثبَّط الهمم، وشلَّ العزائم، وملأ القلوب باليأس والتشاؤم، فكنت ترى الجند يعومون في الماء، كما كنت ترى البنادق والأثاث ومختلف الأمتعة، طافية على سطح الماء، أو راسبة فيه، الأمر الذي جعل الجاويش داود العقيلي يصيح بملء شدقيه قائلا (أيها الاخوان: ليس لنا فائدة) وانطلق طلباً للنجاة من باب المركز الجنوبي الشرقي، وتبعه منا الكثيرون، فأما هؤلاء، فمنهم من نجا، ومنهم من أسر، ومنهم من استشهد مثل الجاويش العقيلي. . وأما باقي الحامية، فاستسلموا للإنذار اليهودي الثاني، وعندما دخل اليهود المركز اخذوا يطلقون النار بشكل عشوائي على من بقي من رجال الحامية، فجرح الكثيرون.

أما كاتب هذه السطور وابن عمه عبدالمالك، فقد أصيبا بجراح متوسطة، وأجريت لهما الأسعافات الأولية في مستشفى المدينة، ثم نقلا مع الجرحى الآخرين ومعظمهم من المصريين الى المستشفى البلدي بمدينة يافا. . ولدى وصولنا المستشفى، كان البحر آنذاك، يهدر بصخب وغضب، وكأنما هو يهدر غيظاً وحنقاً، لما حل بنا وبشعبنا في كل مكان. . وكانت نهاية المطاف معتقل [اجليل] المجاور لمستعمرة هرتزيليا اليهودية والقريب من قرية سيدنا علي. . على ساحل البحر الأبيض المتوسط. . وهناك في المعتقل قضينا نيفاً وشهرين، وقد أفرج عنا بعد التوقيع على اتفاقية رودس المعروفة. .

وان انس فلا انسى، أن ممرضي المستشفى البلدي، وهم ينقلوننا من السيارات الى داخل المستشفى ـ وكانوا عرباً ـ سألونا: من أين أتيتم؟ قلنا لهم من بئر السبع. . قالوا: ولكن الأنباء ذكرت أن العرب استرجعوا هذه المدينة(!) فقلنا لهم: إن الأنباء ما ترون. . لا ما تسمعون. . ففوجئوا وبهتوا. .

وهكذا تسقط عروس النقب وحاضرته.. بعد أن ملكها الفلسطينيون احقابا متعاقبة، وقروناً متتالية، وازماناً متوالية، وبعد أن شرَّفها بسكناه جد الانبياء ابراهيم الخليل عليه السلام.. تسقط هذه المدينة العريقة، التي كانت ممراً ومعبراً للغزاة والمغيرين.. ولكثير من المحتلين والمستعمرين.. فقد خضعت ذات مرة للعمالقة أو الهيكسوس، كما كانت ذات يوم تحت حكم الأشوريين والبابليين والفرس والأنباط واليونان.. ويا طالما تاه في أوديتها وشعابها جند روما وبيزنطا.. وصدق الله العظيم اذ يقول (**وتلك الأيام نداولها بين الناس**).

أما في عهودها العربية، فحدِّث عن ذلك ولا حرج.. فقد نزلتها جرهم القحطانية وقبائل أخرى من كنانة وحمير وكلاب، بالاضافة الى أهلها الكنعانيين كما اسلفنا.. وأما العهود الإسلامية، فقد دخلت في حوزة المسلمين، زمن الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وستظل هذه المدينة، وكل مدينة فلسطينية، أو قرية أو خربة أو كهف أو بيت شعر، في قلب كل عربي ومسلم، إلى أن يمنَّ الله على هذه الأمة بمَنْ يقيل عثرتها، وينهضها من كبوتها، فيسير بها من نصر الى نصر، ومن ظفر الى ظفر، حتى تستأصل جرثومة الصهيونية، وتتحرر فلسطين، من النهر الى البحر، ومن رأس الناقورة والمطلة الى رفح.. ويومئذ يفرح المؤمنون.

يا عروس النقب[1]

يا عروس النقب يا بئر السبعْ ... زاد نبض الشوق عندي وارتفعْ
يا زمان الوصل في ذاك الحمى ... كيف رث الحبل! بل كيف انقطع
أيها المعجب من حبي لها ... لا تخل أني محب مصطنع
إن بي شوقاً لهاتيك الربى ... كامناً.. من نهر قلبي قد نبع
وحنيناً كحنين النوق إن ... هاجها الشوق لرؤيا المنتجع
روضة القلب حنيناً فيه قد ... صافح الطيف زفيري في جزع
ليس يجدي الطيف أرباب الهوى ... لا، ولا يغني عن المرأى السمع
إنما ذكرى هو الطيف وقد ... تنفع الذكرى لأرباب الورع
كم زرعنا من وعود ومنى! ... فحصدنا من أمانينا الخدع
كم تمنينا! ولكن عبثاً ... فالأماني دون أعمال بدع
كم تركنا من بساتين لنا ... وجنان.. وعيون.. في السبع

---

(١) نشرت في جريدة الرأي الأردنية بتاريخ ١٩٨٤/١١/٢ وهي من ديواني المطبوع: آلام وآمال.

أين أيـام قضيناهـا عـلى شاطىء البدر.. اذا البدر سطع
أين أيام لنا قـد غبـرت بفلسـطين وما فينـا فـزع
يـا لياليـنا هنـاك انتحـرت حين ولى من تولى.. وصدع
كم مشينا فوق هامات الردى يـوم كنا والأعـادي نصطرع
نحمـل الموت بأيـدينا لهم لا نخاف الموت أو نخشى الزمع
فـدجى الليل علينـا يا لـه كيف صار النور ليلا.. فقرع
هكـذا الدنيـا: ضياء ودجى وشمـوس وليـال.. تصـطرع

* * * *

اقفـر النقب.. ولم يبق بـه وكن للطير.. فـالطير فـزع
والـنشـامى هجـروه مثلما هجرت أوطانها.. طير البجع
يـا لهذا الـدهر كم فـرقنـا فغـدونـا مـزعـاً إثـر مـزع
يـا لهذا البين كم جرعنـا غصصاً نـأخـذ منهـا ونـدع
يـا لهذا الشـوق كم برحنـا جرح القلب، فأدمى، ودمع
أيُهـذا البـين عن مـوطننـا قد تداوينا فما طب.. نفع
ليس للقـلب شفـاء، إنمـا هو في العود الى تلك البقع
«إنمـا العودة فـرض خـالـد» لربى القدس.. وبيداء السبع
هكـذا القـرآن قـد انبـأنـا والأحاديث روت حتى البدع



الشق



القدس

بيت المقدس والمسجد الأقصى

فأما بيت المقدس، فهو أولى القبلتين. . وقد ورد عن الزهري قوله: لم يبعث الله عز وجل نبياً، الا جعل قبلته صخرة بيت المقدس. . وقد صلى اليه رسول الله ﷺ بعد هجرته، سبعة عشرٍ شهراً، حتى أنزل الله عز وجل على رسول الله ﷺ (**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره**) وقد اختلفوا في السبب الذي كان عليه الصلاة والسلام من أجله يكره[1] قبلة بيت المقدس ويهوى الكعبة، فقال بعضهم، لما استقبل النبي ﷺ بيت المقدس في صلاته، بلغه أن اليهود قالت: والله ما درى محمد واصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم، فقال رسول الله ﷺ لجبريل: وددت أن الله صرفني عن قبلة اليهود الى غيرها، فإني أبغضهم وأبغض موافقتهم، فقال جبريل: إني عبد مثلك، ليس لي من الأمر شيء، فسل ربك. فعرج جبريل، وجعل رسول الله ﷺ، يديم النظر الى السماء، رجاء أن ينزل جبريل بما يجب من أمر القبلة، فأنزل (**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك**) الآية.

وأما المسجد الأقصى. فهو ثالث الحرمين الشريفين. . وإليه تشد الرحال، قال رسول الله ﷺ (لا تشد الرحال الآ الى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا والمسجد الأقصى) وفي فضل الصلاة فيه، روي عن أنس رضي الله عنه[2] أنه قال: قال

(١) نهاية الأرب للنويري ج١ ص٣٢٩

(٢) نفس المصدر ص ٣٣١.

رسول الله ﷺ (صلاة الرجل في بيته بصلاة واحدة، وصلاته في مسجد القبائل ست وعشرين، وصلاته في المسجد الذي يجمع فيه بخمسمائة صلاة. وصلاته في المسجد الأقصى بخمسين الف صلاة، وصلاته في المسجد الحرام بمائة الف صلاة) وسمي الأقصى، لأنه أبعد المساجد التي تزار حسب قول بعضهم، وهو مسرى رسوله، وصخرته معراجه، قال تعالى (**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله**).

وقد ورد في فضل السكنى فيه، والوفاة به، أقوال كثيرة، منها: أنه روي عن ذي الأصابع أنه قال لرسول الله ﷺ: أرأيت يا رسول الله، ان ابتلينا بالبقاء بعدك، فأين تأمرنا؟ قال (عليك ببيت المقدس. لعل الله يرزقك ذرية تغدو اليه وتروح) وعن أبي أمامة الباهلي، ان رسول الله ﷺ، قال (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله عز وجل وهم كذلك قالوا يا رسول الله وأين هم قال ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس).

هذه هي مكانة بيت المقدس والمسجد الأقصى، وقد ثبتت المكانة الروحية للقدس وتعمقت في نفوس المسلمين بعد فتحها من قبل الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، في العام الخامس عشر للهجرة دون أن تراق قطرة دم واحدة، فقد كان الفتح أبيض ـ إن جاز التعبير ـ لا أحمر قانياً، كما فعل الصليبيون الحاقدون عندما احتلوها ـ القدس ـ سنة ١٠٩٩م للميلاد يوم أن قتلوا من أهلها سبعين ألفاً أو يزيدون، ذبحوهم ذبح الغنم، ولم يكتفوا بهذا، بل ملأوا الدنيا في ذلك الزمان فخراً واعتزازاً وزهواً، بأن خيولهم غاصت حتى الركب في دماء المسلمين، وأنهم حولوا الأقصى إلى اصطبلات لخيولهم ولرجسهم ودنسهم، (**قاتلهم الله أنى يؤفكون**).

وما أشبه الليلة بالبارحة، فهاهم اخلاط اليهود واشتاتهم وحثالات الأمم، احفاد الصليبيين في الحقد على المسلمين، والكيد لهم، والغدر بهم، ها هم يحتلون القدس، ويدنسون المسجد الأقصى، ويحرقون وينهبون ويسرقون، ويسفكون الدماء المسلمة البريئة.

وإذا كان الناصر صلاح الدين الأيوبي ـ طيب الله ثراه ـ قد حرره من ربقة الصليبيين، فإن ذلك لم يتم له، الا عن طريق شعار: الله أكبر، وتحت راية: لا إله إلا الله.. وليس عن طريق أي شعار زائف آخر، أو أية راية أخرى، وأنه لم يدخلها إلا من بوابة الإسلام.

وإذا كان اليهود، يتطلعون اليوم الى خيبر، حيث تقول عجوزهم الشمطاء جولدا مائير، عندما وطئت قدماها النجستان أرض العقبة ـ ايلة ـ قالت أني أشم رائحة اجدادي في خيبر، ويتطلعون إلى العراق ولبنان والأردن والى كل بلد عربي، بل

ويتعدون ذلك في تطلعاتهم وأطماعهم وطموحاتهم التي لا نهاية لها ولا حد، فإن هذا يعني دون ريب، أنَّ الخطر الصهيوني يدق ناقوسه كل باب.. ومن شاء فليقرأ كتاب [بروتوكولات حكماء صهيون].

لبيك يا أقصى!! - قصيدة (١)

.. يا أمة الإسلام في كل حدب وصوب، ويا أمة العرب في شرق وغرب، عزاؤك في ضياع المسجد الأقصى، أنَّ الحرب سجال، وأن الأقصى كان قد وقع في قبضة الصليبيين فطهره من رجسهم: الناصر صلاح الدين، ثم وقع في قبضتهم مرة ثانية، فطهره من دنسهم «الناصر داود» مما جعل العلامة الفاضل جمال الدين بن مطروح ينشد فيه:

المسجد الأقصى له آية	سارت، فصارت مثلا سائراً
اذا غدا «للشرك» مستوطناً	ان يبعث الله له .. ناصرا
فناصر طهره أولا	وناصر طهره .. آخرا

وأن الله الذي هيأ للأقصى قديماً ناصرين طهراه من الأرجاس، لا بد مهيء له ناصراً ثالثا، يطهره من دنس الصهيونية (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون..) وأبشروا بنصر قريب.

من ناصر ثالث.. تزجى عساكرُهُ	للقدس .. للمسجد الأقصى يطهرُهُ
من رجس صهيون .. والأرجاس ديدنه	مذ كان صهيون فوق الأرض منخره
فأين؟ أين صلاح الدين من بطل	وأين سلطان مصر .. أين ناصره
وَيْحي على أمة الإسلام!! والهفي!!	يا للمآل، ويا للهول نبصره
أين الأعاريب في شتى ديارهمو	أين القشاعم للأقصى تحرره
أسامع فأنادي ملء حنجرتي	يا من تألم واهتزت مشاعره
من سامع من بني الإسلام صيحته	من المآذن ترفعها حناجره
«الله أكبر» كم شقت دياجره	فرددتها على الدنيا دياجره
«الله أكبر» كم فاه الخطيب بها	الله أكبر كم دوت منابره
مسرى النبي .. ومهوى كل اخوته	من النبيين .. يا ويحي أنخسره
أهكذا يا عباد الله نفقده	في ساعة .. لحثالات تدمره

---

(١) من ديواني المطبوع: آلام وآمال.

يـا للمغاوير من قومي أيعجبكم … أَنْ نحني الهـام لاسرائيـل تـحـره
وأن نقيم على ضيم يراد بنا … ونـحن لـلضيـم نـأبـاه ونـنكـره
ما قيمة العيش والأوطان نتركها … للطير تخطفها منـا كـواسـره
ما قيمة العيش .. والحيّات تنهشنا … ونحن للسم لا نخشى فنحـذره
أنـكـتـفـي بـلقـاءات نـدونها … فتنتهي عنـد قـرطـاس نحـرره
مـاذا تقولـون لـلأجيال بعـدكمو … ومن ـ علمتم ـ أخو عذر فنعذره
يـا قوم هبـوا جميعاً لا أبـالكمو … من قبل غدر جديد سـاء غادره
لبوا نداءات أقصاكم فقد برئت … منكم إذا لم تجيبـوهـا منـابـره
دويلة المسخ .. قد حان القطاف فلا … يخدعك نصر جميـع الناس تنكـره
آمنت بالنصر .. يا دنيا .. ويا نفراً … يكـاد يقتله يـأس .. وينحـره
لبيك .. لبيك .. يا أقصى، فموعدنا … غداة للسيف .. للأعداء نشهره
كذاك قال بنو قومي .. وقـولهمو … من الصحاح .. فلا شك يخامره
وإن يذودوا .. فعن حوض .. وعن وطن … هم أهله .. فذئاب الغاب تشطره
فكم بلينـا .. وكان الله نـاصرنـا … واليـوم ينصـرنـا ربي .. وننصـره

أشقـاء المـؤلف



محمد: امام وخطيب مسجد المقابلين/عمان



احمد: خطيب مسجد الوحيدات/مخيم البقعة للاجئين الفلسطينيين



موسى صحفي وكاتب



عيسى فني اشعة

قبائل بئر السبع

تمهيد :

إن الكتابة عن القبائل العربية التي استوطنت بئر السبع منذ القدم، ليس بالأمر السهل بأي حال، فهو سبيل صعب وشائك، وطريق وعر غير سالك، يحتاج الى جهود المخلصين من المتخصصين، ليوفوه حقه وهيهات!

وقبل الكلام عن القبائل التي نزلت منطقة بئر السبع، في مختلف العصور فلا بد من أن نعرج قليلاً على تقسيمات القبائل العربية بوجه عام، كما ذكرتها أمهات الكتب التاريخية، والتي هي في نظر بعض المؤرخين العرب تقسم الى ثلاثة أقسام:

١ ـ العرب البائدة : وهم الذين سادوا ثم انقطعت أخبارهم فبادوا، ولا نعرف عنهم شيئاً الا ما ورد في القرآن الكريم وبعض الكتب السماوية الأخرى، وفي الشعر العربي، كأخبار عاد وثمود وطسم وجديس.

٢ ـ العرب العاربة: وهم اليمانيون من نسل قحطان، ومن أشهر قبائلهم: جرهم ويعرب ومن يعرب تشعبت القبائل والبطون من فرعين كبيرين هما: كهلان وحمير وأشهر بطون حمير: قضاعة ومن فروع قضاعة: بلي وجهينة وكلب وجرم وغيرها. وأشهر بطون كهلان: (الأزد) ومنهم: الأوس والخزرج ـ الأنصار ـ والغساسنة ـ اولاد جفنة ـ و(طيء) ومنهم: جديلة وزبيد وثعلبة و(مذحج) ومنهم: خولان وسعد العشيرة قبيلة المتنبي الشاعر، وعنس الذي يُنْسبُ اليها الأسود العنسي الكذاب. . وتنتسب القبائل العاربة الى قحطان، الذي ينتهي نسبه الى (سام) وقد جاء في الحديث الشريف (سام ابو العرب).

٣ ـ العرب المستعربة : أوا لعدنانيون، وهم أهل نجد والحجاز، وقد دعوا بالعدنانية نسبة الى عدنان جدهم، ومنهم من ينسبهم الى جدهم اسماعيل، فيقول «اسماعيليون» واسماعيل كما هو معروف هو ابن سيدنا ابراهيم عليه السلام. وقد ولد اسماعيل في أراضي الجبارات في منطقة بئر السبع على ارجح الروايات من أمه هاجر المصرية، ولهذا نجد رسول الله ﷺ يوصي امته فيقول: «إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً» او كما قال. .

وصفوة القول: إن العرب المستعربة تنسب الى العرب العدنانية ولعدنان هذا سبعة أولاد، منهم «معد» وهو الذي على عمود النسب لسيدنا محمد ﷺ.

وكم هو جميل أن نضع هنا تعريفاً لمعنى كلمة «قبائل» كمدخل مناسب لموضوع

قبائل بئر السبع، وقد اعجبني تفسير المؤرخ الفلسطيني مصطفى مراد الدباغ في مؤلفه القيم: القبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين يقول الدباغ: قيل للقبيلة قبيلة لتقابلها وتناظرها، وللقبيلة فروع وأقسام دونها، منها، بطون وافخاذ، ثم العشيرة وهي رهط الرجل. وفي القرآن الكريم **(وانذر عشيرتك الأقربين)** أ.هـ

وقال الماوردي: وسميت قبيلة لتقابل الأنساب فيها، كما ذكر الجوهري ان القبيلة هم بنو أب واحد وكذلك في المعاجم فإنها بمعنى: بنو الأب الواحد وندخل الى صلب الموضوع: وهو قبائل بئر السبع فنقول:

حتى وقت قريب، كان يتواجد في منطقة بئر السبع، من فلسطين، سبع قبائل عربية كبيرة هي:

١ ـ الترابين.
٢ ـ التياها.
٣ ـ السعيديون.
٤ ـ العزازمة.
٥ ـ الحناجرة.
٦ ـ الأحيوات.
٧ ـ الجبارات.

وكل قبيلة من هذه القبائل السبع، لها منازلها الخاصة بها، وتعرف حدودها وتخومها، ولها أيضاً عاداتها وتقاليدها..

ولا بأس من ذكر أصول كل قبيلة، باختصار شديد، وبما تسعف به المصادر والمراجع، مكتوبة أومروية.

١ ـ الترابين[١]: من عنزة بن اسد بن ربيعة العدنانية..
٢ ـ التياها: من بني هلال.. وبنو هلال من نسل عاد وثمود، وفي قول، ان هلالاً هو عامر بن أبي صعصعة العدناني..
٣ ـ السعيديون: فرع من الحويطات، والحويطات في نظر بعضهم من الأنباط وبقايا القبائل القديمة التي وجدت في بلاد ثمود ومدين..
٤ ـ العزازمة: من بني كلب من العرب القحطانية.
٥ ـ الحناجرة[٢]: الراجح أن اسم الحناجرة نسبة الى جبل حنجر الذي ذكره «بليني» في

---

(١) تاريخ بئر السبع وقبائلها.
(٢) بلادنا فلسطين ج١ق٢ للدباغ.

رسومه عن هذه الجهات، وأكثر الحناجرة من السواركة، وموطنهم بلاد العريش، ويذكر السواركة أنهم يعودون بنسبهم الى «عكاشة» أحد صحابة رسول الله ﷺ وتتألف قبيلة الحناجرة من حناجرة أبي مدين والضواهرة والحمدات والنصيرات. ا. هـ

٦ ـ الأحيوات[١]: قبيلة تابعة لمصر، إذ أن معظم أملاكها في سيناء.. بيد أن لها أراضي ومنازل في القسم الجنوبي من وادي العربة المتاخمة للعقبة، ولقبيلة الأحيوات في سيناء فروع كثيرة مثل النجمات والحناظلة والصفايحة وغيرها.

٧ ـ الجبارات: يقول الدباغ في معرض حديثه عن «بني عقبة» ومن أعقاب بني عقبة، عشيرة بني عقبة من التياها والجبارات .. وبنو عقبة من جذام.

وإذا علمنا أن قبيلة الجبارات تشكل عقداً نضيداً ينتظم سلكه اربع عشرة عشيرة، وإذا علمنا أيضاً أن عشيرة الوحيدات هي واسطة ذلك العقد النظيم، لزم رد كل عشيرة الى أصولها، إذا ساعفت المراجع وأعانت المصادر: وهذه هي أسماء العشائر الأربع عشرة:

١ ـ عشيرة الدقوس ـ الزواهرة ـ

٢ ـ عشيرة أبو رواع وأبو دعيج ـ الخلاوية ـ

٣ ـ عشيرة العريبات ـ أبو جابر وأبو جرار والمكحل ـ

٤ ـ المشارفة

٥ ـ عشيرة الحسنات

وهؤلاء أتوا من الحجاز كما يذكر أحد شيوخهم ـ حسن أبو جابر ـ في كتاب عارف العارف ـ تاريخ بئر السبع وقبائلها ـ وآسم جدهم ـ جابر الأنصاري ـ وهو قرشي. ويقول الدباغ في كتابه ـ القبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين ـ ومن الحسنيين نذكر «الوحيدي» وجبارات الوحيدي..

٦ ـ عشيرة أبي سلعة ـ الولايدة ـ ويرجع نسب هذه العشيرة الى بني مخزوم كما في ـ بلادنا فلسطين للدباغ ـ

٧ ـ الرتيمات ـ أبو العدوس ـ وأصلهم من عقيل وكانوا ينزلون البحرين[٢]. أما الرتيمات أنفسهم فيقولون أنهم «الصوايحة» وأن الرماضين منهم، ويذكر الدباغ[٣] ان الصوايحة هم من عشيرة الجبارات وأبناء عمهم الرماضين من

---

(١) بلادنا فلسطين ج١ ق٢ للدباغ.
(٢) تاريخ بئر السبع وقبائلها لعارف العارف.
(٣) القبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين ٧٩.

«التياها».

٨ ـ السواركة[1]: المعروف عندهم أنهم من ذرية الصحابي المشهور «عكاشة» وعكاشة هذا ربما كان هو الذي طلب من رسول الله ﷺ، ذات يوم ان يدعو له بأن يدخله الله الجنة، فسمع بذلك احد المسلمين. فطلب هو الآخر من رسول الله ﷺ مثل ما طلب عكاشة، فقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه: سبقك بها عكاشة ـ بتشديد الكاف على الأرجح ـ وعكاشة هذا عدناني ومنهم العرادات والمنايعة والرفايعة، والحناجرة، كما قال الدباغ عنهم..

العمارين: وهم ينقسمون الى عشيرتين، هما:

٩ ـ عمارين ابن عجلان.

١٠ ـ عمارين الراعي.

يقول عارف العارف: يمكن الجزم بأنهم ليسوا من الجبارات أصلا. وجدهم يدعى عبدالله.. أما من هو عبدالله هذا، فمعرفته لدى علام الغيوب.. ونذكر منهم: المذاكير والرويكبية والفوايدة والحليسات.

١١ ـ القلازين: يزعمون ـ كما يقول العارف ـ بأنهم «حسينيون» وأنهم أتوا من الحجاز من مكة، ونزلوا ـ المشبه ـ بالقرب من غزة، وكان معهم رجل غريب عنهم اطلقوا عليه لقب «الوحيدي» لأنه كان وحيداً بينهم، ولما كان هذا من بيت شريف وكان حسن الطبع شريف الخصال شيخوه عليهم، فساسهم وأحسن ادارتهم، وصار في برهة وجيزة شيخاً لا على القلازين فحسب بل على الجبارات كلهم..

وتحضرني قصة تدور على الألسنة ـ وألسنة الناس أقلام الحق كما يقولون ـ وهذه القصة مذكورة أيضاً في كتاب عارف العارف ـ تاريخ بئر السبع وقبائلها ـ كانت الحكومة التركية تكلف القلازين كغيرها، بنقل المئونة والذخيرة التي يحتاج اليها المحمل من غزة الى معان ـ في الأردن ـ وكان الوحيدي يقود المحمل وفي احدى السنوات استبدل القلازين الأرز بالذرة، دون أن يعلم الوحيدي بذلك، ولما وصل الى معان، ورأى الأتراك ما فعله القلازين، أنّبوه وكادوا يقضون على حياته، فقام من فوره وصلى ركعتين ودعا على القلازين بالشقاء لأنهم سببوا له «سواد الوجه» هذا. ويقول العربان ان الله استجاب حقاً لدعائه، اذ أصيب القلازين بحريق شديد، ذهب بالسواد الأعظم منهم.. ويطلق العربان اسم «باقي الحريقة أو الدعيقة» على من بقي حياً من القلازين بعد هذه الفعلة الشنعاء

---

(١) تاريخ بئر السبع وقبائلها ـ لعارف العارف.

والسوأة السوآء.

وأما الدباغ فإنه يقول عنهم: وفي فلسطين، جماعات تذكر أنها من الأشراف، الا انها لم تعين نسبها، أهي حسنية أم حسينية! أم أنها قرشية، وعلى سبيل المثال نذكر منهم «القلازين».

السعادنة: وهم ينقسمون الى عشيرتين: هما:

١٢ - سعادنة «أبو جريبان».

١٣ - سعادنة النويري.

ويقول السعادنة أن أصلهم من مكة وأن جدهم سعد من الصحابة! أما عارف العارف فيقول (أنهم ليسوا بجبارات ولا هم تياها من حيث الأصل وإنما هم عشيرة قائمة بنفسها. وقد انضووا تحت لواء الجبارات أثناء حرب «عودة وعامر» وفي بعض الأقوال أن فريقاً منهم فقط انحاز إلى الجبارات، أما الفريق الآخر، فقد انحاز الى التياها، تخلصاً من ملاحقة ابراهيم باشا للجبارات، فقد كان التياها حلفاء لابراهيم باشا.. ويضيف العارف قائلا: كان فريق الجبارات حتى عام ١٩٢٩م متحداً مع الوحيدي برئاسة شيخ واحد الى أن طلبوا الانفصال على اعتقاد منهم بأن شيخهم الوحيدي يظلمهم، ولم أر من الحكمة أن ارغمهم على البقاء معه، ففصلتهم عنه - أي عن الوحيدي.

١٤ - عشيرة الوحيدات

بداية، نذكر أن هذه العشيرة تعود بأصولها الى قريش. وهي حسينية النسب. وان كان رسولنا ﷺ قد قال بما معناه (أنا جد كل تقي وان كان عبداً حبشياً وأنا بريء من كل شقي وإن كان حراً قرشياً) فإن هذا القول الصادق، لا يمنع من الانتماء الى النسب العفيف والائتناس بالحسب الشريف، وهو عليه السلام القائل (اختاروا لنطفكم، فإن العرق دساس) ثم هذا هو ابو الفوز السويدي في سبائكه يقول «إنّ المعرفة بعلم الانساب من الأمور المطلوبة، والمعارف المندوبة، لما يترتب عليها من الأحكام الشرعية» ومن هذه الأمور العلم بمعرفة نسب النبي ﷺ، وانه النبي القرشي الهاشمي، فإنه لا بد من معرفة هذا النسب، حتى يصح ايمان المسلم، حيث لا عذر لمسلم في الجهل بمثل هذه الأمور، وبهذا العلم، يتم التعارف بين الناس، كيف لا، والله عز وجل هو القائل (**يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا**..) الآية.

وقد ذهب كثير من الأئمة والفقهاء، كالبخاري والطبري الى جواز الرفع في الأنساب احتجاجاً بعمل السلف الصالح، فقد كان أبو بكر الصديق، رضي الله عنه

وأرضاه، حجة ومرجعا في علم النسب. . فقد ذكر أبو الفوز السويدي، في مصنفه «سبائك الذهب» أن صاحب الريحان والريعان حكى عن أبي سليمان الخطابي رحمه الله تعالى أنه قال «كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه نسابة، فخرج مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، فوقف على قوم من ربيعة فقال ممن القوم؟ قالوا من ربيعة، قال رضي الله عنه، وأي ربيعة أنتم! أمن هامتها أم من لهازمها! قالوا من هامتها العظمى. قال أبو بكر رضي الله عنه: ومن أيها! قالوا من ذهل الأكبر، قال أبو بكر رضي الله عنه: فمنكم عوف الذي يقال لا حرّ بوادي عوف، قالوا لا، قال فمنكم بسطام بن قيس أبو القرى ومنتهى الأحياء! قالوا لا، قال فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنعمها! قالوا لا، قال فمنكم المزدلف الحر صاحب العمامة المفردة، قالوا لا. قال فمنكم أخوال الملوك من كنده! قالوا لا، قال فمنكم أصهار الملوك من لخم! قالوا لا، قال فلستم بذهل الأكبر، بل ذهل الأصغر. فقام اليه غلام من شيبان يقال له: دغفل، حين بقل وجهه، فقال ان على سائلنا ان نسأله، والفتى لا يعرفه: أو تحمله، يا هذا إنك قد سألتنا فأخبرناك، ولم نكتمك شيئاً من خبرنا، فممن الرجل؟ قال ابو بكر رضي الله عنه، أنا من قريش، قال بخ بخ، أهل الشرف والرياسة، فمن أي القرشيين انت! قال من ولد تيم بن مرة، قال الفتى: امكنت والله من سوآء الثغرة، فمنكم قصي الذي جمع القبائل كلها وكان يدعى مجمعاً! قال لا، قال فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه! قال لا، قال فمن أهل الندوة أنت! قال لا، قال فمن أهل السقاية أنت! قال لا، قال فمن أهل الحجابة أنت! قال لا، واجتذب ابو بكر رضي الله عنه زمام ناقته فقال الفتى:

صادَفَ دُرْءُ السيل دَرْءاً يدفعه   يهيضه حيناً، وحيناً يصدعه

أما والله أخا قريش: لو تثبت لأخبرتك أنك من رعيان قريش ولست من الذوائب، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فتبسم، فقال علي رضي الله عنه، يا أبا بكر، لقد وقعت من الغلام على باقعة، قال أجل يا أبا الحسن، ما من طامة، الا فوقها طامة. . »

وجدير بالذكر أن دغفل هذا هو: دغفل بن حنظلة النسابة الذي يضرب به المثل، في النسب، وقد كان له معرفة بالنجوم وغيرها من علوم العرب. .

وصحيح قول القائل.

كن ابن من شئت واكتسب أدباً   يغنيك محمودُهُ عن النسب
ان الفتى من يقول ها أنذا   ليس الفتى من يقول كان أبي

ولكن الأصح منه، قول الرسول الكريم ﷺ، (الناس معادن كالذهب والفضة. .) أو كما قال. .

ونعود الى موضوع حديثنا عن عشيرة الوحيدات، فنقول : إن هذه العشيرة، كانت تنزل «فطاطة» بتشديد الطاء الأولى، وأراضي وادي الندى. على أميال قليلة من قرية الفالوجة المشهورة، الى جهة الجنوب، وتجاور قرية عراق المنشية المعروفة من الجنوب والجنوب الغربي، وهي واقعة بين عشائر الجبارات وبين هاتين القريتين المذكورتين، على أن هناك فرعاً كبيراً لهذه العشيرة، ينزل منطقة غزة، ومن هذا الفرع جزء ينزل قرية المخيزن القريبة من قرية المسمية الكبيرة وهذان الفرعان، هما من أصل واحد لاكثر من سبب ومن ذلك، أنهما يشتركان في الإسم، كما يشتركان في «الوسم» وهو المحجن «٦» ثم أنهم لا يتزاوجون من أحد كائناً من كان الا مع بعضهم البعض وهذا الأصل الواحد، لا ينكره الا جاهل أو واهم..

وإذا ما عدنا الى الحديث ثانية عن الأصول، فإننا انما نتحدث عن أصول العشيرة بفرعيها، سواء تلك التي بغزة أم هذه التي بوادي الندى وفطاطة. وأما الموطن الأصلي، أو المواطن التي تتواجد فيها الفروع الكثيرة، لهذه العشيرة، فليس ذا مجاله، بل سنفرد لذلك فصولاً خاصة، بما يتيسر لنا من معلومات، وما يتوفر من روايات، وما نسمع من أقوال وحكايات، ونشاهد من آثار وأطلال..

وهذه بعض الإشارات المضيئة، على طريق النسب لهذه العشيرة:

١ - قبل سنوات من مراودة فكرة تأليف هذا الكتاب على نفسي، وفي المنام، سمعت من يقول لي بالحرف «أنتم من أهل البيت وتنتسبون إلى علي» وقد رأيت أن لا أضن بهذه الرؤيا على أحد الآن.. بعد هذه السنوات الطوال، وبعد أن آن أوان مناسبة نشرها واعلانها على صفحات هذا الكتاب.. وللقارىء أن يقبلها كما له أن يرفضها، لكنه في الحالة الأخيرة، ليس له أن يرفض تقدير النبي ﷺ، للرؤيا بأنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، كما لا يستطيع أن يرفض قوله ﷺ (الرؤيا ثلاثة: فرؤيا بشرى من الله تعالى، ورؤيا من الشيطان، ورؤيا يحدث بها الإنسان نفسه، فيراها) وقال عليه الصلاة والسلام (ذهبت النبوة وبقيت المبشرات) وفي تفسير قول الله عز وجل(لهم البشرى في الحياة الدنيا) عند بعضهم، أنها هي الرؤيا الصالحة.

٢ - ورؤيا أخرى.. رأيت فيها ما يرى النائم، أنني رافع أكف الضراعة، أردد: بلادنا بلادنا يا رب! فأسمع من يقول : صبراً أهل البيت!

٣ - يقول سادة هذه العشيرة وكبراؤها: إن هذه العشيرة تنتمي بنسبها الى الحسين بن علي رضي الله عنهما، وقد خرجوا من مكة إلى الطائف. هرباً من الظلم الذي حل بمكة آنذاك، وكأنما هم يسيرون على خطى جدهم رسول الله ﷺ،

فيستذكرون ـ مع الفارق ـ رحلته من مكة إلى الطائف هرباً من أذى قومه، وطمعاً في نصرة أهل الطائف له! ومن الطائف هذه، سار بعضهم إلى مصر، عن طريق مدائن صالح، وفي مصر، نزل قسم منهم بالزقازيق، ـ منطقة الشرقية ـ ونزل قسم بطور سيناء. . وسار البعض الآخر، إلى بلاد الشام، عن طريق مدائن صالح أيضا، كما سار قسم منهم إلى الكويت، وربما إلى إيران أيضاً. . ولنا عودة الى هذا الموضوع، إن شاء الله تعالى. .

٤ ـ يشهد كثير من العربان في ديرة السبع، بأن «الوحيدي» شريف النسب، وطالما رددوا مقولة مفادها: أنه «أي الوحيدي» من أبناء الرسول. .

٥ ـ تقول عشيرة القلازين كما ذكرنا سابقا، أنهم «شيّخوا عليهم الوحيدي نظراً لأنه من بيت شريف».

٦ ـ ومن مشايخ العربان المشهورين الذين كانوا يشهدون بهذا النسب للوحيدي، نذكر:

أ ـ الشيخ حمد الصانع شيخ عشيرة نجمات الصانع.

ب ـ الشيخ سلمان الهزيّل شيخ الحكوك من التياها.

٧ ـ وأما الشيخ محمد العقبي، شيخ عشيرة العقبي، فقد قال: إن الجبارات أول ما نزلوا هذه المنطقة ـ السبع ـ كانو بقيادة الوحيدي. .

نستنتج من قول العقبي هذا، إضافة لما كان يقوله أثناء لقاءاته المتكررة، مع بعض أفراد هذه العشيرة التي كانت تتم في مدينة بئر السبع سابقاً، نستنتج من ذلك، أن ما نعزوه للوحيدي من نسب شريف، هو القول الفصل الذي ليس هو بالهزل. والله أعلم بالصواب.

٨ ـ ومن الأردن: حدث الشيخ عبدالكريم العايد الوريكي ـ من شفا بدران ـ قال: سمعت الملك الراحل: عبدالله بن الحسين رحمه الله يقول: «إن أهل البيوت الرفيعة في فلسطين هم: الوحيدي وأبو كشك».

٩ ـ يقول عارف العارف في كتابه: تاريخ بئر السبع وقبائلها ـ في معرض حديثه عن بني عقبة ما يلي: «أخصبت أراضي غزة خصباً لا مثيل له من قبل، فطار صيت مراعيها، وارتادها الرواد من كل جانب، وكان من بينهم بنو عقبة. . فلما وصل خبر عزمهم هذا الى سكان بلاد غزة الجبارات (وكان الوحيدي قائدهم) أخذ هؤلاء يفكرون في أمرهم، ولما كان عددهم قليلاً بالنسبة الى بني عقبة، ولا قبل لهم بمحاربة الغزاة، لجأ كبيرهم الوحيدي الى الحيلة. . فوقع بينهم قتال شديد، وهو الذي كان يتمناه الوحيدي» ثم استطرد العارف قائلا «ومن الذين لم يقتلوا في

الحرب المار ذكرها (علي بن نجدي) من جماعة الأمير داود وهو جد بني عقبة الحاليين.. وقد نزل هذه البلاد مع الوحيدي أمير الجبارات..».

١٠ ـ ذكر لي الشيخ عبدالله محمد وشاح من قرية بيت عفّا من أعمال غزة، أنه عندما كان يعطي دروساً في الوعظ والإرشاد في منطقة الشرقية بمصر المحروسة حيث تخرج هذا الشيخ الفاضل من جامعة الأزهر الشريف، ذكر أنه التقى عدداً من الوحيدات هناك، وأنهم أفادوا بأنهم أشراف من نسل الحسين بن علي رضي الله عنهما.

١١ ـ يقول الدباغ في كتابه ـ القبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين ـ ومن الحسنيين نذكر «الوحيدي» ا. هـ. ولعل الصواب كما اعتقد أن الوحيدي من الحسينيين لا من الحسنيين، وإن كانا من ام واحدة هي فاطمة الزهراء وأب واحد هو علي كرم الله وجهه..

١٢ ـ يقول بعض شيوخ آل الحسيني في القدس الشريف ـ شرفها الله وفك أسرها ـ إن الوحيدي يمت بنسبه الى الحسين.. وقد ناسب فريق من الوحيدات الأسرة الحسينية بغزة..

١٣ ـ يقول الشيخ المحامي الشاعر عبدالله رباح الشريف، إن الوحيدات وآل الشريف في الخليل، هما من أصل هاشمي شريف.

وقد يكون مفيداً هنا ذكر الأقوال التالية :

١ ـ في قرية الطيبة من أعمال رام الله بفلسطين ـ ومعظم أهلها من النصارى ـ ذكر أهلها أنهم يغنون في سامرهم فيقولون: «قزّوا للوحيدات للحملة يشيلوها» وقزوا بمعنى أرسلوا وأما الحملة فربما تعني الهموم الكبيرة والمشكلات المستعصية على الحل..

٢ ـ تتردد على ألسنة النسوة في كثير من قرى غزة مقولة مفادها «حاط عليك الوحيدي والا العزة» وحاط بمعنى ـ خاطب ـ وذلك عندما يرين إمرأة حسنة الهندام متجملة..

٣ ـ تقول القبائل البدوية: الوحيدات خفيفة الملبوس، نقّالة الدبوس.

٤ ـ يغني الرجال وكذلك النساء في زفة العريس في بعض قرى غزة وغيرها، فيقولون: «من الشباك للشباك طلّي يا وحيدية» وهم بذلك ربما يعنون حقيقتين، تؤيدهما القرائن، وهما أن المرأة الوحيدية، حصان رصان، ذات جمال فتان، وأنها محافظة، لا تتنكر لحجاب، ولا تميل لتبرج او سفور..

٥ ـ سمعنا قولاً يردده بعض شيوخ عباد في البلقاء وهو «أنت جايب راس الوحيدي» وذلك عندما يفتخر عليهم أحدهم، بأنه قام دونهم بعمل فريد.

٦ ـ جاء في كتاب ـ تاريخ سيناء، تأليف نعّوم شقير في الصفحة (١١٦) ما نصه:

ومما قيل في أصل الترابين، أنهم من جد يقال له نجم، قدم إلى سيناء مع رجل يدعى الوحيدي، من ذرية الحسن أخ الحسين، فنزلا ضيفين على شيخ كبير من بني واصل، في جبل طور سيناء، وكان لهذا الشيخ بنتان، أحداهما جعدة الشعر، قبيحة الوجه، والأخرى، ذات شعر جميل، ووجه حسن، ولم يكن له ذكور، وكان نجم فارساً مقداماً، ولكنه كان قبيح المنظر، أسمر اللون، وكان الوحيدي، شاباً جميل الوجه، أبيض اللون، فزوج نجماً بنته القبيحة، وزوج الوحيدي، بنته الجميلة، فكان نجم جد الترابين، وهم مشهورون بالبسالة، وقبح الصورة، والوحيدي جد الوحيدات وهم مشهورون بالكياسة، وحسن الصورة.

وقد أقام آل الوحيدي في جزيرة سيناء، زماناً طويلاً، ثم هجروها، وسكنوا غزة، ولا يزال الترابين يحترمونهم إلى الآن.. فيذهب كبارهم، لمعايدة شيخ الوحيدات، ثاني يوم عيد الأضحى، احتراماً لمقامه ونسبه ا.هـ.

٧ ـ وكذلك كان شيوخ الجبارات يفعلون، حيث يأتون إلى الوحيدي لمعايدته أيام عيد الأضحى وعيد الفطر، للسبب عينه.

٨ ـ ولا يزال بعض الطاعنين في السن في منطقة الكرك، يشيدون بما كان الوحيدي يتمتع به من سمعة وشهرة ونفوذ، أثناء كانت مضاربه ضاربة أطنابها هناك.

هذا ما استطعنا للآن أن نتوصل اليه من معلومات، وروايات ومقولات في الحاق نسب هذه العشيرة بأحد سيدي شباب أهل الجنة في الجنة، الحسين بن علي رضي الله عنهما وعن ذريتهما آمين!

أما الروايات المغايرة، لما ذهبنا اليه فأثبتناه، واقتنعنا بصحته فدوناه، فلا مندوحة عن ذكرها، فليس من الأمانة اغفالها أو اهمالها..

وأهم هذه الروايات هي: في رسالة للشيخ حمد الجاسر ـ علامة السعودية ـ يقول هذا الشيخ الجليل في رسالته:

وجه الي الأخ الكريم موسى بن عياد الوحيدي[1] رسالة في جريدة المدينة الغراء (ع ٦٢٣٢ تاريخ ١٨ رجب ١٤٠٤هـ) وخلاصة تلك الرسالة على ما اتضح لي منها:

---

(١)موسى بن عياد الوحيدي هو شقيقي ويعمل حالياً مصححاً في جريدة المدينة المنورة بجدة.

١ ـ الإستيضاح عن بئر ابن هرماس الواقعة في شمال تبوك الى من تنسب؟ ومن هو ابن هرماس؟

٢ ـ ثم نسبتها الى الوحيدي هي وما حولها من المواضع؟ ومن الوحيدي هذا؟

ويحسن قبل ايضاح ما لدي عن تلك البئر ومن تنسب اليه، أن أتحدث باجمال عن سكان شمال الحجاز من القبائل المعروفة في عصرنا الآن وإلى من تنسب!!

إن من أصعب ما يعترض الباحث في أصول أنساب القبائل في الجزيرة في العهد الحاضر، من الأمور محاولة ارجاع كل قبيلة من تلك القبائل الى أصل قديم من الأصول العربية المعروفة في كتب النسب القديمة. فالقبائل العربية منذ أن أكرمها الله بالإسلام وحد بينها بأحكامه وأزال ما بينها من عداوة واختلاف، حتى أصبحت متآخية متواصلة متحابة، وقد زالت عنها الفوارق القبلية، فانصهرت في مجتمع واحد، هو المجتمع الإسلامي، الذي لا يقيم للأنساب وزناً، فالتفاضل فيه، قائم على أساس الأعمال (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وبعد ظهور الإسلام، الى عهدنا الحاضر، والقبائل العربية في الجزيرة، وإن حافظت على أنسابها القديمة، الا أنها تتكافأ تكافؤاً يدفعها الى الاختلاط، ولهذا قل أن تجد قبيلة من القبائل الشهيرة في قلب الجزيرة، تتكون من أصل واحد، لا تخالطها عناصر ليست من ذلك الأصل..

وأشهر تلك القبائل هي جهينة ثم بلي، ثم الحويطات ثم بني عطية حسب تجاورها ـ ولو رجع الباحث الى المؤلفات القديمة، لوجد أن ذلك الجزء من بلادنا الحبيبة، تسكنه عند ظهور الإسلام، قبائل قحطانية تنتمي الى جذمين عظيمين، هما قضاعة وكهلان. ثم يستطرد الشيخ حمد الجاسر فيقول: ومن القبائل التي ترجع أصولها الى قبيلة جذام «بنو عقبة» التي تقع منازلها فيما بين «ضبا وحقل» وكانت قديماً تمتد إلى الكرك، ولكنها انكمشت حتى كادت تنحصر فيما حول «مقنا» ويتابع قوله: وكان لبني عقبة في آخر القرن السابع قوة ونفوذ وصولة في ديارهم بين الشوبك إلى تبوك إلى تيماء والحريداء شرقي الحجر، وما زالت تضعف.. وتشتهر بعض فروعها بأسماء حديثة، حتى أوشك اسم «عقبة» أن يختفي وأن يطغى اسم أحد فروعه عليه.. وذلك الفرع هو «عطية» الذي تنتسب اليه قبيلة بني عطية.. ويقول أيضا: أما انتساب هذه القبيلة إلى معّاز والقول بأن معّازاً هذا أخ لعناز جد قبيلة عنزة، فيظهر أن هذا الإنتساب نشأ حديثاً، بعد أن انتشرت قبيلة عنزة.. بحيث اتصلت منازلها بمنازل بني عطية شمالا، وببلاد قبيلة بلي غرباً.

ويستشهد الجاسر بما كتبه الجزيري الحنبلي في كتابه: درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج الى مكة المكرمة، فيقول ـ أطال الله عمره:

ومما جاء في درر الفرائد المنظمة . . في الكلام على قبيلة بني عطية، بعد أن ذكر سطح «العقبة» ثم العقبة: وأعلم أن درك النقب من السطح الى جانب البحر الملح الذي يزين به أمير البحر «وطاقه» عند دخوله ومحطته بالمناخ، ويعرف قديماً بالحمام. ينقسم درك النقب المذكور إلى أربعة أقسام لأربع بدنات من بني عطية:

الربع الأول «لمشايخ الوحيدات» يقبض ذلك الشيخ عمر بن شاهين بن حسين ابن نجيعة بن هرماس بن مسعود شيخ بني عطية الوحيدات.. ومن الوحيدات حسن بن ندال وأولاده وأولاد الفقير عيد وعميرة.

والقسم الثاني: لطائفة المساعيد من بني عطية . .
والقسم الثالث: لطائفة الرتيمات من بني عطية.
والقسم الرابع: لطائفة الترابين من بني عطية.

وأخيراً استولى جماعة الحويطات على المناخ وصارت تلك البقعة وطناً لهم . . وذكر بعد ذلك، أن من أعيان بني عطية طائفة الرشيدات منهم نعيم بن رمان وصالح بن مذلج وأولاد فريج وعيسى بن نعيم بن هاني ومنهم طائفة الحوارين. . ومنهم الأحيوات منهم أولاد أبي سنينة أصحاب درك الدلالة على المياه، والأحطاب من عقبة آيلة الى شرقة بني عطية. ومن بني عطية طائفة السواركة والجبارات والعميرات من (أولاد عياد) والقديرات من جماعة نعيم بن رمان بن هاني، والزريقات والحديرات والسماسمة من أولاد سعيد، والمناصير والمعازي النازلون بحسما، والكعابنة بنو عطية الكرك.

كما ذكر الجزيري ـ والكلام لا زال للشيخ الجاسر ولكن بتصرف «طبعة اليمامة» أن الحويطات من بني عطية. . ومما تقدم يتضح أن الوحيدات ـ وواحدهم وحيدي ـ من فروع بني عطية، وأن ابن هرماس كان شيخهم في القرن العاشر الهجري. وقد يكون جده هرماس بن مسعود ادرك القرن الثامن الهجري. وكان لابن هرماس لدى الدولة في ذلك العهد منزلة كبيرة، فقد كان شيخهم عمر بن شاهين بن حسين بن نجيعة بن هرماس، يقبض مرتباً في كل سنة تسعمائة واثنين وتسعين ديناراً اشرفياً، وهذا المبلغ، يعتبر ضخماً في ذلك العهد، وهو كثير لما يقبض مشايخ القبائل الآخرون، وهذا دليل على قوة ونفوذ ذلك الشيخ، وسيطرة جماعته، على طريق الحج في ذلك العهد. .

أما عن بئر ابن هرماس، فيقول الجاسر: فهي منسوبة الى ابن هرماس أحد شيوخ بني عطية من الوحيدات، وهي منسوبة الى الوحيدي، لأن ابن هرماس من ذلك الفرع من فروع بني عطية. وهذه البئر تعتبر احدى محطات سكة حديد الحجاز، فيما بين المحتطب وذات الحاج، ولوقوعها على الطريق بين الشام والمملكة السعودية، وهي تبعد

عن حالة عمار بنحو خمسين كيلاً وعن القريات، نحو سبعمائة كيل. ا.هـ.

وإلى هنا تنتهي رسالة هذا الجهبذ النحرير، الشيخ حمد الجاسر، . . وهي الرسالة الموجهة الى شقيقي موسى بن عياد كما ذكرت في غير هذه الصفحة، والتي قطفت يانع ثمارها، واقتطفت ثمين دررها. . والتي ما تركت منها، لم يكن بأقل متعة مما اخذت، وما اخذت، ليس بأقل فائدة مما أبقيت، فقد اقتضت الضرورة هذا الاقتضاب. . كما اقتضت البعد عن الإطالة والاطناب، مما لا يخفى على أولي الألباب. .

وعلى ما في هذه الرسالة، من متع شيقة للغاية، وفوائد أوفت على الغاية، الا ان هذا لا يمنع من ابداء بعض الملاحظات، على عدة فقرات، وردت فيها، هذا تلخيص لها:

١ ـ ولهذا قلَّ أن تجد قبيلة من القبائل الشهيرة، في قلب الجزيرة، تتكون من أصل واحد، لا تخالطها عناصر ليست من ذلك الأصل. . ويضرب مثلاً في بني عذرة فيقول: وقبيلة بني عذرة، أصبح أسمها مجهولاً، ولا شك أنها ضعفت، فاندمجت بقية فروعها، بقبائل أقوى منها. .

٢ ـ اختفى اسم جذام الذي كان مشهوراً في صدر الإسلام، ولكن بقيت لها فروع تجهل انتسابها جهلاً جعلها تنتسب الى غير أصلها القديم. .

٣ ـ كان لبني عقبة في آخر القرن السابع قوة ونفوذ وصولة، وما زالت تضعف وتشتهر بعض فروعها بأسماء حديثة، حتى أوشك أسم عقبة أن يختفي.

٤ ـ واشهر تلك القبائل هي: جهينة ثم الحويطات، ثم بني عطية ـ حسب تجاورها ـ

٥ ـ يتضح أن الوحيدات من فروع بني عطية وأن ابن هرماس كان شيخهم في القرن العاشر الهجري.

٦ ـ الربع الأول لمشايخ الوحيدات، يقبض ذلك الشيخ عمر بن شاهين بن حسين بن نجيعة بن هرماس بن مسعود شيخ بني عطية الوحيدات.

هذا ملخص متواضع لرسالة الشيخ، ولنا عليها تعقيب:

١ ـ أن التعقيب على هذه الفقرات، يحملني على الشك بأن الوحيدات، من بني عطية لأسباب واعتبارات وردت في ثنايا كلام الشيخ. . ومنها: ان القبائل تداخلت في بعضها. . فمنها من اختفى نهائياً ومنها، من أخذ اسماً آخر، ثم ان نسبة بني عطية الى الوحيدات، وليس العكس، في الفقرة السادسة، لها دلالتها ولا شك. .

٢ ـ جاء في سبائك الذهب في معرفة انساب العرب: «قد ينضم الرجل الى غير قبيلته بالحلف والموالاة، ثم يدخل في قبيلة أخرى، فينسب اليهم، فيقال حليف بني فلان

أو مولاهم، واذا كان الرجل من قبيلة ثم دخل في قبيلة أخرى، جاز أن ينسب الى قبيلته الأولى وأن ينسب الى قبيلته الثانية التي دخل فيها. . وربما انطبق هذا القول على الوحيدات في تداخلهم ببني عطية ـ الحويطات ـ وربما كان العكس صحيحاً!

٣ ـ وقد لا يخلو من فائدة أن نذكر أن هناك فصيلة تدعى «بنو عطية او العطيات» تداخلت في هذه العشيرة وحملت أسمها ـ أنظر شجرة النسب.

٤ ـ ذكر القلقشندي في كتابه صبح الأعشى أن الحمداني قال «والمشهور من جرم الآن جذيمة، ويقال ان لهم نسباً في قريش، وقيل بل جذيمة بن مالك بن حنبل بن عامر ابن لؤي بن غالب بن فهر، كما قال أيضا: ومن جرم بنو ثعلبة بن عمرو بن الغوث ومن بني الغوث بنو هرماس».

٥ ـ يقول الدباغ في كتابه «قبائل العرب وسلائلها في بلادنا فلسطين، أن هرماس هو ابن جذيمة بن الغوث بن البها من جذيمة، ويقول أيضاً في كتابه، بلادنا فلسطين: بنو هرماس: ومن احفادهم آل الماضي، ـ الذين ينتسبون إلى الوحيدات ـ زعماء اجزم من أعمال حيفا. .

فإذا افترضنا صحة ان بني هرماس هم الوحيدات، فيكونون بذلك من جذيمة، وجذيمة من جرم وهذه تنتسب الى قريش. . وزيادة في الايضاح: نقتطف من كتاب: درر الفرائد المنظمة في اخبار الحج الى مكة المكرمة لعبد القادر بن محمد بن عبدالقادر الأنصاري الجزيري. نقتطف الفقرات التالية: «ان آيلة قرية كبيرة، فيها أسواق ومساجد. . ومن آيلة يسير ـ أي ركب الحجيج ـ الى العقبة التي لا يصعدها راكب لصعوبتها، ولا تقطع الا في طول اليوم لطولها. .» وقال صاحب تقويم البلدان «وآيلة كانت مدينة صغيرة وكان بها زرع يسير. . وهي مدينة اليهود والذين جعل منهم القردة والخنازير وهي على ساحل بحر القلزم وعليها طريق حاج مصر، وهي في زماننا برج وبه وال من مصر، وليس بها من زرع وكان لها قلعة في البحر فأبطلت، ونقل الوالي الى البرج في الساحل» ثم يواصل الجزيري حديثه في درره المنظمة فيقول: «وقد استجد بها النخل الذي بشاطىء البحر وبعض حدائق بالوادي، وجميع ذلك لبني عطية الحويطات، وانما قيل لهم الحويطات، لما بنوه من بعض الحيطان على النخل، وبعضه أيضاً لغيرهم من بني عطية» ويقول في موضع آخر: «فلما نما أمر الحويطات من بني عطية وكثروا زاد نخلهم في ذلك الدرك».

ويتضح مما تقدم، أن الحويطات هم بنو عطية، والعكس صحيح، في حين ورد في رسالة الشيخ الجاسر قوله: «وأشهر تلك القبائل هي: جهينة، ثم بلي، ثم الحويطات، ثم بني عطية ـ حسب تجاورها ـ ولا اعتقد أن هذا الالتباس ورد سهواً من

الشيخ، وهو شيخ التحقيق والتحري الدقيق.. اذ ربما اعتمد في هذه المسألة مرجعاً، لم تقع العين عليه..

ويقول سمير عبدالرزاق القطب في كتابه: انساب العرب.. عن قبيلة الحويطات: تقع منازل الحويطات بين تيماء جنوباً والكرك شمالاً، ووادي السرحان والنفوذ الكبير شرقاً وساحل خليج العقبة وشبه جزيرة سيناء غرباً وتقسم الحويطات الى ثلاث بطون:

١ ـ حويطات التهمة.

٢ ـ الحويطات العلويون أوْ العلاويون.

٣ ـ حويطات ابن جازي.

ثم يعدد القطب بعد هذه التقسيمات، العشائر التي تتألف منها وليس بينها عشيرة الوحيدات.

وفي مكان آخر، يقول القطب: تدعي الحويطات، أنهم من الأشراف، ولكن غير مسلم وغير ثابت ا.هـ

وقال بعضهم: الحويطات أشراف النسب أي أبناء النبي من ابنته فاطمة.

ونقرأ في درر الفرائد ما يلي:

اعلم أن درك السطح الى جانب البحر الملح، حيث المحل الذي يزين به أمير الحاج طلبة «ولعلها وطاقة» لدخول المناخ، ويعرف قديماً بالحمام، ينقسم الى أربعة أقسام:

الربع الأول: عربان «الوحيدات» من شيوخهم عمر بن شاهين بن حسين بن نجيعة بن هرماس بن مسعود، وهو في زماننا عين هذه الطائفة والقابض لجميع ما يحضره أمير العايد من مبلغ الدرك، ويفرقه هو على أربابه، ومن الوحيدات: حسن بن بذّال[1] وأولاد الفقير عيد وعميرة، وجماعات كثيرة، وفي فقرة ثانية، يقول صاحب الدرر المنظمة:

ان عربان الوحيدات بواو مضمومة وحاء مهملة مفتوحة، شيخهم عمر بن شاهين المقرر لهم قديماً على درك الخان القديم، الذي كان بناه الظاهر بيبرس وهدم في الأيام الغورية، وأعيد بناؤه جديداً على يد الأمير خاير بيك المعمار، في سنة خمس عشرة وتسعمائة، اثنان وأربعون ديناراً، وهي مستمرة الصرف الى تاريخه، وتسمى في عرفهم

---

(١) في رسالة الشيخ الجاسر: «نذال» وليس «بذال».

النجيعية.. ثم قرر باسم شاهين في الدولة المظفرية على يد الأمير خاير بيك ملك الأمراء، مرتباً، لا دركاً، مائتان وخمسون ديناراً، وصرف بعده بيد أولاده الى تاريخه..

ثم لما تولى محمد شلبي ناظراً علي الأموال المصرية، قرر باسم عمر بن شاهين من الخزائن العامرة، خمسمائة دينار انعاماً، لا على درك، فحسدته بقية الطوائف، حيث لم يكونوا شركاء له في ذلك، واستمرت الى تاريخه..

وفي فقرة أخرى، نقرأ للجزيري في فرائده؛ فقد علمت أصحاب الأدراك، والمقررات، وهم: الوحيدات، والمساعيد، والرشيدات، ويليهم دون ذلك، الترابين في درك النقب على العايد، وكذلك السواركة والرتيمات والأحيوات، في أمر خاص كالسواقة والدلالة، وما عدا ذلك، فهم اعداد وعداد.. وشرور وفساد... وأما الجبارات فليس لهم درك معلوم ولا مقرر. ا.هـ

فائدة

وأخيراً تحسن الإشارة، الى الفائدة التالية، وهي من كتاب الدرر المنظمة، سالف الذكر: مدة الإقامة بالمناخ ثلاثة أيام، بيوم الدخول اليه، وينصب به سوق كبيرة، فيها من البضائع والفواكه، ما لا يوجد في غيره، وقد يتفق فيه، في بعض الأوقات، من كثرة الفواكه وغيرها ورخص اثمانها، ما لا يوجد في المصر الكبير، فإن الوارد اليه، من غزة والقدس والكرك، وغيرها، من الحجاج والسوقة والباعة، ما يعدّ موسماً في كل سنة، والعقبة آخر حد من غيرها، وبها الاغنام والسمن والعسل والدبس والزيت والسيرج وسائر الحبوب، ويوجد بها الجمال والبغال والحمير والبهائم للبيع. ا.هـ

مقابلة وترجيح

ذكرنا أن عشيرة الوحيدات، تمتد بنسبها، الى أزكى نسب، وترتفع بحسبها، الى أعلى حسب، ذلك، أنها تنتسب الى الحسين بن علي رضي الله عنهما وعن آلهما أجمعين.. وسقنا من البراهين الكثير، ومن الأدلة العدد الكبير، على ما ذهبنا اليه، ثم لم نأنف بعدها، من ذكر آراء من خالفنا في رأينا، على الرغم من أن الحجج التي اوردها هذا الفريق، تفتقر الى البراهين الساطعة الصحيحة، وتعوزها الأدلة الواضحة الصريحة.

والمذهبان موضوعان على المحك، وعلى منضدة التشريح، فمن يدري. فربما تبين غداً أو بعد غد، مذهب آخر، وأقوال أخر!! تكون هي الصحيحة وما ذهبنا اليه هو الخطأ! بل ربما اثبت غيرنا مستقبلا، أن هذه العشيرة تنسب الى: الوحيد. والوحيد

هذا عدناني النسب، وهو الوحيد بن عامر بن أبي صعصعة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر - وهو من قريش.

على أن الذي لا نأنف من ذكره أيضاً، هو أننا سنظل نردد «أهل مكة ادرى بشعابها».

والله أعلم بالصواب، واليه المرجع والمآب، و(من أسرع به عمله، لم يبطىء به حسبه، ومن ابطأ به عمله، لم يسرع به نسبه) أو كما قال رسولنا ﷺ.

أبنــاء المــؤلف



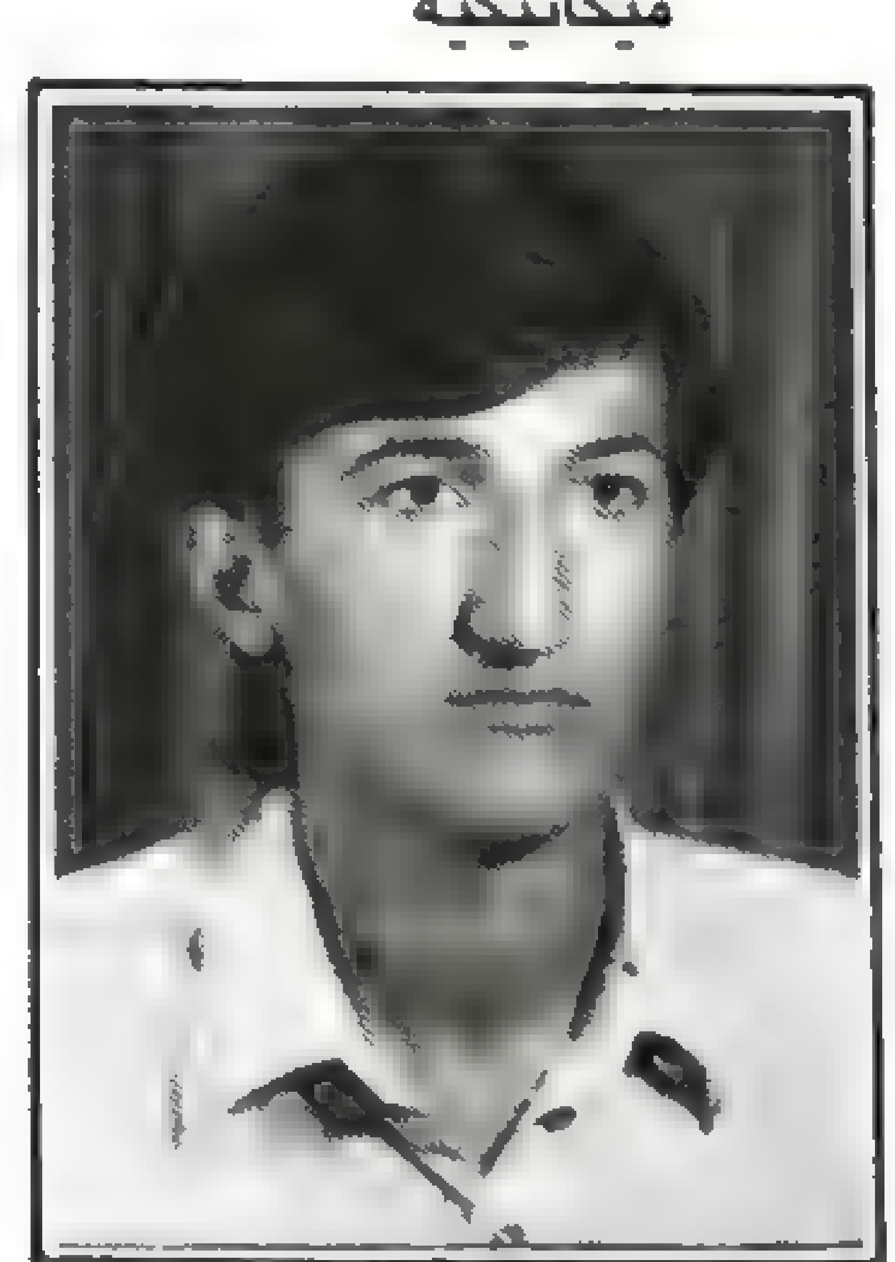
وليد. بكالوريوس هندسة ميكانيكية



بديع دبلوم رسم هندسي ميكانيكي



محمد دبلوم مساحة



علي دبلوم هندسة مدنية

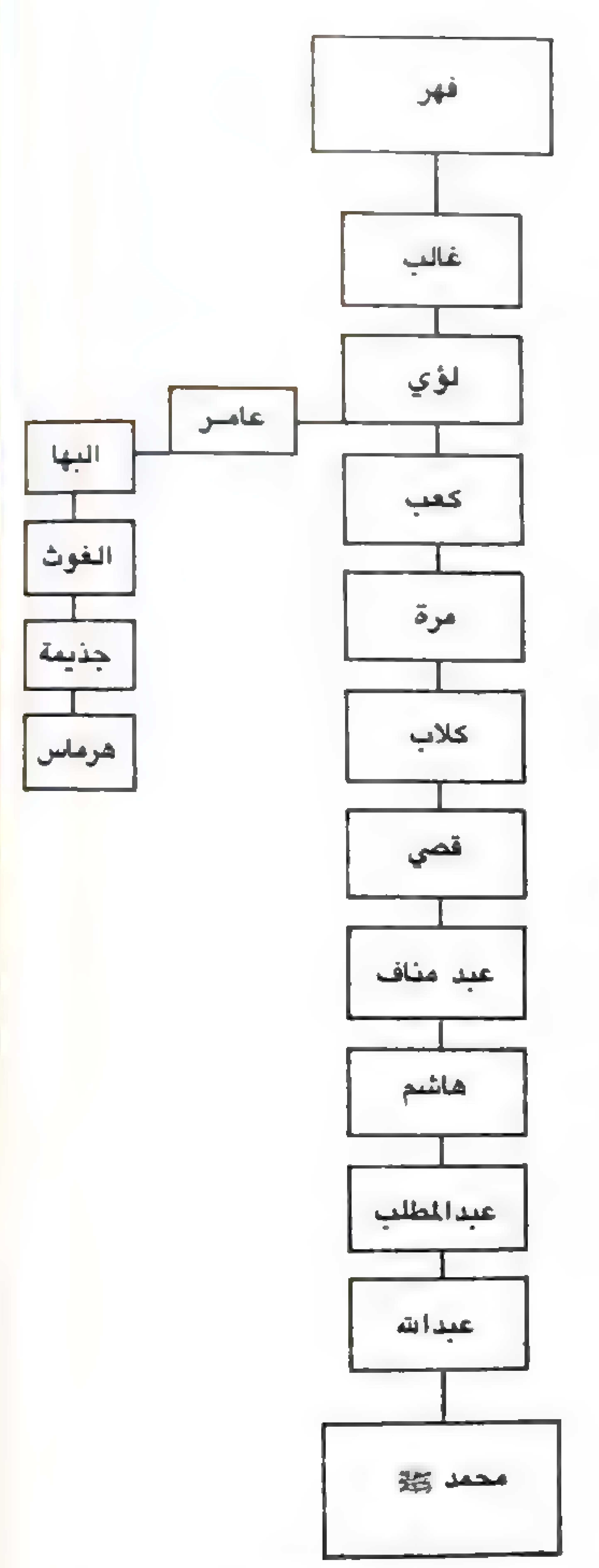


عبدالله طالب ثانوي



جمال الدين طالب اعدادي

نسب سيدنا محمد ﷺ



هو أبو القاسم، محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر. وإلى فهر جماع قريش ومن كان فوق فهر فليس هو بقرشي.

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ، كان إذا انتسب، لم يجاوز في نسبه معد بن عدنان بن ادد، ثم يمسك ويقول: (كذب النسابون) قال الله تعالى (وقروناً بين ذلك كثيراً).

وروي عن ابن عباس أيضاً عن رسول الله ﷺ انه قال (لما خلق الله تعالى آدم، أهبطني في صلبه إلى الأرض، وحملني في صلب نوح في السفينة، وقذف بي في النار في صلب ابراهيم، ثم لم يزل ينقلني من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة، حتى أخرجني من بين أبوين لم يلتقيا على سفاح قط) ويُروى أنه قال (فأنا خيار من خيار من خيار) وإلى هذا أشار العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه بقوله:

من قبلها طبت في الجنان وفي ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ... أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ... ألجم نسراً وأهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم ... اذا مضى عالم بدا طبق

عود على بدء

ووفقاً للروايات المذكورة في الصفحات السابقة، يكون الوحيدي هو «هرماس» ـ أنظر شجرةالنسب ـ وهرماس كما لا يخفى، معناه ولد الأسد أو ولد النمر. ولعل من الطريف ان نذكر أن أبا الدقيس الكلابي[1] سئل لم تسمون ابناءكم بشر الأسماء نحو كلب وذئب.. وعبيدكم بأحسن الأسماء، نحو مرزوق ورباح، فقال انماسمي ابناءنا لاعدائنا وعبيدنا لانفسنا، يريد أن الأبناء معدة للأعداء، فاختاروا لهم شر الأسماء، والعبيد معدة لانفسهم، فاختاروا لهم خير الأسماء.

وقال الحمداني والمشهور من جرم الآن جذيمة، ويقال إنّ لهم نسباً في قريش، وقيل بل من جذيمة بن مالك بن حنبل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر. ثم قال وجذيمة هؤلاء منهم بنو الغوث وبنو البها وبنو هرماس. ا.هـ.

فإذا كان بنو هرماس هم الوحيدات حقاً، فيكون الوحيدات بذلك قرشيين لا حسينيين. والله أعلم.

بنو جذيمة[1]

البها
الغوث
جذيمة
هرماس
بنو سهل
العبادلة

(١) عن كتاب: القبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين لمصطفى مراد الدباغ.

---

(١) سبائك الذهب

على هامش القضية الفلسطينية

فلسطين في التاريخ :

كان اليهود قبل أن يقيموا كيانهم في فلسطين، يرددون مقولة خاطئة مغلوطة، مفادها: أن فلسطين أرض بلا شعب، وأن اليهود شعب بلا أرض. . كما كانوا يدّعون زوراً وبهتاناً، بأن فلسطين، هي أرض أجدادهم وآبائهم. وأن «الرب» أعطاها لهم دون غيرهم من عبادالله. . وهذه المقولة المفزعة المفجعة، وهذا الإدعاء الفارغ الفاجر. وهذه الأسطورة الكاذبة، إن هي الا من جملة الإفتراءات والخزعبلات، التي لا حصر لها ولا عد، والتي طالما نفثتها سمومهم الحاقدة، وأعلنوها لمشايعيهم ومماليئهم في غرب وشرق. . إلى أن أخذت هذه المقولة طريقها إلى حيز التنفيذ على يد أحفاد صليبيي هذا العصر من الإنجليز والأمريكان والفرنسيين وغيرهم، وإلى أن أصبح هذا الإدعاء عندهم حقاً من حقوقهم المشروعة حسب واقع الحال، ولإيمان ملة المستعمرين وجملة الإمبرياليين به، ايماناً دفعهم حماسه، الى تأييده تأييداً مطلقاً وبلا حدود. . على الرغم بأنه حتى عام ١٩١٧م لم تكن فلسطين تضم سوى أقلية ضئيلة من اليهود، وذلك أن ما يقرب من ٩١٪ من مجموع السكان كانوا مسلمين ومسيحيين، وكانت الصهيونية تردد هذه الأسطورة في وقت لم يكن يوجد قط ما يسمى بالشعب اليهودي. وفى عام ١٩٤٨ عندما طرد اليهود بقوة السلاح أكثر من مليون فلسطيني من ديارهم وممتلكاتهم، تبين للعالم أجمع بأن فلسطين لم تكن يوماً بدون شعب، وبذلك تسقط الفرية الصهيونية، وتتلاشى اسطورتها الكاذبة. .

إن فلسطين، هذا الجزء الغالي من بلاد الشام «سوريا ولبنان وفلسطين والأردن» كانت على مدار التاريخ، تعرف بأنها القسم الجنوبي من بلاد الشام هكذا عرفها المؤرخون القدماء، وهكذا عرفها مؤرخو الحروب الصليبية فيما بعد. .

وقد كانت فلسطين، بمثابة الدرة اليتيمة لتاج الخليفة العثماني، قبل أن يهتز عرشه، تحت ضربات المستعمرين، وكان عدد سكانها يومذاك ٧٥٠ ألفاً، يشكل اليهود سبعة في المائة من مجموع سكانها تقريبا.

إن هذا الجزء الصغير من بلاد الشام، كان يعرف أيضاً بأرض كنعان، حيث كان هؤلاء الكنعانيون العرب هم سادة هذا الجزء من سوريا، ويذكر المؤرخون، ان الكنعانيين، استمروا في حكمهم هذا مدة ألف وخمسمائة سنة، ومن الغريب أن توراة اليهود لا تنكر هذه الحقيقة، بل تؤيدها حين تذكر أن يهود استقروا جنوبي القدس بأرض كنعان، بعد أن عبروا اليها عن طريق نهر الأردن، وكان الذي دخلها منهم، هو

يوشع بن نون عام ١١٨٦ ق. م وكان أول مدينة دخلها يوشع وهو خليفة موسى النبي، هي مدينة أريحا. . أما كيف دخلها، فمع أن هذا ليس مجال بحثنا، إلا أننا كمثال بسيط، على وحشية اليهود وبربريتهم، نورد فيما يلي ما تقوله توراتهم عنه «أهلكوا احرقوا. . كل ما في المدينة - أريحا - من رجل وامرأة وشيخ وطفل حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها. أمّا الفضة والذهب فاجعلوها في خزانة بيت الرب».

ونفذوا وصية توراتهم، وتركوا أريحا خراباً يباباً. .

ولا يستطيع أحد انكار ما فعل اليهود بأريحا، ونحن نرى بأم أعيننا في عصرنا الحالي، ما فعلوا بدير ياسين وقبية ونحالين وبحر البقر وصبرا وشاتيلا وغيرها. ولكنهم كما دخلوها أول مرة عام ١١٨٦ ق. م كما اسلفنا، فإنهم قد خرجوا منها، فبعد موت سليمان بن داود عام ٩٣٥ ق. م انقسمت مملكتهم الى قسمين: هما مملكة يهوذا ومملكة اسرائيل، اذ سرعان ما تعرض هذا الكيان الهزيل، الى الغارات المدمرة على يدي ملك مصر عام ٩٣٥ ق. م وأيدي ملوك الأشوريين والكلدانيين. . ثم كان عام ٥٨٤ ق. م نهاية الكيان السياسي لهذه المملكة المسخ، على يد نبوخذ نصر - أو ناصر - الذي أحرق هيكل سليمان وساق ملكهم وجنودهم أسرى الى بابل، لتعود بذلك فلسطين، الى سابق عهدها، بلداً عربياً خالصاً، تتوافد اليها الهجرات العربية من كل حدب وصوب. .

على أن فلسطين، وإن ظلت تتناوبها دول مختلفة على فترات تاريخية متفاوتة، فهذه سنة الله التي لن تجد لها تحويلا أو تبديلا، فإن هذا لم ينف وجود العرب فيها تماماً، فقد ظلت تعيش بها أجيال عربية وأجيال. . ثم أن الحكم اليهودي لفلسطين لم يدم اكثر من سبعين عاماً قوياً متماسكا، كما لم يكن يسيطر على كل تراب فلسطين ابان حكمهم لها. . .

يقول براستد في كتابه: تاريخ العصور القديمة:

. . حين دخل العبرانيون في فلسطين، وجدوا الكنعانيين يقيمون في مدن زاهرة، ولم يستطيعوا أن يفتحوا الا المدن الضعيفة، حتى ان القدس الشريف هزئت بحملات مهاجميها العبرانيين بضعة قرون. . ومع أن يوشع تغلب أخيراً على المقاومة العربية، فقد بقي الساحل جميعه من عكا الى سيناء، كما بقيت سهول عكا وبيسان وشمال يافا وغيرها من السواحل والسهول والأراضي الخصبة في ايدي أصحابها سكاناً وحكومات. . ا. هـ.

ومع بزوغ فجر الإسلام في عام ٦٣٦ م انجاب عنها آخر ظل للاحتلال، الروماني، فتطهرت من دنس الرومان ورجسهم، ودخلت في حوزة الإسلام طاهرة

نقية، وتفيأت ظلاله الوارفة، وبدأت حياة جديدة، ناعمة ناغمة في ظلال الإسلام، ولما كان دوام الحال من المحال، فقد بدأ تطور كبير، يفرض نفسه، ويبسط ظله، فوق منطقة الشرق برمتها، ورحم الله القائل:

إذا تـم أمـر بـدا نقصـه توقــع زوالا اذا قيـل تـم

فلسطين والسلطان عبد الحميد

عندما عرض الصهيوني الكبير ثيودور هرتزل عروضاً مغرية على السلطان عبدالحميد ومن جملتها، مليونان من الجنيهات، ثمناً لاجابة مطلب اليهود في السماح لهم بالهجرة الى فلسطين، وتأسيس المستعمرات فيها، قال السلطان قولته المشهورة التي كتبها له التاريخ على صفحات خده، بيراع من ذهب، ومداد من نور، وحفظها في قلبه الى يوم الدين.. قال هذا السلطان: رداً على طلب اليهود واغراءاتهم: «انصحوا الدكتور هرتزل بالا يتخذ خطوات جدية في هذا الموضوع، إني لا استطيع أن اتخلى عن شبر واحد من الأرض، فهي ليست ملك يميني، بل ملك شعبي، لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الأرض، ورواها بدمه، فليحتفظ اليهود بملايينهم واذا مزقت امبراطوريتي يوماً، فإنهم يستطيعون آنذاك، أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن، أما وأنا حي، فإن عمل المبضع في بدني، لأهون علي من أن أرى فلسطين قد بترت من امبراطوريتي، وهذا أمر لا يكون، اني لا استطيع الموافقة على تشريح اجسادنا ونحن على قيد الحياة».

إنه موقف مشرف لهذا السلطان العثماني ولا شك، على أنه لا غرابة في هذا الموقف، وهو من سلطان المسلمين، اما الغرابة في هذا الأمر، فهي ان نبوءة السلطان قد تحققت، فهاهم اليهود، قد وصلوا الى هدفهم المنشود، وإن كان ذلك على جثثنا نحن أهل فلسطين خاصة، والعرب والمسلمين عامة، وليس على جثث أبناء السلطان وأحفاده.

فبعد[1] أنْ شاخت تركيا، وردّت الى ارذل العمر، أخذت كلاب الغرب المسعورة، تنهش جسدها الهزيل النحيل، الى ان مزقته أو كادت، وبعد أن كانت الشمس لا تغيب عن ممتلكاتها، تقلصت وتحجمت، حتى أصبحت الشمس تمر عنها، كما كانت تمر ذات يوم عن أصحاب الكهف... واقتسمت دول الاستعمار ممتلكاتها، وكان لبريطانيا نصيب الأسد في هذه الممتلكات، فقد استولت ـ فيما استولت عليه ـ على فلسطين.. درة المشرق وقلبه النابض..

---

(1) من مقال لي بعنوان: نبوءة السلطان.. نشر في جريدة الرأي الأردنية بتاريخ ٢٢/١١/٨٢.

وفي مدينة القدس، قلب فلسطين، ومهوى أفئدة الأنبياء والمرسلين، ومهبط الوحي الأمين، يقف الجنرال الإنجليزي الحاقد «اللنبي» أمام ثلة من جنده، ويخطب في أهل القدس وأعيانها قائلا: اليوم انتهت الحروب الصليبية(!).

وفي دمشق أيضاً، وعند قبر صلاح الدين، يقول الجنرال الفرنسي الحاقد «غورو» مخاطباً صلاح الدين: ها نحن عدنا يا صلاح الدين فأين احفادك(!)

احتلال بريطانيا للعالم العربي

كان الإستيلاء على العالم العربي، حلماً كبيراً، يراود بريطانيا وفرنسا وغيرهما من أساطين الإستعمار، فهذا الوطن، فضلاً عن موقعه، الإستراتيجي الهام، فإن في سلخه عن جسم الخلافة التركية، ما يضعف قوة تركيا ويهز كيانها من الأعماق. . وهو مطلب خفي، تغلغل في أعماق أحفاد الصليبيين منذ القدم. . فإن لبريطانيا فوائد كبيرة، يمكن أن تجنيها من الاستيلاء على الوطن العربي، فيما اذا تم لها ذلك، منها الحصول على خيراته الوفيرة، وكنوزه الدفينة الكثيرة، ومنها وهو الأهم تأمين طريقها الى درة التاج البريطاني - الهند - كما كان لفرنسا اطماع استعمارية هي الأخرى، لا تقل أهمية عن أطماع بريطانيا لها. .

وإبان الحرب الكونية الأولى، وبين سنتي ١٩١٥م و ١٩١٦م على وجه التحديد، نظرت بريطانيا بعين بصيرتها، فلم تجد الوضع العسكري في الوطن العربي مريحاً لها، فقدمت للعرب السم في الدسم، وأغرتهم بالوعود والعهود، بمنحهم الاستقلال لبلادهم، ان هم ساعدوها ضد الأتراك!

ولما كان العرب تواقين للاستقلال، نزاعين له، فقد اعلنوا الحرب على دولة الخلافة الإسلامية ووقفوا جنباً الى جنب مع القوات البريطانية وكانت المراسلات بين الشريف حسين وبين السير هنري مكماهون، هي المقدمة لذلك، وقد جاء في الرسالة الأولى التي ارسلها الشريف حسين الى مكماهون بتاريخ ٢٨ رمضان سنة ١٣٣٣هـ الموافق ١٩١٥/٧/١٤م ما يلي: «أن تعترف انجلترا باستقلال البلاد العربية من مرسين - أضنة - حتى الخليج الفارسي شمالا، ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقاً ومن المحيط الهندي، للجزيرة جنوباً، ومن البحر الأحمر والبحر المتوسط غرباً.

هذا ولما كان الشعب العربي باجمعه قد اتفق «والحمد لله» على بلوغ الغاية، وتحقيق الفكرة، مهما كلفه الأمر، فهو يرجو الحكومة البريطانية ان تجيبه سلباً أو ايجاباً في خلال ثلاثين يوماً من وصول هذا الإقتراح. واذا انقضت هذه المدة، ولم يتلق جواباً فإنه يحتفظ لنفسه بحرية العمل كما يشاء وفوق هذا فإننا نحن عائلة الشريف نعتبر أنفسنا -

إذا لم يصل الجواب ـ أحراراً في القول والعمل من كل التصريحات والوعود السابقة، التي قدمناها بواسطة علي أفندي».

ولما كانت بريطانيا تضمر الغدر، وتكنّ الشر للعرب، فقد نقضت عهودها معهم، ففي عام ١٩١٦م جرت بين بريطانيا وفرنسا مراسلات، وعقدت اجتماعات، واتفقتا فيما بعد على اقتسام البلاد العربية، في اتفاقية مكتوبة بينهما، ظلت مدة طويلة، حبيسة الخزانات السرية والأضابير الخفية. . الى أن افتضح أمرها في روسيا. على أيدي الثوار البلاشفة، سنة ١٩١٨م وبذلك يصدق في الحليفة قول الله عز وجل **(ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم)**.

وهذا نكث صريح، ونقض قبيح، من بريطانيا الحليفة، لمواثيقها، التي تعهدت بها للعرب بقيادة الشريف، فهل يا ترى بقي الأمر عند هذا الحد؟ أم أن أطماع المستعمرين لا حدود لها ولا نهاية!!

إن مداد المواثيق والعهود لما يجف بعد، وأن المؤامرة لم تتحجم ولم تتقزم، بل على العكس من ذلك، فقد كبرت المصيبة، وعظمت البلوى، واشتد الخطب، ففي هذه الظروف السيئة، يصدر وعد بلفور المشئوم. .

نص تصريح وعد بلفور

«إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى اقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي، وسوف تفرغ مساعيها لتسهيل بلوغ هذه الغاية، وليكن معلوماً، أنه لا يسمح باجراء شيء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية، التي للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين الآن، أو بالحقوق التي يتمتع بها اليهود في البلدان الأخرى وبمركزهم فيها».

رجع الصدى

بعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها، وانطفأ لهيبها وأوارها، ونشأت القضية الفلسطينية، كمشكلة تشغل الأذهان، منذ ذلك الزمان والى هذا الأوان، وتمت التجزئة حسب معاهدة سايكس ـ بيكو، واحتل الإنجليز فلسطين، لتنفيذ وعد بلفور، والأردن والعراق، كما احتلت فرنسا سوريا ولبنان، في تلك الآونة، بدأت الحركات العربية في الظهور بشكل ملموس وملحوظ، لكن المقام لم يطل بها، حتى أصابها الوهن، وفتت قواها التجزئة، ففقدت وحدتها العضوية التي هي أساس قوتها واندفاعها، وأصبحت

اخيراً، ذات قيادات متعددة، منفصلة، ثم ما عتمت أن أصبحت هذه الحركات، تعمل داخل اطر اقليمية وقطرية ضيقة..

على أن الحركة الجهادية الفلسطينية، التي ولدت على أيدي أبناء فلسطين كانت ذات جذور روحية فاعلة، وكانت هناك علامات ربط واضحة، بين هذه الحركة الفلسطينية وبين الحركة الوطنية السورية من جهة والعراقية من جهة أخرى، وبقي الحال على هذا المنوال، إلى أن استقلت بعض الدول العربية، وأخذت زمام المبادرة في تحرير فلسطين من أيدي اعدائها، وكان أن دخلت الجيوش العربية الميدان، كما سنرى فيما بعد..

وإذا كان هذا الكابوس قد جثم على صدور شعب فلسطين، فإن هذا الشعب وان كان أول من تلقى الصدمة، الا ان تأثير هذا الكابوس وثقله، قد امتد الى سائر الجسد العربي، فهزه من قمة رأسه الى أخمص قدميه، وكما أن هذه الصدمة ليست الأولى ولن تكون الأخيرة، فإننا نرى من المفيد أن نتعرض بشكل موجز الى تحركات الجيوش الأجنبية، وتدخلها في البلاد العربية، قديماً وحديثاً، فلعل فيها لنا عبرة، ولعل لنا فيها عظة، اوجزها الكاتب ابراهيم خليل احمد في كتابه المسمى: اسرائيل فتنة الأجيال:

أولا : الحروب الصليبية

هزيمة الصليبيين على أيدي المصريين عام ١٢٢١م ثم هزيمتهم وازالتهم من الوجود العربي «الفلسطيني والمصري» عام ١٢٤٩م وأسر الملك لويس التاسع ملك فرنسا في مدينة المنصورة.

ثانيا : الإحتلال الفرنسي

١ ـ ١٧٩٨ ـ ١٨٠١ مصر
٢ ـ ١٨٣٠ ـ ١٩٦٢ الجزائر
٣ ـ ١٨٨١ ـ ١٩٥٦ تونس
٤ ـ ١٩١٢ ـ ١٩٥٦ مراكش بالإشتراك مع اسبانيا
٥ ـ ١٩١٨ ـ ١٩٤٦ سوريا ولبنان

ثالثا : الإحتلال الإنجليزي

١ ـ ١٨٣٤ ـ ١٩٦٧ عدن
٢ ـ ١٨٨٢ ـ ١٩٥٦ مصر
٣ ـ ١٨٩٩ ـ ١٩٥٦ السودان

رابعاً : الإحتلال الإيطالي

١٩١١ ـ ١٩٥١ ليبيا

خامسا : التآمر على فلسطين

١٩١٦/٥/١٦ معاهدة سايكس/بيكو

١٩١٧/١١/٢ وعد بلفور

١٩٢٢ صك الإنتداب البريطاني على فلسطين.



الشق عام ١٩٦٢ م



والد المؤلف: واقفاً خلف بيته

العودة إلى وعد بلفور

كانت بريطانيا كما مر، قد أصدرت وعد بلفور بتاريخ ١٩١٧/١١/٢ م وأبلغته سراً الى زعماء اليهود في حينه، وهو لم يصدر الا بعد أن اطمأنت بريطانيا الى أن العرب قد صدقوا وعودها واطمأنوا إليها، ووثقوا بمواثيقها التي قطعتها على نفسها في الإعتراف بالاستقلال والوحدة العربية الكبرى. . . .

وعندما علم به ـ وعد بلفور ـ الجيش العربي الذي كان يضم كثيراً من الضباط والجنود العرب، الذين انضموا اليه بعد انسلاخهم عن وحداتهم العسكرية في الجيش التركي، وكانوا آنذاك، قد اقتربوا من العقبة، عندما علموا به، استشاطوا غضباً، وتميزوا غيظاً، وامتلأت قلوبهم حقداً وضغينة على بريطانيا. فهموا بالتوقف، عن مواصلة السير والاحجام عن المشاركة في الحرب، الى ان ينجلي الموقف، ويتبين لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من هذا الموضوع. . . الأمر الذي جعل الشريف حسين يوجس منه خيفة، ويرتاب منه، فأرسل الى البريطانيين يستوضح عن حقيقة الأمر، فجاء الرد من الانجليز، سريعاً، خوفاً من ردة الفعل عند العرب، وكان في ظاهر الرد ما يطمئن، اذ ورد فيه ما يؤكد، بأن «الوعد هو عبارة عن الموافقة، على ايواء اليهود في فلسطين فقط لأسباب روحانية وثقافية. . وهو في الحقيقة، لم يكن كذلك، بل هو المكر والخديعة والغدر، وهي الصفات التي تتميز بها بريطانيا، وكل دولة مستعمرة. . . وقد خفيت هذه الحقيقة على العرب، لصادق نواياهم وخالص طواياهم. . . وكم كان شوقي صادقاً في قوله:

كلنا وارد السراب، وكل ... حمل في وديعة الذئب طاعم
قد رجونا من المغانم حظاً ... ووردنا الوغى فكنا الغنائم

الحصاد المر

انتهت الحرب العالمية الأولى، وانتصر الانجليز على الأتراك، بمساعدة العرب لهم، وتكشفت كافة الأسرار، وافتضح أمر المؤامرات التي كانت تحاك في الظلام ضد العالم العربي والإسلامي وتمزقت خريطة الشرق على يد معاهدة سايكس/بيكو وظهر وعد بلفور على حقيقته، وتمت الموافقة الدولية على صك الانتداب البريطاني على فلسطين. . وعين هربرت صوموئيل ـ وهو يهودي الأصل ـ كأول مندوب سام لفلسطين. .

وهكذا تكون الافعوانية البريطانية والعدوانية الاستعمارية، قد هيمنت على فلسطين، فأخضعتها لقوانين جائرة خبيثة، تستهدف سلب الفلسطينيين أراضيهم ومقدراتهم، ومن ثم تكثيف الاستيطان اليهودي، تمهيداً لإقامة كيانهم السياسي في فلسطين، وكان من هذه القوانين:

١ ـ قانون الهجرة اليهودية: فقد فتحت بهذا القانون أبواب فلسطين لجميع اليهود من كافة أقطار الدنيا.

٢ ـ حق التصرف في الأرض: فقد كان السلطان التركي معتمداً على التشريع الإسلامي، الذي يبيح فيه حق التصرف في الأرض فلما كانت بريطانيا هي الوارث لتركيا، فقد اعتمدت هذا التشريع ووظفته لصالح اليهود، فأخذت تتصرف كيف تشاء، في اراضي فلسطين. وقد أضافت للدستور الفلسطيني مادة تقول: بما ان الشرع الاسلامي، خول السلطان صلاحية تحويل الأراضي الميري الى اراضي الملك، فانه من المناسب تحويل المندوب السامي هذه الصلاحية (!).

٣ ـ كان أصحاب المشاريع من حقهم الاستيلاء على أرض تخص مشاريعهم في حالة عدم موافقة ملاك الأراضي على بيعها، ولصاحب المشروع ان يودع الثمن المحكمة، وليس يخفى أن أصحاب المشاريع هؤلاء هم من اليهود وان ملاك الأرض كلهم من العرب، وبهذه القوانين الجائرة، وبطرق أخرى خسيسة، استولى اليهود على مساحات شاسعة واسعة من أرض فلسطين، ليستقبلوا عليها وفود المهاجرين من أصقاع الدنيا، الذين فتحت أبواب الهجرة لهم على مصاريعها...

النتائج

بعد أن تم للإنجليز احتلال كامل التراب الفلسطيني عام ١٩١٨م عملوا على فصل فلسطين عن جسد الأمة العربية والاسلامية، وبدأوا في هذه الآونة، في تنفيذ برنامجهم الذي كان من أهم بنوده، تمكين الصهيونية في فلسطين، ولذلك لم يكن بدعاً ان يفسر اللورد «كيرزون» معنى انشاء الوطن القومي لليهود، بأنه كيان سياسي لليهود، يديرون شئونه، بما يخدم مصالحهم واغراضهم، وكان من الأمور الهامة، التي وظفوها في سبيل ذلك، هو فتح باب الهجرة على مصراعيه لليهود كما أسلفنا، والاستيلاء على اراضي الفلسطينيين، وكما ذكرنا، فقد اختيرت بريطانيا بضغوط صهيونية وبرغبة منها، كدولة منتدبة على فلسطين، فعملت جاهدة على انتزاع الموافقة على وعد بلفور من كبريات دول عالم ذلك الزمان.

ردود الفعل

أصبح الشعب الفلسطيني، يواجه أعظم مؤامرة دولية عرفها العالم في تاريخه القديم والحديث... ويتصدى لها ببطولة فائقة، وشجاعة نادرة، على الرغم من قلة عدده وعُدده وهو وإن أصبح يعاني من وطأة العبء الذي ينوء به كلكله، ويقاسي من هول المأساة الملقاة على كاهله، فان هذا لم يثنه عن حمل راية الجهاد، ورفع لواء الاستشهاد، في سبيل الذود عن حماه، ومدرج طفولته وصباه، فكان ان دقت ساعة الثورة، صاخبة لاهبة، وشقت كلمة «الله أكبر» أجواء الفضاء، وأجواز السماء، وتعالت الصيحات والاستنكارات، والمظاهرات والاحتجاجات، وانطلقت الصرخات، بتطهير الأرض والمقدسات، وحماية العرض والممتلكات، من رجس الصهيونية، والحقد الصليبي، الذي يقود رايته بريطانيا وفرنسا أول الأمر... وبدأت الاضطرابات والثورات، التي دامت ثلاثين عاماً، وقد سبقت هذه الاضطرابات والحركات، لقاءات واجتماعات وندوات، لا حصر لها ولا عد، مما لا مجال لذكره، اما الحركات المسلحة، فنذكر منها باختصار:

١ ـ في الرابع من نيسان عام ١٩٢٠ م وبينما كان العرب يواصلون احتفالاتهم التقليدية، في مقام النبي موسى جنوب مدينة أريحا في غور فلسطين، اعترضتهم جماعة من اليهود وحاولت خطف العلم العربي منهم، فوقع بذلك أول اشتباك دموي بين الطرفين، دام خمسة أيام، وقد سقط فيه، عدد من القتلى والجرحى، وينبغي الذكر، ان الانجليز، وقفوا مع اليهود في هذه المعركة ضد العرب، ولا عجب في ذلك، وهم لم يوجدوا في فلسطين، الا لحماية الوليد الصهيوني الجديد، واللقيط اليهودي المسخ...

٢ ـ في الأول من ايار ١٩٢١ م حدثت اضطرابات في يافا دامت خمسة عشر يوماً، ثم تلتها اضطرابات اخرى في القدس، وتتابعت الاضطرابات والمصادمات، في أماكن متفرقة كثيرة، وصلت الناصرة وعكا والجليل وحيفا ونابلس وغيرها من المدن والقرى الفلسطينية الأخرى...

٣ ـ في العشرين من آب ١٩٢٩ وقعت معركة حامية الوطيس، عند ممر البراق في القدس الشريف، سميت بثورة البراق، وكانت هذه المعركة من العنف بمكان، حيث كانت تدور من حي الى حي، كما كانت بمثابة الشرارة، الأولى للثورة الفلسطينية، فقد امتد لهيبها الى الخليل، حيث اعمل اهلها السيف في رقاب اليهود، ذبحاً وتقتيلاً، واثخاناً وتنكيلاً، ووصلت الثورة الى صفد وغيرها...

٤ ـ ثورة عز الدين القسام أو الثورة القسامية: ينبغي الذكر، ان القسام هذا، هو عالم

سوري، من علماء المسلمين العاملين، وكان قد قارع الفرنسيين في سوريا، عندما بسطوا نفوذهم وسيطرتهم على هذا الجزء العزيز من الوطن العربي، وقد حط الرحال في فلسطين نهائياً..

وفي مدينة عكا، بدأ هذا المجاهد البطل، حياة جهادية جديدة، فالمستعمر صنو للمستعمر، سواء من كان بسوريا أو بفلسطين أو بغيرها، فلا فرق الا في الأسماء، وكان الشباب والرجال يلتفون حوله في المسجد، يستمعون الى دروسه، بشغف وتوق شديدين، فقد كان رحمه الله، من ذلك الصنف الذي يريد من الاسلام، ان يكون منهجاً متكاملاً لحياة البشر، دينية ودنيوية، مادية وروحية، مثالية وواقعية.. وما كان يمضي وقته في العبادة فقط، او في الجزئيات والفرعيات، دون العموميات والكليات، ثم يودع مستمعيه قائلاً لهم: الى لقاء جديد... بل كان يختم دروسه بقول الحق عز وجل (ومن يتولهم منكم فانه منهم). انه وهوينطلق من تعاليم الإسلام العظيمة، يؤجج من خلال هذه التعاليم نار الثورة في النفوس، ويضرم نار الحقد، ومراجل الغضب في القلوب على المستعمرين الدخلاء، والصهيونيين الغرباء ولا غرو في ذلك، وهويعلم ان الاسلام دين متكامل، لا يقبل التجزئة وان الجهاد جزء منه لا يتجزأ، وان هذا الجهاد ماض الى يوم الدين، وان رسول الاسلام هوالقائل (اذا تركتم الاسلام سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا الى دينكم) أو كما قال.

وقد آتت دروس القسام في المسجد اكلهابسرعة، فالناس متعطشون للجهاد، وينتظرون نداءه. بشوق ولهفة، وما ان تخرجت على يديه اول جماعة جهادية، وبدأت عملها سراً في اوائل ١٩٣٥م حتى سرت روح الجهاد بين الشعب الفلسطيني في كافة قطاعاته، ومختلف طبقاته، وبدىء باغتيال الضباط الانجليز، ومهاجمة معسكراتهم ومستعمرات اليهود...

كان هذا المجاهد الكبير، يترسم خطى القواد المسلمين الأوائل، ويسير على نهجهم وأساليبهم القتالية، فقدكان دائماً في الطليعة، ولم يلجأ يوماً الى مركز قيادة تحت الأرض، يوجه منه رفاقه، ويقود معاركهم من خلاله، وفي المعركة التي حمل اسمها او حملت اسمه بمعنى أدق، والتي انتهت في الخامس والعشرين من شهر تشرين الثاني عام ١٩٣٥ للميلاد ودارت رحاها في أحراج يعبد من اعمال جنين، في هذه المعركة كانت نهاية البطل، وأية نهاية هي أشرف من نهاية المجاهد في سبيل الله؟ فانه في استشهاده هذا هو ورفاقه الذين استشهدوا معه يكون قد ربح الصفقة فقد كان في تجارته رابحاً، وفي امتحانه ناجحاً، ولا ريب في ذلك ولا شك، والله سبحانه وتعالى يقول (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً

عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)

وقد تبارى الشعراء في رثائه بعد استشهاده، ونقتطف من قصيدة الشاعر الفلسطيني فؤاد الخطيب هذه الأبيات:

أولت عمامتك العمائم كلها شرفاً تقصر عنده التيجان
ان الزعامة والطريق مخوفة غير الزعامة والطريق أمان
يا رهط عز الدين حسبك نعمة في الخلد لا عنت ولا أحزان
شهداء بدر والبقيع تهللت فرحاً، وهشّ مرحباً رضوان

٥ ـ ثورة عام ١٩٣٦ . . ان هذه الحركات العسكرية، والبطولات والفدائية، الفردية منها والجماعية، التي ابداها شعب فلسطين، في مقاومة المحتل، البريطاني، لم توقف الانجليز عن تنفيذ برامجهم في اقامة كيان سياسي لليهود، واخذت قوافل المهاجرين اليهود تصل تباعاً الى فلسطين، حتى بلغ عددهم (٣٠) ثلاثين ألفاً عام ١٩٣٣ و(٤٢) اثنين وأربعين ألفاً عام ١٩٣٤م و(٦٢) اثنين وستين ألفا عام ١٩٣٥ فأصبح عددهم نصف مليون بعد أن كان دون السبعين ألفاً عام ١٩٢٠م.

يقول ابراهيم طوقان شاعر فلسطين الأكبر:

هو الألف، لم تعرف فلسطين ضربة أشد وأنكى منه يوماً لضارب
يهاجر ألف ثم ألف مدرباً ويدخل ألف سائحاً غير آيب
وألف جواز ثم ألف وسيلة لتسهيل ما يلقونه من متاعب
وفي البحر آلاف كأن عبابه وأمواجه مشحونة بالمراكب

وسرعان ما شعر شعب فلسطين، بفداحة الأمر وخطره عليهم، فهب هبة رجل واحد، وبدأ العمل بالكلمة وبالرصاصة، ورافق ثورته هذه اضراب شامل كامل دام ستة شهور متوالية، لم يذكر التاريخ له مثيلاً، وأبدى فنوناً وصنوفاً وألواناً من المقاومة، خلدها التاريخ في طيات صحائفه، وسقط منه عشرات الشهداء، ومئات الجرحى، ولم تثنه هذه الخسائر، عن مواصلة الجهاد، لولا نداء حار صدر عن الملوك والرؤساء العرب، انصاعوا له وأطاعوه. . فأخلد الشعب قليلاً الى الهدوء، اثر هذا النداء، وعادت الحياة الى ماكانت عليه قبل الثورة أو كادت.

ولما ان فشلت جميع محاولات التسوية والوساطة، وولدت فكرة التقسيم، مما يطول شرحه، ويتعذر سرده، واصل الشعب ثورته، وسار على طريق جهاده من جديد، فامتدت هذه الثورة العظيمة، ثورة عام ١٩٣٦ بسرعة، طوال أعوام: ١٩٣٧، ١٩٣٨، ١٩٣٩ الى ان اعلنت الحرب الكونية الثانية، فتوقفت الحرب الجهادية في

فلسطين، لاعتبارات كثيرة كان منها أن الانجليز في هذه الفترة، احكموا اغلاق الطوق على الشعب من جهاته الأربع، وكان قبل ذلك قد تلقى ضربات متتالية أثناء جهاده، فأصيب بضعف عام في قواه، وتشتتت جهوده وتبعثرت، والى جانب هذه الحالة السيئة التي اعترته، لاح له بصيص من نور، بنى عليه بعض آماله، ذلك، ان بريطانيا اعلنت في كتابها الأبيض، الذي أصدرته، عام ١٩٣٩م عزمها على تنفيذ سياسة جديدة، تستهدف استقلال فلسطين، بعد مدة عشر سنين، ووقف الهجرة الصهيونية، بعد خمس سنين، كما ذكرت في هذا الكتاب، ان وعد بلفور، لا يستهدف انشاء دولة يهودية في فلسطين (!).

ولكن الغدر الانجليزي، لم يكن يتوقف، الا لكي يستمر، فبعد أن التقط أنفاسه، اخذ في اعداد جيش يهودي مدرب ومنظم ومسلح بأحسن سلاح، حتى اذا ما تم له ذلك، ارسل تشرتشل خطاباً الى «ويفل» قائد الجيش البريطاني في فلسطين خلال ثورة ١٩٣٨/٣٧ الذي كان يعارض في انشاء جيش يهودي خوفاً من اثارة العرب، يقول في خطابه: «لقد تحديت ويفل وكتبت الى الدكتور ويزمن سامحاً بتأليف ذلك الجيش ولم يتحرك كلب عربي واحد».

وما ان حطت الحرب العالمية الثانية أحمالها، حتى ظهر واضحاً للعيان، ان بريطانيا تنقض وعدها للمرة الألف، ولم يقف الأمر عند هذا النقض للمواثيق والنكث بالوعود والعهود، ولكنه تعداه، بظهور شريك قوي لبريطانيا، في التصميم على انشاء دولة يهودية في فلسطين، تلك هي امريكا. . . فبينما كان الامريكان والانجليز، يعدون العدة، لتنفيذ الوعود لليهود، كان العرب منهمكين في الاجتماعات والندوات واتخاذ القرارات. وما الى ذلك من أمور، وضعت القضية الفلسطينية في موضع لا تحسد عليه، والقت بها بين فكي التمييع، ورمتها على أبواب التضييع. . لأن ما اخذ بالقوة، لا يسترد بغير القوة، كما قال الرئيس الراحل: جمال عبدالناصر. .

وفي عام ١٩٤٧ اعلنت بريطانيا الدولة المنتدبة على فلسطين، عن عزمها على انهاء انتدابها، وسحب قواتها، وجهازها الاداري من فلسطين، اعتباراً من ١٩٤٨/٥/١٤ تاركة فلسطين لمن يقيم فيها، بعد ان تكثفت الهجرة اليهودية وأصبح عدد المهاجرين اضعافا مضاعفة عن ذي قبل، وبعد تدريب جيشها وتنظيمه وتسليحه. . وبعد اطمئنانها على قوة اليهود وضعف الفلسطينيين، وتكون بذلك، قد سلمت فلسطين لقمة سائغة للصهيونية، مطبقة المثل الشائع على نفسها «من لا يملك اعطى من لا يستحق».

ولهذا لم يكن مستغرباً، ان يثور الشعب الفلسطيني من جديد، وهو الذي لم يترك فرصة لبريطانيا ووليدتها المسخ ـ الصهيونية ـ في ان تلتقط انفاسهاخلال ثلاثين سنة

مضت. . . وبدأوا جهادهم في كانون الأول من عام ١٩٤٧ واستمر هذا الجهاد المرير وطال امده، على الرغم من الفروق الهائلة في التسليح والتدريب والتنظيم، والمعدات الحربية، وكافة الميزات الأخرى، التي كان يتمتع بها اليهود دون الفلسطينيين.

وبانسحاب بريطانيا من فلسطين ودخول الجيوش العربية اليها تبدل الموقف، وتغيرت الأحوال، واظلم المستقبل الفلسطيني واعتم، فالفلسطينيون أهل القضية، صفوا جانباً ووقفوا يتفرجون (!) والجيوش العربية، التي كان ينبغي ان يكون موقفها موقف الانصار، تؤازر ولا تستحوذ، وتساعد ولا تحتوي. . تولت الأمر وحدها، وكان ان قبلت بالهدنة الأولى، ثم قبلت بالهدنة الثانية، وهكذا دواليك. فمن هدنة الى هدنة، ومن انسحاب الى آخر، والبساط يسحب من تحت اقدامها، الى ان تحول كل ذلك، الى نكبة كبرى للشعب الفلسطيني، لا مثيل لها من قبل..

ونتيجة لهذه الهدنات، تجمدت الجيوش العربية وتسمرت في أمكنتها، بعد ان تحجمت وتقزمت أعمالها العسكرية، لسبب أو لآخر، وانقلبت خططها من هجومية هدفها إنقاذ الأرض والعرض. . الى خطط دفاعية هدفها الحفاظ على ما تبقى !!

ترى هل تبدلت تلك الخطط اليوم، وقد مر عليها عشرات السنين؟

يقول الكاتب الاسلامي الكبير اللواء محمود شيت خطاب: تقبل الفلسطينيون الهدنتين على مضض، وكانوا يقولون علناً: اننا كبدنا اليهود خسائر فادحة، حين كنا وحدنا في الميدان، قبل دخول الجيوش العربية أرض فلسطين، وكان اليهود يخشوننا، فهم دائماً مدافعون، ونحن دائماً مهاجمون، فكيف يصح ان نتقبل خطة الدفاع والجيوش العربية معنا؟

ويقول وكيل القنصل الامريكي بالقدس عام ١٩٤٨ عن الهدنة «ان قرار مجلس الأمن الذي فرض الهدنة الاولى، هو وحده الذي خلص اليهود وحال دون سحقهم على ايدي الجيوش العربية».

وأرى هنا من الفائدة اثبات شهادة للشعب الفلسطيني بالشجاعة والبسالة والنبالة، نالها من قائد القوات المصرية في فلسطين اللواء الركن فؤاد صادق والذي تولى القيادة بعد المواوي، قال هذا القائد البطل «يا شعب فلسطين، لقد احتملتم متاعب الغارات وضحاياها، واذاعات العدو ومنشوراته، وكنتم رابطي الجأش، ثابتي العزيمة بالرغم مما لاقيتم من خسائر. اني اهنئكم بهذا الايمان وهذه العزيمة الصادقة».

وبقيت القضية الفلسطينية بعد ذلك، كقميص عثمان يحملها الساسة معهم الى كل مكان، ولكن جعجعة بلا طحن، وضربات، ولكن في الهواء. . الى ان كانت حرب حزيران في تاريخ ١٩٦٧/٦/٥ فتم لليهود احتلال فلسطين من البحر الى النهر،

واضافوا اليها الجولان وسيناء أيضا، ودخلت القضية في متاهات جديدة، ولكن بشكل أوسع، وواقعٍ أبشع، وهنا كان لا بدِ لأهل فلسطين وحدهم من ان يخرجوا من تحت الرماد، شررا يحرق اليهود، ويقضّ مضاجعهم، وصدق الشاعر في قوله:

ماحك جلدك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك

ولادة منظمة التحرير الفلسطينية

بدأ الشعب الفلسطيني بتنظيم نفسه من جديد. . . ففي يوم حزيراني جميل، من عام ألف وتسعمائة وأربعة وستين، اجتمع في مدينة القدس، ما يزيد على اربعمائة شخصية فلسطينية، لتدارس حالة الشعب الفلسطيني، وما آل اليه امره. بعد مرور أكثر من عقد ونصف على نكبته الأولى، التي عصفت به عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين، وفي هذا اليوم الرائع، ولدت منظمة التحرير الفلسطينية ـ م.ت.ف ـ ولادة طبيعية. . وتم وضع ميثاق لها، كان من أبرز بنوده، فضلاً عن تحرير كامل التراب الفلسطيني. . العمل على صهر كافة فئات الشعب الفلسطيني في بوتقة واحدة. . وتحت مظلة واحدة. . . وكان ان حمل لواء هذه المنظمة الوليدة، المجاهد الكبير والسياسي القدير أحمد أسعد الشقيري. . . وسارت هذه المنظمة بخطى وئيدة على درب الكفاح والتحرير. . . فقامت بأعمال تنظيمية، كان من أهمها انشاء جيش فلسطيني مدرب ومسلح. . ومع بزوغ فجر فلسطيني جديد. . . ولدت أيضاً حركة فتح ـ ح.ت.ف ـ وحملت راية الكفاح المسلح المنظم بشكل سري. . . وأخذت هذه الحركة تنمو وتكبر الى ان شبت عن الطوق، وقامت بأعمال فدائية بطولية، أذهلت معسكر الأعداء. . . وانعشت آمال الأصدقاء. . . ثم تبعتها فصائل صغيرة كثيرة. . . واعتمدت فتح وهذه الفصائل، أسلوب حرب العصابات، وطريق الكفاح المسلح. . . طريقاً لها لتحرير الأرض، وصيانة العرض وتطهير المقدسات، وحماية الممتلكات. . ولم يمض طويل وقت، بعد حدوث النكبة الثانية عام ١٩٦٧ حتى شكلت فتح وهذه الفصائل منظمة التحرير الفلسطينية من جديد، بعد مارث حبلها وانقطع أو كاد بفعل هذه النكبة الجديدة. . . وقاد رايتها المجاهد الكبير ياسر عرفات ـ أبو عمار ـ وقد آلت هذه المنظمة على نفسها، تحرير كامل التراب الفلسطيني. . . وسيتم هذا ان آجلاً أم عاجلاً ان شاء الله. . . فان الله تعالى قد وعدنا بالنصر على اليهود في كتابه العزيز، فقد قال عز وجل (فاذا جاء وعد الاخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا. .) كما ان الرسول صلى الله عليه وسلم، ذكر بأننا سنقاتل اليهود، وان اليهودي سيختبيء وراء الشجر والحجر، فيقول الشجر والحجر يا عبد الله يا مسلم

ورائي يهودي فتعال فاقتله..

وتتذكر هذه المنظمة، كما يتذكر العرب والمسلمون في كل زمان ومكان، ان بريطانيا طردت من امريكا الشمالية بعد مائتي سنة تقريباً... وان اسبانيا خرجت من امريكا الجنوبية، بعد ثلاثمائة سنة، وأخيراً وليس آخرا، فما ايام التتار والصليبيين بسر!

يقول جون ديفز مدير وكالة الغوث الدولية سابقاً «ان السلام سيسود الشرق الأوسط في حالة واحدة، وهي استئصال الأساس الصهيوني للدولة الإسرائيلية».

ولا أنسى في ختام حديثي المقتضب عن القضية الفلسطينية، ان اقول: ليس من السهل البتة، على من يريد ان يؤرخ للقضية الفلسطينية، في أي جانب من جوانبها المتعددة، والتي لا حصر لها، ان يلم بالتفاصيل الكاملة التي جرت أمس وتجري اليوم والتي ستجري غدا... وما هذا قصدي ابداً، وليعذرني القارىء ان استشف انني استطردت في هذا الموضوع.. فما ذلك، الا لأنها قضية كل فرد فلسطيني بخاصة وكل عربي ومسلم بعامة، ولأنني بالتالي أردت من هذا العرض المتواضع لهذه القضية.. ربط جهاد أبناء عشيرة الوحيدات المتواضع بهذا الجهاد، حتى تكون دراستي عن هذه العشيرة متكاملة الجوانب، شاملة جامعة... وبالقدر الذي استطيع!



المؤلف ووالده

أبناء العشيرة والجهاد

لم يقف أبناء هذه العشيرة، بمنأى عن الأعمال الجهادية، التي قام بها شعب فلسطين، في معظم مدنه وقراه وبواديه، على المحتل الدخيل والصهيونية العنصرية التي زرعت بذورها قوى الشر والطغيان في عالمنا العربي والاسلامي في فلسطين مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعراجه، ومهبط الوحي الأمين، ومكان انعقاد مؤتمر الأنبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. . . بل ضربت فيها بسهم وافر، بدءاً بالثورة العظيمة عام ستة وثلاثين وتسعمائة وألف، ومروراً بحرب عام ثمانية وأربعين وتسعمائة وألف وانتهاء بالمقاومة الفذة البطولية التي يحمل لواءها اليوم منظمة التحرير الفلسطينية، الممثل الوحيد والشرعي لكافة الشعب الفلسطيني في مختلف مهاجره.

ولا بد هنا من التنويه مرة أخرى، بأن قسما من هذه العشيرة، كان ولا يزال ينزل غزة، كما كان يتفرع من هذا القسم، جزء ينزل قرية المخيزن من أعمال الرملة، أما القسم الآخر فكان يسكن منطقة وادي الندى وبئر فطاطة.

فأما ذلك الجزء الذي هو في غزة والمخيزن، فيحدثنا عن دوره في الجهاد بصورة مقتضبة جداً، الشاعر كمال عبد الكريم الوحيدي، وهذا الحديث، وان كان عن واحد من أبطال هذه العشيرة، الا انه يمكن ان يعتبر رمزاً لجهاد هذا القسم كله من هذه العشيرة. ونموذجاً يغني عن الحديث عما سواه، من مرافقيه في الجهاد من أبناء عشيرته وأبناء غزة، حيث كان يقود فصيل «سهم الموت» في المنطقة الجنوبية، بغزة وضواحيها، كما يقول كمال، وهذا المجاهد: هو مدحت درويش الوحيدي. .

وعن هذا الموضوع، نقرأ صورة مشرقة في الصفحة التاسعة عشرة، من ديوان كمال «حنين وأنين عبر السنين» بعنوان : يوم غزة ـ ١٩٤٨ مدحت درويش الوحيدي، ولد في غزة، وأبواه من أثريائها ووجهائها، بدأ جهاده وهو طالب صغير، ثم ترك المدرسة وتفرغ للجهاد ضد الانجليز واليهود فأقض مضاجعهم، في غزة ويافا حتى أصبح قائداً لجنوب فلسطين، وكان له دور كبير في الثورات الفلسطينية، الى أن استشهد شرقي غزة سنة ١٩٤٨ للميلاد، وقد حكم عليه الانجليز بالإعدام غيابياً، ففر الى مصر، واختبأ في قرية : هرّية رزنة قرب الزقازيق، ولم يطل غيابه اذ عاد واستأنف جهاده . . وتخليداً لذكرى استشهاده، نظم فيه كمال قصيدة مؤثرة، اقتطف منها هذه الأبيات :

متبسماً سقط الشهيد ... يروي ثرى الوطن المجيد
ليصون ترباً طاهراً ... ويذود عن شرف تليد
متكللاً بدمائه ... تالله ذلك ما يريد

خاض المعارك باسلاً بعزيمة الشهم العنيد
ايه أبا درويش قد أوفيت عهدك والوعود
ودماك ما ذهبت سدى لما روت وطن الجدود
فالى النعيم شهيدنا وعليك رضوان الودود

وفي كتاب : بلادنا فلسطين، وفي القسم الثاني من الجزء الأول يقول مؤلفه الدباغ :

وينسب الى الوحيدات «مدحت الوحيدي» الذي خاض المعارك ضد البريطانيين والصهيونيين في سني ١٩٣٦، ١٩٣٩، ١٩٤٨ وقام المجاهدون بقيادته بأعمال بطولية، وأخيراً استشهد رحمه الله في المعركة التي حدثت في ظاهر غزة الشرقي. وباستشهاده، فقدت البلاد عامّة وغزة خاصة مجاهداً صلباً، لم يعرف الهوادة، في مكافحة الأعداء. .

وأما الجزء الآخر من هذه العشيرة، والذي كان ينزل وادي الندى وبئر فطاطة، جنوب قرية الفالوجة المعروفة، أما هذا الجزء، فمن أولى من قائد ـ فصيل ـ هذه العشيرة حبيب هديوه الوحيدي ـ من أولى من هذا المجاهد الصلب، الذي قارع الاستعمار البريطاني والصيهونية الباغية، سنوات طوالاً ! لم تهن له عزيمة، أو تلن له قناة، أو تفتر له همة . أجل، ليس أولى منه، ليتولى الحديث عن الحركة الجهادية، التي كان يقود رايتها، وسأترك له أن يقص علينا ما جرى . . مما لا تزال ذاكرته تحيط به الى الآن :

يقول الشيخ حبيب الوحيدي ـ أبو العبد ـ


الشيخ حبيب هديوه

بدأ الجهاد في منطقتنا ـ الجزء الشمالي من قضاء بئر السبع ـ منذ ثورة ١٩٣٦ حيث كنت أقود مجموعة من أبناء العشيرة ينيف عددها عن أحد عشر مجاهداً في بادىء الأمر، وقبل أن ينضم الينا بعض المجاهدين من أمكنة أخرى مجاورة، وليس بالإستطاعة الآن، احصاء المعارك التي كان لنا شرف خوض معمعانها أو الإحاطة بالأعمال التي قمنا بها. . لتقادم العهد، وتعاقب السنين. . ولعدم تدوين مذكرات عنها. . . على أن الذاكرة، لا زالت تختزن داخلها الحركات والمعارك التالية :

أ ـ عام ١٩٣٦

١ ـ معركة نقطة الجمامة

في ليلة الهجوم على هذه النقطة ـ المخفر ـ تحركت بنا السيارة تحت جُنح الظلام، ووصلنا الى هدفنا قبل طلوع الفجر بقليل، وما أن قال المؤذن «الله أكبر» الا وقد لبينا النداء، ولكن نداء الجهاد، وبدأت المعركة حامية، بيننا وبين الحامية . . واستمر مريرها ساعة كاملة، وعبثاً حاولنا اقتحام النقطة، فقد استماتت حاميتها في الدفاع عنها، ولما بدأت خيوط الصباح بالظهور، قررنا الانسحاب . . خاصة، بعد أن استشهد منا واحد واسمه محمد من قرية ترقوميا ـ وقد نسيت اسمه الكامل ـ وأصبت أنا وعبدالرحمن الشريف بجراح مختلفة . . وممّن اشترك من المجاهدين في هذه المعركة، والذين لا زلت أذكرهم : الحاج محمد المفتي ـ وهذا المجاهد تخلف عنا وبقي ينتظر أوبتنا في السيارة ـ وعبدالرحمن الشيخ خيري الشريف، من الخليل، وعيد محمد الوحيدي، وحسين سالم الفراجين من عشيرة العمارين وعبداللطيف عواد الفطافطة، وشخص اسمه محمد وكلاهما من ترقوميا/الخليل . .وأحمد وإسماعيل تيم من نوبا/الخليل، وعلي حسن علي من الفالوجة، وحسن مصطفى من دورا/الخليل، ومحمد شحادة طيطي من عراق المنشية. وممن اشترك معي في وضع خطة الهجوم : احمد واسماعيل تيم .

أما أسباب الهجوم على هذه النقطة وغيرها كما لا يخفى، فهو محاولة الاستيلاء على السلاح، لقلته بل لندرته يومذاك، ولقذف الخوف والرعب في قلوب المحتلين والصهاينة والإخلال بالأمن والنظام، بالإضافة الى تلبية نداء الجهاد الذي انطلق صوته مجلجلاً مدوياً في تلك الآونة، في جميع أنحاء فلسطين تقريباً . .

٢ ـ بعد أسابيع قليلة، عدنا لهذه النقطة، وحاصرناها مرة ثانية، فوجدناها خاوية على عروشها، بعد انسحاب حاميتها منها، فلم نرجع الا وقد أحرقنا شجر المستعمرة اليهودية المجاورة لهذه النقطة، وعدنا الى قاعدتنا سالمين . .

٣ ـ خلال هذه الثورة التي دام الإضراب فيها ستة شهور كاملة، كنا فيها سيفاً مصلتاً على كل من تحدثه نفسه بالتعامل مع اليهود في مستعمراتهم، حيث كان بعض ذوي النفوس المريضة، يبيعون البيض وبعض المواد الغذائية لهم، كما كنا بالمرصاد لمن يحاول حمل معاول الهدم والتخريب للثورة الوليدة . . أو يشكلون ثورة مضادة لها، بقطع الطرق، وبمحاولات السلب والنهب باسم الثورة . . ودام هذا الجهاد كذلك في عام ١٩٣٧ .

ومن طريف ما يروى : اننا دخلنا احدى القرى ليلاً للقبض على أحد المتهمين

بالتعامل مع العدو الصيهوني، وطرقنا عليه الباب بعنف، ونادى عليه احدنا أن آخرج، فلما تباطأ الرجل، كرر النداء، وقال : أخرج والا صعد اليك حبيب الوحيدي ـ وكان ينام في مقصورة مرتفعة عن سقف البناء يسمونها ـ علية ـ او معرش ـ في ذلك الزمان . .

ب ـ ثورة ١٩٣٨

كان الجهاد حتى هذا العام متواصلاً ومستمراً، فلم نلق السلاح، فما دام الانجليز والأمريكان يعملون ليل نهار على تثبيت أوتاد الصهيونية في بلادنا فلسطين، فكنا نحرق وندمر المنشآت والمؤسسات التي تخص الانجليز أو اليهود، وندمر خطوط مواصلاتهم، ونثير الرعب والفزع في قلوبهم . . ولا زلت أذكر كيف استطعنا ذات يوم نسف سكة حديد غزة/اللد على قلة في العدد والعدة.

١ ـ الهجوم على مركز بوليس المجدل

كان الهجوم على هذا المركز قد تم في وضح النهار، وكانت غايتنا منه هو الاستيلاء على خيل البوليس الانجليزي والفلسطيني، واثارة الرعب وتمزيق حبال الأمن والنظام، وقد تم لنا ذلك بمساعدة أحد ضباط المركز وهو شفيق عبد الهادي، والعريف ابراهيم علي من ذنابة واحد رجال البوليس . وممن اشتركوا معي في هذا الهجوم الجريء، عمران من المجدل ومحمد سعيد عطية من غزة وأبو الزعيم وحسين عباس من حمامة والشريف من المجدل وآخرون وقد استولينا على سبعة عشر حصاناً من خيل المركز، وسلمنا قسماً منها الى الشيخ حسن سلامة قائد منطقة يافا والرملة وقسماً الى عبد الرحيم الحاج محمد قائد منطقة طولكرم.

٢ ـ في الثلث الأخير من احدى الليالي، قمنا بمهاجمة مخيم خبراء الآثار، في تل الدوير قرب بلدة القبيبة من أعمال الخليل، وبحرق خيامهم بكل ما فيها، تحت شعار محاربة الانجليز في كل مكان، خاصة بعد أن تبين لنا، انهم لم يأتوا لاكتشاف آثار بلادنا، بل لتمزيق أوصالنا . . وتدنيس مقدساتنا . . وجدير بالذكر، ان رئيس بعثة الآثار هذه ـ واسمه ستاكي على ما اذكر ـ لقى مصرعه فيها بعد على أيدي ثوار منطقة الخليل في مكان قريب من عين القف بين ترقوميا والخليل، بعد أن حامت حوله وحول أمثاله كثير من الشكوك والشبهات، بأنه جاسوس كبير لبلده ـ بريطانيا.

٣ ـ كان أحد الجواسيس من احدى العشائر . . قد أعلم الانجليز بأنني أقود مجموعة من أبناء العشيرة، وغيرها وأهاجم بها معسكراتهم وتجمعاتهم وأهاجم مستعمرات اليهود . . فأخذ الانجليز يتحينون الفرص لإلقاء القبض عليّ وعلى مجموعتي، ويتربصون بنا الدوائر . . الى أن كان ليل . . والناس غارقون في النوم . . واذ

بالانجليز، يضربون طوقاً محكماً على العشيرة كلها. . وعندما علمت بهذا الحصار، نهضت من بيتي مسرعاً، واتجهت صوب مساكن احدى عائلات العشيرة، حيث كان معظم سلاحنا هناك، بحكم الصدف، وكان بيننا وبين ذلك الجزء يمتد وادي الندى، الذي تغطيه الأعشاب الخضراء في معظم فصول السنة، وتتوج هاماتها حبيبات الندى التي ما كانت لتفارقه حتى في أيام السموم . . فوقعت في كمين للجيش البريطاني هناك . . فاستاقوني الى مكان تجمع أبناء العشيرة دون أن يعرفوا هويتي أول الأمر، ثم ان الجاسوس الذي كان متنكراً، بعد أن أخذ يتفرس في وجوه رجالات العشيرة وقع نظره عليّ - وكان يعرفني ولا شك، فأشار لهم بإصبعه نحوي، وسرعان ما انتهى الحصار بعد أن القوا القبض عليّ، حيث كان هذا هو بيت القصيد، ومربط الفرس لديهم . . ومكثت في سجن غزة أشهراً قليلة. . الى أن اطلق سراحي بعد جهود مضنية ووساطات لعدد كبير من رجالات فلسطين، أخص بالذكر منهم الضابط عبد الكريم البرغوثي، نظراً لصلات نسب قديمة بين عائلتينا، وبعد أن قدمت العشيرة ست بنادق قديمة للإنجليز . . .

٤ - معركة شعاب الملح :

جرت هذه الموقعة في مكان يقع إلى الغرب من مدينة الخليل، يسمى - شعاب الملح - وكان يقودها المجاهد الباسل عبدالحليم الجيلاني - أبو منصور - وقد استمرت هذه المعركة يوماً كاملاً، اشتركت فيها معظم أنواع الأسلحة التي كان يمتلكها الانجليز يومذاك بما فيها الطائرات الحربية، التي كانت تصب علينا حممها من السماء، بلا رحمة ولا هوادة . .

وفي هذه المعركة سقط ما ينيف على عشرين شهيداً وعدد كبير من الجرحى، وقد عدت ومجموعتي الى قاعدتنا سالمين . .

٥ - أُلقي القبض عليّ أكثر من مرة، وحكم عليّ في احداها بالإعدام «ولكن الله سلم» فأطلق سراحي، اذ عجز الانجليز عن الاثبات وتقديم الدليل القاطع الذي يدينني في التهم الخطيرة التي كانوا يواجهونني بها .

جـ - عام ١٩٤٧

١ - قامت اللجنة القومية بغزة باختيار واحد وثلاثين شاباً من غزة وقراها، واختارتني وحماد الصوفي من قضاء بئر السبع ضمن هذه المجموعة، وأرسلتنا الى العريش، للتدرب على السلاح والأعمال القتالية، وتشكيل فرق فدائية، وبدء حرب عصابات ضد الانجليز واليهود . . بعد انهاء التدريب . .

وقد استمر تدريبنا على أيدي بعض الضباط المصريين هناك، مدة ثلاثين يوماً وقبل

اتمام التدريب، صدرت الأوامر الينا بالعودة، كل الى منزله . .

٢ ـ مهاجمة أحد مخافر سدود والاستيلاء على أسلحته . .
ذكرت اننا كنا نفتقر دائماً الى السلاح والعتاد . . فبغير السلاح لا تكون ثورة، ولا يكون ثوار. . لذلك كنا نعمل جاهدين على الحصول عليه، ونحرص على اقتنائه بشتى الطرق ومختلف الأساليب. . وفي شق العشيرة، كان لنا مؤتمر مصغر، أنا وعياد محمد ـ والد المؤلف ـ ويوسف حسين، وفي هذا المؤتمر، عقدنا العزم على مهاجمة مخفر يقع ظاهر مدينة سدود، للاستيلاء على اسلحته وذخائره، وكان لحسن الحظ ان عدداً من حامية هذا المخفر كانوا من أبناء هذه العشيرة، أذكر منهم عيد محمد ومحمد سليمان ومعارك رميح، وباتفاق سري جرى بيننا وبين هؤلاء الأبناء، حاصرنا المخفر، وأحطنا به كالسوار. . ثم دخلنا وقيدنا الحرس، واستولينا على البنادق والذخائر الموجودة فيه. . وعدنا الى قاعدتنا سالمين . .

٣ ـ في أوائل شهر آذار من عام ١٩٤٨ حاولت قافلة يهودية كبيرة، تحرسها مصفحات كثيرة، حاولت المرور عنوة عن طريق الفالوجة الى مستعمرة نقبا وكانت آتية من مستعمرة جت شمال عراق المنشية على ما أذكر فتصدينا لها، وكان يرافقني عياد محمد وآخرون من أبناء العشيرة، وكان اشتراكنا في هذه المعركة مؤازرة لشباب مدينة الفالوجة الذين كانوا يقودون هذه المعركة . . فرددنا القافلة على أعقابها، ولم تمكنها من تحقيق أغراضها. .
وكان من نتائج هذه المعركة، قتل وجرح عدد كبير من جنود الصهاينة، واعطاب مصفّحة لهم والاستيلاء عليها. .

٤ ـ لما أخذت قوافل اليهود تكثف من مرورها بشكل ملفت للنظر، حيث كانت تمر عن دار «أبو جابر» الى مستعمراتهم في النقب، رأيت من الأهمية بمكان، انشاء قيادة في دار «أبو جابر» لقطع أوصال خطوط اليهود. . وقد تم لنا ذلك بمعاونة المجاهدين من عشيرة الوحيدات وبعض مجاهدي عشائر الجبارات. . ولكن هذه القيادة، سرعان ما انهارت، بالرغم من بسالة المجاهدين. . . وذلك راجع لتفوق اليهود علينا عدداً وعدة، ولعدم تجاوب الجيش المصري ومساعدته الفاعلة لنا في بداية الأمر، وفي آخر معركة لنا مع اليهود، استطاع اليهود احتلال مواقعنا بمصفحاتهم ودباباتهم ومدفعيتهم الثقيلة، فلم تصمد أمام هذه القوة الميكانيكية بنادقنا محدودة العدد وذخائرنا المتواضعة. . . وكانت النتيجة ان دمروا بابور الطحين ونسفوا المدرسة والدار ـ وكانت داراً ضخمة مؤلفة من عدة شقق وهي والبابور ملك للشيخ حسن أبي جابر واخوته ـ وكبدونا خسائر مادية جسيمة، فضلا عما ذكرت . . فانتقلنا

الى خط قتالي ثان، وفي هجوم مضاد، حاولنا بمساعدة الجيش المصري، استرجاع مواقعنا فلم نفلح. . وسقط منا يومها شهيد واحد هو خليل العجرمي من عشيرة الدقس. .

٥ ـ في هذه الآونة التي تمركز اليهود فيها، فوق تل أبي جابر وحول الدار تناهى الى أسماعنا انهم احتلوا موقعاً آخر هو المقحز ـ في أراضي عشيرة السعادنة من قبيلة الجبارات ـ فجمعنا صفوفنا، وانحازت الينا قوات من مجاهدي منطقة الخليل، ونجحنا في اخراج اليهود من هذا الموقع. . ولكن اليهود عادوا فاحتلوه منا، بعد يومين من اخراجهم منه، فاتصلنا بالجيش المصري، فهرع لنجدتنا واشتبكنا مع اليهود في معركة حامية الوطيس، دامت يوماً كاملاً، استطعنا اخراجهم ثانية من هذا الموقع ـ المقحز ـ ولكن اليهود عادوا اليه في مساء ذلك اليوم، واحتلوه نهائياً، بعد أن خرج منه المقاتلون وجنود الجيش المصري. . وكانت حصيلة معارك المقحز هذه، استشهاد وجرح عدد كبير من المجاهدين ومن قوات الجيش المصري، وكان من بين الشهداء الذين عرفنا أسماءهم : عيد محمد سعود الوحيدي

ومما يجدر ذكره، اننا بعد استيلائنا على هذا الموقع في المرة الثانية، عثرنا على جثة جندي يهودي، كان رصاص المجاهدين قد مزقه ارباً ارباً، لم يستطع اليهود حمله معهم بعد انسحابهم من الموقع، كما هي عادتهم. . لكثافة الرمي وعنف المعركة كما استولينا على مغانم كثيرة، مختلفة ومتنوعة. . .



الشق ويرى فيه عدد من ابناء العشيرة

مع الشهـداء....

نتيجة لهذا الصراع الطويل، بين الحق والباطل، ولهذا الجهاد المستمر المتواصل، الذي بدأه شعب فلسطين منذ عام ١٩٢٩ للميلاد الى يومنا هذا. . فقد كان بدهياً أن تقدم هذه العشيرة قافلة شهداء من ابنائها، شأنها شأن شعب فلسطين، الذي قدم آلاف الشهداء ولا يزال يقدم، والذي سيظل يقدم ويقدم الى أن يتحرر الأقصى. . وكل تراب فلسطيني، من آثار أقدام الطارئين والدخلاء، والى أن يمحى آخر أثر للهجمة الصهيونية الهمجية، ربيبة الاستعمار والامبريالية، فكانت قافلة الشهداء من هذه العشيرة بجزئيها كما يلي :-

١ ـ عيد محمد سعود الوحيدي عام	١٩٤٧	في المقحز من أراضي قبيلة الجبارات
٢ ـ مدحت درويش الوحيدي	١٩٤٨	في غزة
٣ ـ شهاب عبدالله هزاع الوحيدي	١٩٦٧	نابلس
٤ ـ فرحان تركي جياب الوحيدي	١٩٦٨	السلط
٥ ـ نظمي محمد عبدالله فارس الوحيدي	١٩٧٧	لبنان
٦ ـ اسماعيل عبدالله هزاع الوحيدي	١٩٧٧	لبنان
٧ ـ مبروك بريك مبروك الوحيدي	١٩٧٨	لبنان
٨ ـ حسن أحمد شربوش الوحيدي	١٩٧٨	لبنان
٩ ـ ابراهيم عبدالله حسين الوحيدي		لبنان
١٠ ـ برهم عبدالله حسين الوحيدي		لبنان
١١ ـ فايز فندي عويدات الوحيدي		لبنان
١٢ ـ معين فاعور عبدالكريم الوحيدي		لبنان
١٣ ـ حاتم محمد جياب الوحيدي		لبنان
١٤ ـ محمد فندي هزاع الوحيدي		لبنان

وهكذا تلبي هذه القافلة، نداء الجهاد ونداء ربها في قوله «يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تُؤمنون بالله ورَسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تَعلمون»

وبذلك تعقد صفقة رابحة مع ربها لتفوز بمغفرته ورضوانه، فما أعظم الصفقة! وما أجل الربح!

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «والذي نفسي بيده، لولا أن رجالاً من المسلمين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن

بسرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده، لوددت أن أُقتل في سبيل الله ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أُقتل ثم أحيا، ثم أُقتل» أو كما قال...

هناك....[1]

هنالك .. بين حقول الأثير ... وفوق بساط النسيم الوثير
هنالك .. حيث الهدوء يخيم ... فوق مغاني .. جنان وحور
هدوء أنيس .. عليه وقار ... الخشوع .. وصمت الظلال الوقور
هنالك .. فوق الأرائك .. فوق ... النمارق .. في شاهقات القصور
هنالك .. بين مروج العدالة ... بين السعادة .. بين السرور
هناك بعيداً عن الأرض .. مهد ... الأسى .. والشقاء ومهد الشرور
هناك .. أقامت .. تحلق طوراً ... وطوراً تحط .. تحاكي الطيور
هناك .. ترفرف أرواحهم .. ... رفيف الفراشات .. حول الزهور
أبت أن تقيم على الأرض..لما ... رأتها .. منابت إفك وزور
أضاءت على الأرض..ردحاً من الدهر ... ثم خبت .. مثل شمع القصور
ولكنها اليوم .. بين الجنان .. ... طيور .. فحيث تشاء تطير
فهذا مصير الشهيد، لعمري ... ونعم الشهيد .. ونعم المصير
وهذا جزاء لكل شهيد .. ... قضى في الجهاد .. ولبى النفير
لقد جاد بالنفس مستشهداً ... فقدم للحور .. أغلى مهور
فليس سوى الحسنيين له من ... سبيل .. فغذَّ اليه المسير
ولبى النداء .. وأغلى الفداء .. ... وجاد له بالدماء .. الطهور
هما غايتان: حياة وموت .. ... فيمم شطر القرار الأخير
فلا المبهجات .. ولا المغريات.. ... ثنته .. ولا صاحبات الخدور
فقد سار يحمل .. آماله .. ... ويمضي بها .. نحو رب غفور
هناك .. سيقرأ أعماله .. ... موضحة في ثنايا السطور
وينسى هنالك .. آلامه .. ... وما كان كابد .. قبل النشور
هنالك .. بين الخمائل .. بين ... الجداول .. بين الجنى .. والعبير
بأفياء عدنٍ .. يعيش هناك .. ... فلا شمس فيها .. ولا زمهرير

---

(١) من ديواني المطبوع: آلام وآمال

المواسم والأعياد

كانت تقام في ربوع فلسطين، كثير من المواسم والأعياد، وكان يرتادها الفلسطينيون من كل حدب وصوب، فأما المواسم فنذكر منها :

١ ـ موسم النبي روبين ـ قرب يافا عروس البحر المتوسط ـ وكان هذا الموسم، يدوم لمدة شهر كامل. . ومن طريف ما يروى، ان احدهم وكان يمتطي «اكديشاً» هم بمشاركة المتسابقين على خيولهم الأصيلة، في احد السباقات التي كانت تقام هناك، فاكتشف أمره احد المتسابقين، فصاح في قرنائه قائلا : أيّها الأخوة، لم يبق لكم هنا مكان. . فاتركوا روبين لهذا الكديش. . .

٢ ـ موسم النبي صالح : يكاد يجمع المؤرخون العرب على ان هذا النبي نزل فلسطين واستقر فيها، لكنهم مع ذلك مختلفون في مكان نزوله، فمنهم الذي يقول انه نزل الرملة وله فيها موسم زيارة ليوم واحد، هو يوم الجمعة، ومنهم من يقول ان له مزاراً في قرية أذنا/الخليل، ومنهم القائل ان مزاره في قرية بيت عفا في قضاء غزة. .

وفي الدبكات التي كانت تقام في هذا الموسم : كانوا يغنون :

يا نبي موسى يا نبي صالح ارموا لي الحليوه في احدى المطارح

٣ ـ موسم النبي موسى : ويقام في مكان جنوبي مدينة أريحا غربي البحر الميت من طرفه الشمالي. . في مقام يسمى باسمه «مقام النبي موسى» وهذا الموسم مشهور كثيراً عند أهل فلسطين، وكان الموسرون وذوو اليسار من أبناء هذه العشيرة، يشاركون غيرهم من أبناء فلسطين فرحهم وسرورهم بعقد مثل هذه المواسم، فيحضرون بعضها لا سيما موسم النبي روبين ويعودون الى أهلهم وذويهم مثقلين بالهدايا الجميلة وألوان الحلوى، وصنوف الألعاب المسلية، بعد أن يكونوا قد قضوا فيها أياماً جميلة وليالي ممتعة، وأضافوا اليها اياماً سعيدة أخرى، يقضونها ضيوفاً على أصدقائهم ومعارفهم ممن يمرون عنهم في طريق ذهابهم وايابهم من أهل القرى الفلسطينية، المتناثرة هنا وهناك، كحبات لؤلؤ ملقاة على جنبات الطرق، وفي أحضان الوهاد، وعلى وجنات السهول، وجنبات الأودية، وسفوح التلال. .

وأما الأعياد، فهي نوعان :ـ

أ ـ نوع منها دخيل او متوارث منذ أيام الجاهلية الأولى، لم يمحه الاسلام أو محاه ثم ظهر مرة اخرى بانتظار من يمحوه بقوة الاسلام، ويمكن ذكر ما يلي :ـ

١ ـ عيد الغنم : وفي هذا العيد، يذبح البعض منهم ما يتيسر من صغار الغنم

والضأن، ويأكلون منها في الشق أي مجلس الرجال ويطعمون أقاربهم الأدنون أو فقراءهم ومساكينهم. . .

٢ ـ عيد خميس البيض ـ بيض الدجاج ـ

وفي هذا العيد، تسلق أعداد كثيرة من البيض، وتصبغ بألوان مختلفة بسلق الحشائش الخضراء معها، او الجافة أو ورق البصل وغيره، ويتحدى الصبيان بعضهم بعضاً، بقوة وصلابة ما يملكون من بيض. .
والذي يكسر ببيضته بيضة قرنه، أو أي عدد مما يملك، يكون هو الرابح.

٣ ـ عيد خميس الأموات:

وفيه يطبخون الأرز والحليب مشوباً بعضه ببعض، ويطلقون عليه اسم «البحتية» او يطبخون الأرز والحليب والنشا معاً ويطلقون عليه اسم «الهيطلية» أو «البوبرية» وفي هذه يقول شاعرهم، يهجو أمه، كما فعل الشاعر الحطيئة من قبل:

عندي عجوز طويله ماكلها في البوبريه
أفمها أيخن، ما فيها السن غير الطاحونه أو باقيها

وانظر الى جمال الصنعة في قوله: أفمها أيخن، ما فيها السن!!
وكانوا يأكلون من هذه الأطعمة اللذيذة ويتصدّقون، فلعل هذه الصدقات تطفىء الخطايا، وتصل الى أرواح أمواتهم!!

هذا موجز للمواسم والأعياد الدخيلة الطارئة، التي كانت ربما تدل على انهم كانوا إذ ذاك في أيام فراغ وجدة. . ولهو بريء وعبث. . شأنهم في ذلك، شأن الكثيرين من أهل فلسطين، وبخاصة أبناء القبائل البدوية، وينبغي الذكر ان هذا الفراغ، كان قبل ظهور القضية الفلسطينية كما لا يخفى عليك. .

ب ـ وأما النوع الثاني من الأعياد، فهو الأعياد الاسلامية، تلك الأعياد التي خالطت شرايينهم وامتزجت بدمائهم الى اليوم. . .

وهذه الأعياد الاسلامية التي وردت بها شريعتنا الغراء، اثنان: هما عيد الفطر السعيد وعيد الأضحى المبارك، والسبب في اتخاذهما: ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه (قدم يثرب ولأهلها يومان يلعبون فيهما، فقال ما هذان اليومان؟ فقالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ان الله عز وجل قد بدلكم خيراً منهما: يوم الفطر ويوم الأضحى) فكان أول ما بدىء من العيدين، عيد الفطر، وذلك سنة اثنين من الهجرة وفيها كان عيد الأضحى. .

القضـــاء

يوم أن كان الاسلام في أوج عظمته، ومنعته وقوته، يبسط ظلاله الوارفة، وسلطانه العادل، على هذه الأمة العظيمة، التي هي خير أمة أخرجت للناس.. وحين كان رسول الله ﷺ الذي أرسله الله لها وللناس كافة، يرفع صوته عالياً بكل وقار الأنبياء، وصدقهم، وحكمتهم، قائلاً لهم من كتاب الله الذي أنزل عليه (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل..) آنذاك وفي تلك الفترة الذهبية من تاريخ الاسلام، كان الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يتولى شئون القضاء بين الناس، لتلك الدولة الناشئة الفتية دولة الاسلام، ومكث قرابة سنتين ينتظر خصومةً أو شكاة او منازعة، يتقدم بها طرف ضد آخر، فكان انتظاراً بلا طائل، فطلب الإقالة فأقيل، فقد كان الناس يحلون مشاكلهم بينهم بالعدل والقسط والانصاف..[1]

ثم توالت السنون الطوال، ومرت الحقب الثقال، سريعة متلاحقة، فاذا الناس بعد أن كانوا يعتمدون الكتاب والسنة منهجاً وأسلوباً في حل مشكلاتهم ومنازعاتهم اذا هم يتداحون الى طرق مختلفة، ويدلفون الى أساليب عديدة، توارثوها جيلاً بعد جيل، بعد أن ساعد على تراكماتها وترسباتها في عقولهم، عادات وتقاليد جديدة، نشأت مع تطور الحياة المتدفقة في شرايينهم، سواء من ظل منهم في صحرائه لم يبرحها، او من انتقل منها الى أمكنة اخرى مختلفة زماناً ومكاناً. وذلك طلباً للماء والعشب او جرياً وراء ما يقيم الأود، أو في سبيل الحصول على الأمن والدعة والحياة الفارهة الرغدة، او اندماجاً في الجيوش المسلمة الفاتحة.. الى غير ذلك من أسباب..

ويتغير بذلك مفهوم القضاء عند القبائل البدوية، أينما كانوا وحيثما حلوا.. ويظهر في بيوتاتهم قضاة كثيرون، ويتطور القضاء ويتفرع، ويتباعد عن الشريعة احياناً، ويتقارب أحياناً اخرى، ويدنو من القوانين الوضعية أو يبتعد، كل هذا والقاضي البدوي يسير على نهج عشائري لا يحيد عنه الا بقدر..

وما أجمل قول القضاة في هذا المجال: «الحق لا يرضي اثنين» فكما هو واضح فإن أحد الخصمين سيكون رابحاً ولا شك، بينما الآخر يكون خاسراً بلا أدنى ريب..

ولا يفوتنا هنا أن نذكر، ان من بين مواضيع القضاء التي ليس لها حصر، عند

---

(١) ولما ولي أبو بكر الصديق الخلافة، اسند القضاء الى عمر بن الخطاب، فظل سنتين لا يأتيه متخاصمان، لما عرف به من الشدة والحزم.. ـ تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي للدكتور حسن ابراهيم حسن.

البدو، موضوع يسمى «الرزقة» وهو بمعناه المتواضع يكافىء معنى الرسوم القضائية في زماننا هذا.. ولعل من نافلة القول، ان الرزقة مشتقة من الرزق.. ولهذا فليس بدعاً في رأي البعض، ان «يأكلها» بعض القضاة.. ولا يستردها أحد الخصمين بعد «الفلج» سواء أولم هذا القاضي للمتخاصمين أو لم يفعل... وبذلك تكون الرزقة مدعاة للخلاف في الرأي، ومثاراً للجدل بين الناس.. ومن المتعارف عليه بين البدو، ان القاضي يأخذ الرزقة من الطرفين المتنازعين والرابح يستعيد رزقته بينما يحرم منها «المفلوج» أي الخاسر.. ومن القضاة من يولم للمتخاصمين وللحضور على السواء من رزقة المفلوج هذه، ويعتبره ثمناً لما كلفته هذه الوليمة، ونظيراً للمناخ الأمني والجو المريح الملائم والمكان الهادىء الموائم، الذي هيأه للمتخاصمين، وللجهود المبذولة لهم في فض المنازعة، أو ارساء الصلح واحلال الوئام بينهم وإبعاد شبح الخصام عنهم..

والكتابة في هذا الموضوع تطول وتطول، لأن مجالاتها رحبة واسعة، وميادينها فسيحة شاسعة، فلا يتسع لها المجال، كما لا يتطلبها المقام او المقال، ومن أراد أن يعب من هذا المعين، فعليه بكتاب القضاء بين البدو لعارف العارف، وكتاب تراث البدو القضائي نظرياً وعملياً للمحامي محمد أبو حسان، فهما المورد العذب لمن به ظمأ الى ذلك..

والقضاء بين قبيلة الجبارات التي تضم في عدادها، أربع عشرة عشيرة، ومنها عشيرة الوحيدات التي نحن بصدد القاء نظرات متقصية عن تاريخها، ان هذه القبيلة كغيرها من القبائل البدوية في شرق وغرب لها قضاتها ايضا، وقد عرفنا منهم في فترة سابقة قضاة ثلاثة مشهورين وهم: ابراهيم الدقس وسليمان بن رفيع وموسى المشارفة..

وأما عشيرة الوحيدات، فنذكر من مشاهير قضاتهم: حسن بن رباح وسعود بن حسين بن رباح وحسين بن سعود بن حسين بن رباح، وعياد بن محمد بن سعود بن حسين ابن رباح وحبيب بن هديوه بن سعود بن حسين بن رباح الوحيدي، ومن البداهة أن نذكر، ان الالتزام بما يصدر عن القاضي، من أحكام، هو أمر واجب، اللهم الا في الحالات النادرة، تلك التي تشذ عن القاعدة..

القاضي أبو محمد عبدالله الوحيدي[1]

وقد يشرف هذه العشيرة سيرة هذا القاضي الجليل، التي نوجزها في هذه السطور :-

هو الشيخ أبو محمد عبدالله بن عمر بن احمد الوحيدي أحد أعلام زمانه جلالة وجزالة، ونباهة ووجاهة. ولي القضاء بريّة سنة ٥٣١ فقام بأعبائه أجمل قيام فذهب الى انتقاء الشهود والتسوية في الأحكام بين الشريف والمشروف، وأخذ في تجديد ما كان قد درس من رسم الأحباس وتحفظ من جميع الناس، واستمرت ولايته مدة من نحو ثمانية عشر عاماً، ثم استشعر من نفسه قصور ملالة وفتور شاخة، فآلى الى الزهادة، وقبض يده عن أخذ الجراية، المعتادة لأمثاله من القضاة وأكثر من الافصاح بالاستعفاء، فترك لشأنه، وسمع منه قوله يخاطب أحد طلبته :

صن الكتاب ولا تجعله منديلا ولا يكن صونه للدرس تعطيلا
وسل فقيهك في من أنت جاهله فربما كنت بعد اليوم مسئولا

نموذج من أدبه :

وله يراجع الخطيب أبن أبي العيش، وقد تكلم معه خصومه احد اللائذين به: وهبك الله واياي من نعمه السوابغ الضوافي وأوردك من نسمه العذاب الصوافي، ولا زلت بصيراً بمكايد الناس، خبيراً بظباء خدعهم، ولو كنت في الكِناس، فإنهم كما تدريهم، يريشهم الباطل ويبريهم، والعاقل يعظهم ولا يغريهم، ومثلك من الإخوان، ممن علم تلون الزمان،' وعرف سير العجم والعرب، ولم يغب عنه الفرق بين السمع والضرب، لا سيما والدنيا الآن قد صارت مكشوفة وأخلاق أهلها مفصوحة معروفة، فهناك وجب أن يعذر المرء أخاه، وينصر ما قصده من وهيه وتوخاه، والولي تكفيه الإشارة، وأن قصرت عن الغرض المطلوب العبارة، ولقد اقسم ما رفع الى ذلك الخصم شاهداً بدعواه، ولا أخاً ارتدع عن المسارعة الى ما قاده اليه هواه، وقد رفعت أيها الأخ الأمر الى الذي أطال في مثل هذا العمل، العمر، فهو سبحانه يقضي بالحق ويمضي حكمه على جميع الخلق، لا إله إلا هو والسلام..

وأكثر أخذ قاضينا هذا، عن القاضيين أبي الوليد الباجي وأبي المطرف الشعبي،

---

(١) تاريخ قضاة الاندلس : تأليف الشيخ أبو الحسن بن عبدالله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي - طبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٨م

توفي بعد انقطاعه للعبادة، وإيثاره للزهادة، ودفن بمسجد حكمه المنسوب اليه، الى هذا العهد من داخل سور مالقه. ومشى أمير وطنه في جنازته على رجليه، وذلك سنة ٥٤٢ للهجرة ا. هـ .

أما رية التي ولي القضاء فيها هذا القاضي الزاهد النابه. فهي كما يقول الحموي في معجمه : هي كورة واسعة بالأندلس متصلة بالجزيرة الخضراء، وهي قبلي قرطبة، وهي كثيرة الخيرات، ولها مدن وحصون ورستاق واسع . . وفيها حمة، يعني عيناً تخرج حارة، وهي أشرف حمات الأندلس، لأن فيها ماءً حاراً وبارداً . . والنسبة اليها : ريّيّ. ا. هـ.

المدارس والتعليم

على ما نعتقد ان هذه العشيرة ـ القاطنة في وادي الندى ومنطقة بئر فطاطة ـ لم تكن في فترة من الفترات تخلو من المتعلمين، فكما مر سابقاً، فقد كان واحداً منها قاضياً مشهوراً في الأندلس. . ذلك هو عبدالله بن عمر الوحيدي . . وأما في العهد التركي، فقد أرسلت ثلة من أبناء هذه العشيرة الى استامبول بواسطة شيخ العشيرة يومذاك الشيخ سعود بن حسين بن رباح، وكانت هذه الثلة. مؤلفة من أربعة أشخاص وهم : راغب جبر، وأحمد بن محمد علي وفهيد جبر، أما الرابع فقد كان من عائلة الأمير من الجبارات الحليفة . .

وقد حالف الحظ اثنين من هذه البعثة، بينما خان الثالث حيث توفاه الله قبل اتمام دراسته، فأما اللذان حالفهما الحظ فأولهما راغب، فقد عاد هذا من استامبول وعين حاكماً في مدن فلسطينية مختلفة، وظل يتنقل من قضاء الى آخر، حتى انتقل الى الرفيق الأعلى في خانيونس، بعد حكم حافل بالنزاهة والعدل . . وأما الثاني: أحمد: فقد عمل في بادىء أمره مدرساً في الفالوجة، ثم عين جابياً للعشائر يصطحبه معه شيخ العشيرة سعود ابن حسين في جمع الضرائب والأعشار وغيرها من العربان وتسليمها الى مالية بئر السبع . .

وأما في عهد الانتداب البريطاني البغيض على فلسطين، فقد كان التعليم منتشراً بين أبناء هذه العشيرة، اذ كانت مدارس وكتاتيب الفالوجة وعراق المنشيّة، قد فتحت أبوابها أمامهم، لذلك قلما كنت تجد فتى لم يدخل المدرسة أو الكتاتيب آنذاك، ولا نبالغ اذا قلنا ان نسبة الأمية بين أبناء هذه العشيرة كانت قليلة، اذا ما قيست بنسبة أبناء العشائر الأخرى.

أما المدارس، فعلى الرغم من انه لم يكن في العشيرة مدارس نظامية، الا انه كان

بها مدرسة كتاب، تفتح أبوابها لصبيانهم على فترات متقطعة، وبعد ظهور المدارس وانتشارها في القرى والمدن المجاورة، أغلقت هذه المدرسة أبوابها نهائياً.

ومما هو جدير بالذكر، ان العشيرة كانت تستضيف في شهور رمضان فقيها من القرى المجاورة، يقوم على وعظها وارشادها واقامة الجماعات فيها وغير ذلك من أمور الدين الحنيف..

ملحق

استطراداً لموضوع المدارس والتعليم، واستكمالاً لهذا البحث المهم، فقد رأيت أن أضيف اليه هذا الملحق، الذي يشمل اعداد الحاصلين على شهادات جامعية في تخصصات مختلفة، من أبناء هذه العشيرة التي كانت تسكن منطقة وادي الندى وبئر فطاطة، وذلك بعد أن عصفت النكبة بها وبالوطن ...

أما ذلك القسم الذي كان ولا يزال القسم الأكبر منه، يسكن منطقة غزة، فليست لدي معلومات كافية، عن عدد الشباب الذين تخرجوا من الجامعات، وكل الذي أعرفه عنهم، أن عددهم ينيف عن عدد من في هذا الملحق.

التخصص	العدد	ملاحظات
لغة عربية	٣	
تاريخ	٣	
جغرافيا	٤	
جيولوجيا	١	
علوم	١	
حقوق	٢	
تجارة	٤	
انجليزي	٣	
كمبيوتر	٢	
طب أسنان	١	
طب بيطري	١	
طب بشري	٣	
هندسة ميكانيكية	٢	
هندسة مدنية	٣	

التخصص	العدد	ملاحظات
هندسة زراعية	١	
هندسة كيماوية	٢	
هندسة طيران	١	
تربية رياضية	١	
المجموع	٣٨	

وهناك عدد آخر، التحقوا بالجامعات، لكنهم وقفوا في منتصف الطريق، ولم يكملوا المشوار مع الدراسات الجامعية لسبب أو لآخر.

التخصص	العدد	ملاحظات
جغرافيا	١	
طب بشري	١	
تجارة	٢	
رياضة بدنية	١	

أما الذين تخرجوا من المعاهد والكليات المختلفة، والحاصلون على شهادة الدراسة الثانوية، ومن دونهم، فهؤلاء كثر، ولا يسمح المجال لذكرهم في هذا الملحق.

العلاقات العامة

ان الحديث عن العلاقات العامة لأبناء هذه العشيرة، يجرنا الى الحديث عن الحياة الأسرية فيها، فمن المعلوم انها بأسرها الحالية، انحدرت من احد اجدادها (رباح) ونفضل أن يكون (رباح) هو نقطة البدء للموضوع، فنقول، ان هذا الجد قد رزق عشرة أولادهم: مصطفى ويوسف ومحمد وعبدالله وفارس واسماعيل وحسن وحسين وجبر ونبهان وما عدا الثلاثة الأول، فكلهم أنجب كما يبدو في شجرة النسب في غير هذا الموضع، ومن هنا يبدأ التفريع لهذه العشيرة، فتقسم بذلك الى سبع أسر، وهي عائلة أبناء حسين وتكوّن منها عائلة سعود وعائلة محمد وعائلة الشيخ أحمد، ثم عائلة حسن وعائلة نبهان وعائلة جبر وعائلة اسماعيل وعائلة عبدالله وعائلة فارس، وتعتبر عائلة سعود أشهر هذه الأسر وأكبرها على الإطلاق..

أما العلاقات الأسرية، فكانت تتراوح بين الصفاء في غالب الأحيان وبين المشاحنات والبغضاء في أحيان اخرى، غير ان الخصومات التي كانت تنشأ سرعان ما تتلاشاها وتتلافاها عاقلة العشيرة، فتئدها في مهدها، بعد أن تنزع فتيلها، وتطفىء نارها، وبذلك، ترأب صدعها، وترقع فتقها، وتخيط رتقها. . فيحل بذلك الوئام محل الخصام، ويصبحون بنعمة الله وفضله اخواناً متحابين متآلفين. .

وهكذا قل عن علاقات هذه العشيرة بجيرانها بدواً وريفاً. . غير أن شيخ هذه العشيرة كان على مدى سنوات طويلة موضع احترام شيوخ العشائر المجاورة لدرجة انهم كانوا أيام الأعياد ـ الفطر والأضحى ـ يشاركونه أفراحه بهذه الأعياد، فيذهبون اليه ويعيّدون عليه كما ذكرنا في غير هذا الموضع، ومن الطريف، ان المشاركة كانت تتمثل أيضاً باللعب على الخيل أمام شق العشيرة في ـ المراح ـ وكثيراً ما كانت الخيل تلاقي الخيل مستقبلة، وترافقها مودعة، بعد الانتهاء من تقديم واجبات العيد من كلا الطرفين . . ودليل آخر على حسن الجوار، فقد كان شيوخ هذه العشيرة يشاركون العشائر الأخرى أفراحهم وأتراحهم، ولا غرو، فقد كان الوحيدي، طوال فترات تاريخية مختلفة، شيخاً لجميع عشائر الجبارات، كما كانوا حلفاً واحداً، أيام الحروب القبلية، التي انطوت صفحتها منذ مئات السنين، كما كانوا كذلك في حالات المنازعات والمشاحنات بين هذه العشائر والعشائر الأخرى من قبائل ثانية. .

وأما علاقاتها مع جيرانها من القرى، فقد كانت علاقات جوار حسنة، وكان أقرب هذه القرى هي الفالوجة وعراق المنشية وبيت جبرين والقبيبة. . وقد كان سوق الفالوجة ومدارسها أقرب الى هذه العشيرة من غزة وبئر السبع، وغيرهما بكثير، كما كانت عراق المنشية هي القرية الأقرب، فقد كانت تدفن موتاها في مقابر هذه القرية في السنوات الأخيرة وكان بينهما علاقات تجارية كبيرة، ومن طريف ما يروى، انهم في شعرهم الشعبي كانوا يرددون :

يا ماكلْ قطينَ أبو ريا   وين تلقّي من حمارهْ
بكرهْ بيجيك يْنهّقْ   وحسّه مثل الزمارهْ
بيوقّفْ عند الصليبهْ[1]   وبياخذْ حقّهْ بشطارهْ

وأبو ريا هذا صاحب حانوت ـ دكان من عراق المنشية من عائلة كريمة . . وكان أبناء هذه العشيرة يشترون منه ومن دكان أبي خيران وغيرهما ما يلزمهم على مدار السنة، ويسددون حساباتهم في موسم جمع الغلال في صيف كل عام، فترى أصحاب الديون

---

(١) الصليبة : صبرة أو كومة من الحنطة أو الشعير أو الذرة وغيرها

على كثرتهم او قلّتهم - من العراق او الفالوجة وغيرهما - يتجمعون على الجرون - البيادر - ودفاتر حساباتهم بأيديهم، وحميرهم مربوطة تنهق بصوت عالٍ على مرأى منهم، حتى اذا ما تم تسديد الحسابات وأخذوا حقوقهم كاملة غير منقوصة، عادوا الى قراهم فرحين مسرورين . .

واستطراداً لهذه العلاقات، ولأنها لم تتوقف على الداخلية منها فقط، ولا على علاقات الجوار بينها وبين العشائر والقرى المجاورة بل امتدت الى قرى في فلسطين بعيدة، كما امتدت ايضا الى خارج فلسطين، فإننا لهذا نرى من الحكمة ايجازها تحت هذه البنود :-

١ - تم بعد النكبة في قرية المزيرعة من أعمال رام الله اجراء الصلح العشائري بين أسرتين متخاصمتين، بعد عجز الكثيرين من أهل الإصلاح في القضاء عن حل هذه المشكلة وقد ذكر أحد الحضور وهو - الشيخ عفان - لشيوخ هذه العشيرة الذين قاموا بهذا الصلح، ومنهم عياد محمد سعود وحبيب هديوة سعود وكاتب هذه السطور، ذكر هذا الشيخ الصالح ان الوحيدات كانوا قبل أكثر من نصف قرن قد حلوا مشلكة مشابهة لهذه المشكلة في هذه القرية، حيث كان عددهم - يقول الشيخ - ما يقرب من ستين خيالاً!

٢ - ذكر بعض شيوخ قرية بيت محسير، ان الوحيدي كان قد وقف معهم موقفاً مشرفاً في حروبهم مع آل أبي غوش المعروفين . . على بعد ما بينهما من فراسخ وأميال!

٣ - واقعة صبيحة

ذكر عارف العارف في كتابه - تاريخ بئر السبع وقبائلها - ان حرباً دامية كانت قد وقعت بين العجايزي وابن دغوم من جهة، وبين صياح وضويمر من الرتيمات من جهة اخرى، وكلاهما من الرماضين، وذلك بسبب امرأة تدعى «صبيحة» وانتصر العجايزي في بادىء الأمر، فاضطر صياح وضويمر وقومهما الى الرحيل، فنزلوا «السكرية» من أراضي الوحيدي وفي ذلك يقولون :

من هــواك يــا صبيحــةْ صــار للمقــطان ريحــةْ[1]
والكلْ رمى سطيحــةْ[2]

---

١ - المقطان : الفتيل الذي كانوا يستعملونه للبارود.
٢ - سطيحة : أي عباءته

وأثر ذلك أرسل الوحيدي الى العجايزي وابن دغوم يقول :

طلق الدالي[1] جراد[2] ما تكونوا في البلاد
الا تنزلوا تاطريت[3] وتزرعوا منها آوغاد

فرد عليه ابن دغوم :

روحوا يا أوباش روسكو روس الكباش
تاكلوا جميز غزة تحسابوا المشمش بلاش

وقد أغار الوحيدي وحليفاه صياح وضويمر على أولاد رمضان ووقعت بين الفريقين موقعة في «الشمسانيات» على طريق الخليل، وكان النصر فيها لأولاد رمضان.

فلم ييأس الوحيدي أثر هزيمته في هذه الموقعة، بل جمع ما أمكن جمعه من العربان وهاجم الرماضين في الشمسانيات ايضاً فكسرهم وشتت شملهم.

لكن هذه الموقعة لم تكن حاسمة، فقد جمع الرماضين جموعاً غفيرة، وأخذوا يتحينون الفرص للانتقام من الوحيدي، فعلموا ان الوحيدي موجود في قرية تدعى ذكرين البردان من قرى الخليل، فهجموا عليه وقتلوه وعبيده الذين معه وكان اسمه «واكد» وبعد مدة أراد ثابت بن واكد الوحيدي أن يضع حداً لهذه الخصومة الدامية، فأوفد سبعة من رجاله الى الرماضين، فأبى هؤلاء وقتلوا الرسل فاستشاط الوحيدي غضباً لمقتل رسله، وأخذ يستعد للانتقام، فعلم الرماضين بهذا الاستعداد، حيث كان أحدهم في سوق غزة، وعلم بهذا الاستعداد، فأرسل الى قومه ان خذوا حذركم واستعدوا، لكن النذير لم يتمكن من الوصول اليهم، الا بعد ان أغار عليهم الوحيدي وأعمل سيفه في رقابهم، فأوقع بهم مقتلة عظيمة، وقد جرت هذه الموقعة في «المكسر» بالقرب من خويلفة .

وبعد هذه الهزيمة المُرة، رحل الرماضين من موطنهم والتجأوا الى التياها، وحرضوهم على قتال الوحيدي. . فجاء هؤلاء بأعداد غفيرة وحاربوا الوحيدي وانتصرو عليه. وبهذا تنتهي الحرب التي قامت من اجل امرأة تدعى «صبيحة».

٤ ـ واقعة عمورية [4]

جرت حروب دموية بين هذه العشيرة وحلفائها الجبارات من جهة، وبين الترابيين

---

١ ـ الدالي : عبد من عبيد الوحيدي.

٢ ـ جراد : سيد العبد.

٣ ـ تاطريت : اسم خربة للرماضين.

٤ ـ من كتاب عارف العارف ـ تاريخ بئر السبع وقبائلها.

من جهة اخرى، في منطقة عمورية من أراضي عجور/الخليل، كان النصر فيها للوحيدي.

ثم تجددت الحرب بينهم ثانية، فقد فاجأت طليعة الترابين الوحيدي ذات صباح، فجاء النذير الى الشيخ الوحيدي - وآسمه حسين - ويكنى «أبو زنيط» فلم يكترث الشيخ بل ظل ينتظر تجهيز فطوره وكان عبارة عن مقالٍ وبيض، مع ان اعداءه كانوا منه قاب قوسين أو أدنى، مما هاج في النذير شاعريته وأخذ يقول:

يـا شيخْ يـا فـاضيَ البـالْ   يـا أبـو البصـلْ والتقـالي
خوفي على أبو حجلْ وآسوارْ   يضحي غـداً غريب الـديارِ

وما ان أتم الشيخ تناول فطوره، حتى كانت فرسه قد أعدت للركوب، فامتطاها وكذلك فعل فرسانه الخمسة والعشرون، فتصدوا لطليعة الترابين، وهزموهم ثم وقع الصدام الكبير بينهم وبين الترابين، فأعانهم الله عليهم، وردوهم عن عمورية وعن قرى تل الصافي وبعلين وبركوسيا والجسير وغيرها، حتى اذا ما اجتازوا منطقة المنطار قرب غزة عادوا الى ديارهم.

لكن الزمان لم يصف لهم، فوقعت الخصومة هذه المرة. مع العزة وقرى جبل الخليل، وساعدهم في ذلك سلطة النظام التركي، التي هدرت دم الشيخ حسين الوحيدي، وعندما تولى القيادة الشيخ حسن محل أخيه، جرت مراسم الصلح بين العزة والوحيدي وعفا الأتراك عن الشيخ حسين بعد وساطات كثيرة، وهنا تستقر العشيرة نهائياً في منطقة وادي الندى وبئر فطاطة وكان يسكن هذه المنطقة قديماً عشيرة الفطافطة، ومن هذه العشيرة أخذ اسم بئر فطاطة، الذي يبلغ عمقه أربعة عشر متراً، وماؤها عذب للغاية، وينشل الناس منه الماء بواسطة الدلاء وفي عام ١٩٤٦ تم بناء بابه وركبت عليه محالة - بكرة - واستعمل الجمل في سحب الدلو من البئر وكان دلواً كبيراً مصنوعاً من الجلد، ويصب في جابية، أعدت خصيصاً لحفظ الماء، ركبت فيها حنفيات لتيسير تناول الماء..

أما العلاقات الخارجية، فيمكن ادراجها تحت هذين البندين:

١ - يذكر بعض كبار السن من قبيلة العدوان الشهيرة في الأردن، ان هناك صداقات قديمة بين قبيلتهم وعشيرة الوحيدي. وأذكر انني سمعت قبل عام تقريباً من عام نكبتنا الثانية، حديثاً اذاعياً باللغة الانجليزية يتحدث عن هذه الصداقة، فطلبت الحديث من الإذاعة الأردنية فأرسلته اليّ مشكورة، الا انه ضاع أثر احتلال اليهود لبقية فلسطين بتاريخ ١٩٦٧/٦/٥ ويجدر بالذكر ان الحديث كان يتضمن اشعاراً

مرسلة، من شاعر العدوان الكبير - نمر بن عدوان - الى الوحيدي في قضية خاصة بينهما..

موقعة زارع [1]

في هذه الموقعة «أقسم حماد الصوفي ان يقهر التياها، ويضع بيته على خويلفة، ويشرب القهوة» فسمع بذلك «الحاج مصطفى العقبي بن زين» وقال :

يا راكب اللي ما لحقنا عداده	أشقر شراري من ركاب الضباعين
أكرب بطان الهيج وحضر ذهابه	وخليه مثل اللي على الجمر يا طين
فوقه صبي يقطع فجوج السرابة	عرار لن وديتوه للعلم يشفين
كزوا على حماد يا نعم ما به	تلقاه مقنزْ مثل صقر الشياهين
أبّيت وسيع مفقهات أبوابه	بدلال توهج من صلا النار تشكين
وعيال أبو ستة مثل الزغابة	في مصادم الغرسان رجال سجيعين
وحمود[2] شيخ البدو حمرنيابه	خيال شوّال للمفالي تكازين
واحنا كما سيف انقضب من نصابه	نربّح الفوّاد لنا قليلين
وحياة من صوّر مطر بي سحابة	ما نفوتها واحنا على الخيل عدلين

وقد دامت حرب زارع هذه مدة سبع سنين، ولم تضع أوزارها، الا بعد أن تدخلت السلطة التركية بين الفريقين، فجمعت كثيراً من المشايخ لتبحث معهم الوسائل والطرق التي من شأنها وضع حد للفوضى والاضطراب والخصومات والمنازعات، وكان بين هؤلاء الشيوخ حمود الوحيدي، ولكي تفلح في مسعاها، وتحقق أهدافها، استعملت القسوة والشدة، فنفت كثيراً من الشيوخ الى القدس، وأودعتهم السجن لسنوات سبع، وبعد انتهاء الحرب وعقد الصلح النهائي في بيت الوحيدي، عاد بعض هؤلاء الشيوخ، الى أهليهم وذويهم، وأما البعض الآخر فقد قضى نحبه في السجن ولم يعد.

---

(١) تاريخ بئر السبع وقبائلها لعارف العارف.-

(٢) حمود شيخ البدو : الوحيدي

العادات والتقاليد

من العادات المتميزة، والتقاليد المتفردة، لهذه العشيرة، أنها لا تزوج بناتها ونساءها لغير شبابها ورجالاتها، بالغاً ما بلغ الأمر، أما سبب ذلك، فما زال يحتاج الى ايضاح، وجل ما سمعناه من سادتنا وكبرائنا، انهم كانوا يفعلون ذلك كابراً عن كابر، فحسب، دون معرفة واضحة للأسباب، ويقولون هكذا وجدنا آباءنا يفعلون، ونحن على آثارهم مقتدون..

والذي لا ينبغي الاغضاء عنه، أو السكوت عليه، هو ان هذه المسألة الشائكة، ما كان لها ان تظل هذه الحقب الطويلة، حبيسة في اروقة الجهل وغيابات السهو والنسيان... دونما حل شاف، ورأي وافٍ، يزيل اللبس، ويجلو الغموض، ولهذا، فقد تلمسنا الأسباب، وبحثنا عنها في كل سبيل، وما ذلك، الا لكي نقف على الحقيقة، فنكشف غامضها، ونبدد عتمتها، فاذا وفقنا، فهو عين المراد. ومراد العين، والا فما ينبغي للمرء ان يظل سائراً في الظلام، الى ما لا نهاية، فكان أول طريق سلكناه، هو طريق كتاب الله وسنة نبيه، هذا الطريق الذي لم يترك شاردة ولا واردة الا ذكرها، ولا صغيرة أو كبيرة، الا احصاها، فاذا بنانصيب كبد الحقيقة أو نكاد، واذا بنا نعرف السبب الذي لا ندعي انه هو الكمال. وان كان فيه بعض الكمال، والذي نزعم انه إن لم يكن القول الفصل، والا، فما هو بالقول الهزل، على الأقل..

ذلك هو شروط الكفء في الزواج، الذي ورد في أمهات كتب الفقه، فقد ورد في هذه الكتب التركيز على اعتبار النسب في كفاءة الزوج الزوجة في النكاح، ففي مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه: لا يكافي الهاشمية والمطلبية غيرهما من قريش، ولا يكافي القرشية غيرها من العرب ممن ليس بقرشي. وفي مذهب أبي حنيفة قريش بعضهم أكفاء بعض، وبقية العرب بعضهم أكفاء بعض..

فاذا علمنا ان هذه العشيرة تمتد في اصولها الى قريش، فان اللبس والغموض، في موضوع عادة الزواج هذه ينتفي سببهما..

ولعل القصة التالية تضيء جانباً من جوانب هذه العادة المتميزة لهذه العشيرة:

عندما دخل طغرل بك السلجوقي بغداد عاصمة الخلافة العباسية، في الخامس والعشرين من محرم عام سبعة وأربعين واربعمائة للهجرة، تقرب منه الخليفة العباسي القائم بأمر الله تقرباً عظيماً لدرجة انه تزوج ابنة اخيه داوود، ولم تقف العلاقة عند هذا الحد، بل ان طغرل بك تطلع الى ان يتزوج هو نفسه من البيت العباسي، وهو أمر لم تجر

به العادة. . فأرسل في سنة ٤٥٣ للهجرة يخطب ابنة الخليفة، فانزعج الخليفة، وأرسل اليه رسولاً يعفيه من هذه الإجابة.

اللباس

لباس الرجل هو الكوفية، وتسمى عندهم ـ الحطة أو المنديل ـ والعقال ـ ويسمى المرير ـ والعباءة، والكبر ـ أي القمباز او الهندية ـ ويندر أن يسير الرجل مكشوف الرأس، أو يخرج بلا عباءة، فان هذا مما يجرح شعوره وكبرياءه، ويثلم شرفه ومروءته. . ومن الآداب التي يتحلى بها الرجل، هو ان لا ينظر الى المرأة الأجنبية، واذا مر عن فريق ـ مجموعة من بيوتات الشعر ـ يمر من خلفها لا من أمامها، واذا دخل الشق، اتاه من الخلف، حتى يتجنب مواجهة البيوت من الأمام، تفادياً لرؤية النساء، الغافلات في البيوت، حيث غالباً ما تكون البيوت مشمرة ـ مكشوفة من الامام ـ.

اما النساء، فتلبس المرأة المتزوجة منهن العباءة الفضفاضة ـ وليس لها قصب كما هو الحال عند الرجال ـ فوق رأسها وبدنها، والوقاة[1] فوق رأسها، والبرقع الذي تغطي وجهها به عند مواجهتها للرجال، وعادة ما يكون البرقع مرصعاً بأنواع من الذهب والفضة مختلفة الأحجام والأشكال والأثمان، كما تزين المرأة أنفها بقطعة من الذهب الخالص يسمى ـ شناف ـ وتزين أذنيها بأقراط ذهبية، ويسمى القرط عندهم ـ الحلق ـ اما جيدها، فتطوقه بقلائد من الخرز الجميل المتعدد الأنواع والألوان، وبالعقود المختلفة الثمينة، ولهذا، فلا غرابة ان تسمع لها وسواساً وأصواتاً موسقة جميلة، كلما مشت أو تحركت، وكأنما عناها الشاعر الاعشى بقوله:

تسمع للحلي وسواساً اذا انصرفت كما استعان بريحٍ عشرق زجلُ

وتلبس المرأة الثوب الأسود الطويل الذي يكاد يكنس الأرض لطوله، وتطرز على ذيل ثوبها وعلى قبتها أي صدرها، وتحتفظ كل امرأة بثوب أو بأكثر مطرز بالحرير لاستعماله أيام الأعياد والأعراس. .

أما البنت، فتلبس القنعة السوداء بدلاً من العباءة، كما تلبس ثوباً أسود وعلى ذيله تطريز خفيف جداً، وقد تلبس الوقاة اما البرقع فلا.

يتضح مما تقدم، ان النساء في جملتهن محافظات، فكن يقبلن الحجاب، ويرغبن فيه، ويرفضن السفور ويرغبن عنه، ونادراً ما تستعمل النساء الأصباغ وأدوات

---

(١) الوقاة وهي الوقاية، تحفظ به شعر رأسها عن أعين أجانب الرجال.

التجميل، فجمالهن طبيعي، ولا يحتاج للتصنع المقيت، وكأن المتنبي الشاعر عناهن بقوله:

حسن الحضارة مجلوب بتطرية   وفي البداوة حسن غير مجلوب

ولا مجال البتة للاختلاط بين الذكر والأنثى، وهناك دور للورد على بئر الماء، فهو للنساء يكون في الصباح، الى ضحوة النهار، وفي المساء بعد الأصيل، وبين هاتين الفترتين يكون دور الرجال، يسقون مواشيهم ودوابهم... واذا حدث ووردت البئر امرأة ما، في دور الرجال، لعطش ألمّ بأطفالها، أو لضيوف وفدوا على زوجها، ففي هذه الحالة، تقف بعيداً عن البئر، وتضع جرتها على بعد أمتار منها فيراها أحدهم، فيأتي ويأخذ جرتها ويملؤها ويعيدها اليها، فتحملها على رأسها وتنصرف الى بيتها...

متفرقـــات

يحسن بنا ان نذكر الحقائق التالية، فلعل ذلك لا يخلو من فائدة:

١ ـ الصحة العامة لأفراد هذه العشيرة جيدة، اذ نادراً ما كان يصاب أحدهم بالأمراض، اذا استثنينا مرض الكوليرا، الذي داهمهم في أحد الأعوام، فقضى على الكثيرين منهم، لدرجة انهم اتخذوا من هذه الكارثة تاريخاً يؤرخون به لبعض الحوادث، فكانوا يقولون: ولد فلان سنة الكوليرا أو حدث كذا وكذا عام الكوليرا، وهم يلفظون هذا الوباء الخطير هكذا «الكريرا» ثم هناك الرمد الذي كان ينتشر في الصيف بين الأطفال خاصة، ومرض الانفلونزا في الشتاء، وكان هذا المرض يصيب الكبار كما يصيب الصغار، ويطلقون عليه اسم «هيّة» أو «دشبة» والدشبة معناها عندهم أيضاً «القحة».

٢ ـ كانت النساء تحرص على النظافة بقدر ما كان يتوفر لها من مقوّمات النظافة وأدواتها، وقد رأيت أمي ذات يوم تطهر إناء ولغ فيه كلب.. وكأنما هي تسير ـ رحمها الله ـ على الهدي المحمدي وقوله الشريف (اذا ولغ الكلب في اناء أحدكم فليغسله سبعاً، ثامنها بالتراب) أو كما قال.

٣ ـ كان التداوي بالأعشاب عندهم سائداً، فالأطباء نادرون. أو بعيدون عنهم، وأهم ما يؤخذ عنهم قولهم «النار جبار» أو آخر الدواء الكي... فكأنما هم اخذوا هذه المعاني من الحديث المشهور عن الكي بالنار. فكانوا لذلك يعتمدون على الأعشاب الموجودة في بيئتهم مثل الجعدة والمرمرية والبابونج والشيح والحرمل وماء الشعير والحلبة وغيرها الكثير.

على ان أهم ما يلفت النظر في هذا المجال، هو ان بعض العجائز، كن يؤمن بأنواع

معينة من الخرز، تعلق في العنق، أو على الأكتاف ـ للصغار ـ في شفاء المرضى، كما يستعملن أنواعاً منها ضد الحسد والعين، مما لا يقبله عاقل..

٤ ـ كانوا يتمتعون بأخلاق عالية. فلا سكر ولا زنا ولا ربا ولا لواط ولا قطع طرق، وعادة تعدد الزوجات نادرة بينهم، على ان أهم ما يمتازون به، هو التقوى والصلاح والتمسك بأهداب الدين...

٥ ـ كان حمل السلاح محظوراً على أبناء هذه العشيرة خاصة أيام عهد الانتداب البغيض. الا ما كان منه خفية، بينما كانت زراعة الدخان ـ الهيشي ـ مباحة لهم، على العكس من أهل القرى المجاورة لهم، حيث كانت هذه الشجيرة الخبيثة، تؤدي بحاملها منهم الى السجن أو الغرامة أو كليهما معاً، مما ساعد في انتشار عادة التدخين القبيحة بين عدد منهم لا يستهان به.

٦ ـ كانت لهم أسواق تجارية كثيرة، اهمها سوق الفالوجة، ثم غزة والرملة وأخيراً سوق السبع... وعلى ذكر سوق السبع هذه، فللآن يتندرون بما كانوا يتناقلونه من ملح وطرائف، اثناء اقامتهم بخان الغار هناك... حيث كانوا يحلون فيه، وكأنما هو فندق من الدرجة الأولى، وكان فيه مكان خاص لخيلهم وابلهم...

٧ ـ كان عدد قليل منهم يعمل في الزراعة أو التجارة، وقلة منهم كانوا موظفين في عهد الانتداب... واما الباقي فعاطلون عن العمل. بل ويأنفون منه، وهؤلاء يعطون اراضيهم «للفلاحين» من القرى المجاورة لهم أو البعيدة عنهم، ويقوم هؤلاء على خدمة الأرض والعناية بالخيل والابل والدواب وغيرها، ويسكنون البيوت وكان اسمها عندهم ـ البوايك، ومفردها بايكة ـ بينما الأسر من هذه العشيرة، تقضي أيام الحر وأيام القر في بيوت من الشعر، وكانت لهم منازل يقضون فيها شهور الشتاء يسمونها «المشاتي» طلباً للدفء والمراعي والأحطاب، وأهمها جبال بيت جبرين من أعمال الخليل... واما في شهور الصيف فيقضونها في اراضيهم في وداي الندى، وقليل منهم كان يقضي أيام القيظ في المدن الفلسطينية التي تشتهر بزراعة أنواع مختلفة من الفاكهة....

وكان لكل اسرة بيت شعر ثقيل للشتاء واخر خفيف للصيف... وعلى منغصات ايام الرحيل والتعب والنصب الذي كانوا يكابدونه، الا انها ايام جميلة حقاً، لا سيما وانت تنظر الى الهوادج على ظهور الجمال، وفيها تجلس ربات الحجال، وهي تسير بهنّ وئيداً وئيداً، ذاهبة الى المشاتي أو آيبة منها الى المصايف ـ أو أرض الوطن ـ وكأنما المثقب العبدي الشاعر عناهن بقوله:

لمن ظعن تُطالع من ضُبيب فما خرجت من الوادي لحين
مررن على شراف فذات رجلٍ ونكبن الذرائح باليمين

وهن كذاك حين قطعن فلجا — كأن حمولهن على سفين
يشبهن السفين وهن بُخت — عراضات الأباهر والشئون
وهن على الرجائز واكنات — قواتل كل اشجع مستكين
كغزلان خذلن بذات ضال — تنوش الدانيات من الغصون
ظهرن بكلة وسدلن اخرى — وثقبن الوصاوص للعيون
وهن على الظلام مطلبات — طويلات الذوائب والقرون

٨ ـ كانت للرجال هوايات كثيرة، منها هواية ركوب الخيل والسباق، ومنها العزف على الربابة والناي ـ المجوز ـ والشبابة، وصيد الطيور والحيوانات البرية مثل الأرانب والغزلان، ووسائلهم الى ذلك، بنادق الصيد ـ الخرطوش ـ والكلاب السلوقية ـ.

٩ ـ اما النساء: فكانت المرأة تقضي ايامها فضلاً عن الاهتمام بواجباتها البيتية، تقضيها في الحياكة والنسيج والغزل وأهم ما كانت تقوم به هونسج الفرش الصوفية والسجاجيد والقطع التي كانت تتألف منها بيوت الشعر وتسمى ـ الشقة ـ أو الساحة أو الرواق، كما كانت تنسج: الغفور ـ جمع غفرة ـ والفرد ـ جمع فردة أو عدل ـ والخرجة ـ جمع خرج ـ والمزاود والمخالي والمرائر وغيرها. . . وهذا كله يؤخذ من الصوف أو الشعر أو الوبر أو القطن، وما كان منها يحتاج الى صباغة ليحمل لوناً ما، فقد كانوا يحملونه الى المصابغ في الفالوجة أو المجدل أو غزة. .

١٠ ـ كانوا يقدرون قيمة الأرض، فيساوونها بالعرض. . . وبذلك كانوا يأنفون من بيعها بله رهنها، الا في الضرورات التي تبيح المحظورات. وقبل النكبة بسنتين ونيف، شعر رجال العشيرة ان مالكا من عشيرة العزة المشهورة، يود أن يبيع أرضه الواقعة بين أراضيهم وكانت مساحة هذه القطعة تقدر بالاف الدونمات، فسارعوا الى شرائها خوفاً من وقوعها بأيدي اليهود وعلى الرغم من ضيق ذات اليد وسوء الحال، وشدة العسر، التي كان يعاني منها أبناء العشيرة آنذاك، الا انهم تعاونوا على البر والتقوى، فيما بينهم، واستطاعوا بشتى الطرق ومختلف الوسائل، شراء هذه الأرض من مالكها. . . وبذلك سلمت من قبضة يد العدو. . . ولو الى حين!

١١ ـ كان أكثر شيء يهتمون به هوتربية الخيول الأصيلة، اذ قلما تجد رب اسرة لا يملك فرساً أو حصاناً. . ولحبهم لها فان احدهم كفن فرسه بعد موتها، والقى بها داخل بئر خرب، حتى لا تأكل لحمها الكلاب!

١٢ ـ يبلغ عدد سكان هذه العشيرة حوالي ثلاثمائة نسمة، وتقع على الطرف الشرقي من السهل الساحلي الفلسطيني، غربي بيت جبرين والقبيبة واهم آثارها: مغارة

طويلة تمتد تحت الأرض، ويبلغ طولها بضع عشرات من الأمتار، تنزل اليها من بئر عميقة، ثم تدلف إلى فراغات تحت الأرض ضيقة المساحة قصيرة المسافة، ومن خصائص هذه المغارة وجود ماء يقطر من سقفها، يشفي من حصر البول كما يزعمون. . . ووجد في أرض هذه العشيرة بعض الأعمدة الرخامية، وتخترق أراضيها سكة حديد متجهة إلى السبع. .



المؤلف يمتطي حصاناً في رحلة مدرسية للبتراء عام ١٩٦٦ م

الخيـــل

وكما ذكرنا. . . كان للخيل عندهم أهمية كبيرة جداً، وكان اهتمامهم بها لا يقدر، ولا غرو في ذلك، وقد ذكرها القرآن الكريم في مواطن كثيرة، فقال جل من قائل (وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفّ اليكم وانتم لا تظلمون) الأنفال.كما ذكرها رسولنا الكريم صلى الله عليم وسلم في أحاديث كثيرة فقال (الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة. . . وأهلها معانون عليها، والمنفق عليها كالباسط يده بالصدقة) كذلك ورد ذكرها في الشعر العربي كثيراً. قال أحدهم ولعله المتنبي:

اعز مكان في الدنى سرج سابح　　　وخير جليس في الزمان كتاب

لهذا، فلا عجب، ان رأيتهم بالغوا في تكريمها، وغالوا في الاهتمام بها، جلباً للخير، وطلباً للبركة.

ونتيجة لهذا الحب والولع بالخيل، فقد كانوا يحافظون على أصولها محافظة مغالى بها كثيراً، شأنهم في ذلك شأن العشائر والقبائل العربية المختلفة. وقد كانوا يطلقون عليها أسماء متعددة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ المعنقية، ٢ ـ الكبيشة، ٣ ـ الجلفة، ٤ ـ المخلدية، ٥ ـ الطويسة، ٦ ـ الكحيلة، ٧ ـ الصويتية... الخ.

وليس من شك في أن لكل اسم من هذه الأسماء سبباً، الا ان هذا الموضوع لا يهمنا ذكره الآن على الاقل.

ومن الغريب، انهم كانوا يعرفون العلامات الدالة على نجابة الخيل وجودتها، فقد سمعت والدي ـ رحمه الله ـ قبل عشرات السنين، يسأل قروياً كان يقتني فرساً، عن هذه العلامات، ولما شعر والدي بعجزه قال له: لتعرف جودة الفرس ونجابتها، عليك ان تلاحظ ما يلي: ثلاث صفات طوال، وثلاث صفات قصار، وثلاث صفات عراض.. وبدأ في شرح هذه الصفات...

ومن الطريف، انني قرأت هذه الأيام معلومات عن الخيل في كتاب نهاية الأرب للنويري، فاذا هي متطابقة وما سمعته من والدي وكان امياً لا يقرأ ولا يكتب.. واقتطف للقارىء منه ما يلي: سئل ايوب بن زيد بن قيس بن القرية عن صفة الجواد من الخيل فقال: القصير الثلاث، الطويل الثلاث، الرحب الثلاث، الصافي الثلاث... وفي شرحه لهذه الصفات قال: اما الثلاث الطوال: فالأذن والعنق والذراع، واما الثلاث القصار: فالظهر والساق والعسيب. واما الثلاث الرحبة: فالجبهة والمنخر والجوف. واما الثلاث الصافية: فالأديم والعينان والحافر.

وقد جمع بعض الشعراء هذه الصفات في بيت واحد فقال:

وقد أغتدي قبل ضوء الصباح ... وورد القطا في الغطاط الحثاث
بصافي الثلاث عريض الثلاث ... قصير الثلاث طويل الثلاث


دكتور عليان الوحيدي

المواطن والمنازل

ذكرنا سابقاً، ان هذه العشيرة، تعرضت لهجرات كثيرة، وتحركات مثيرة، على مدى تاريخها الطويل، شأنها شأن موجات الهجرات المتوالية، للقبائل العربية السابقة واللاحقة، وذلك لأسباب كثيرة مختلفة.. تعيى على العد والحصر. كما ذكرنا أيضا، ان هذه العشيرة، كانت قد اتخذت لها مسارين مختلفين، حين كانت في مدائن صالح من المملكة العربية السعودية، فقسم اتجه الى مصر، وقسم اتجه الى بلاد الشام، فأما القسم الأول، فيعتقد بأن جزءاً منه قد حل في المنطقة الشرقية ـ الزقازيق ـ ولا يزال الى اليوم، يتخذ هذه المنطقة موطناً دائماً له، وقبل عشرات السنين، ذهب وفد من هذه العشيرة الى الزقازيق وقضوا أياماً في ضيافة أقاربهم هناك، بقصد التعارف والتآلف.. وجدير بالذكر ان احد أفراد هذه العشيرة ممن يقطنون غزة قد صاهرهم قبل بضع سنين، ولا يزال يعيش بين ظهرانيهم الى اليوم. ومن هذه المنطقة، واصل احد رجالاتهم مسيرته في طول سيناء، حيث نزل ضيفاً على شيخ من بني واصل في جبل طور سيناء، كما مر في صفحات سابقة، ثم تابع سيره الى ان استقر في منطقة غزة، وبعد سنوات، اتجه من هذا الجزء، جزء آخر صوب الشمال، الى ان استقر نهائياً في قرية المخيزن الخصبة، القريبة من قرية المسمية المعروفة، وسمعت احدهم يقول في المخيزن هذه:

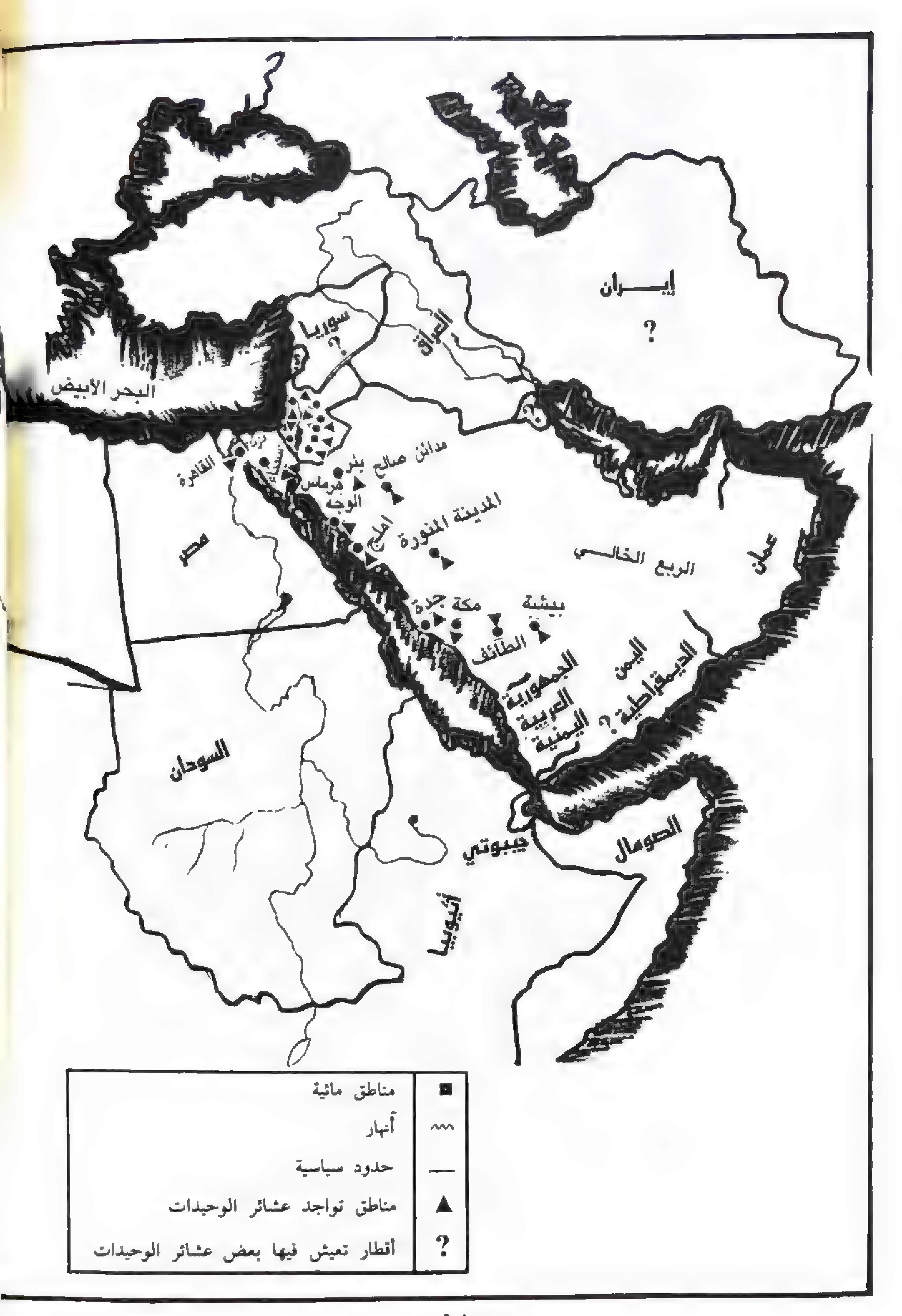
يا ريتنا يا المخيزنْ ما سكنّاكِ ولا سقينا دقيق الخصرْ من ماكِ[1]

وقبل الحديث عن القسم الثاني الذي كانت وجهته بلاد الشام، ينبغي الذكر مرة اخرى، ان هذه العشيرة متواجدة حسب علمنا في معظم البلاد العربية، وبعض الدول الاسلامية. وحتى هذا التاريخ تتواجد في البلدان التالية:

١ ـ السعودية ٢ ـ مصر ٣ ـ الأردن ٤ ـ فلسطين ٥ ـ سوريا ٦ ـ لبنان ٧ ـ الكويت

---

(١) من ماك: من مائك



إيـــران
?
سوريا
?
العراق
البحر الأبيض
القاهرة
مدائن صالح
بئر
هرماس
الوجه
أملج
المدينة المنورة
الربع الخالـــي
عمان
مصر
بيشة
مكة
جدة
الطائف
اليمن
الديمقراطية
?
الجمهورية
العربية
اليمنية
السودان
جيبوتي
الصومال
أثيوبيا
مناطق مائية
أنهار
حدود سياسية
مناطق تواجد عشائر الوحيدات
أقطار تعيش فيها بعض عشائر الوحيدات



ملاحظة: الأماكن التي تواجدت فيها عشائر الوحيدات في الأردن وفلسطين كثيرة ولا تتسع لها الخارطة لذلك اكتفيت بوضع العلامات التي تشير الى هذه الأماكن وهي:

أ ـ الأردن: جبل الشراة، اذرح والجرباء تلاع الوحيدي (قرب وادي موسى)، منطقة عشائر بني حميدة (جنوب مأدبا) جرش في قرية المشيرفة وقرية ققفقا.

ب ـ عمورية قرب عجور. قطاطة قرب عراق المنشية، عارة وعرعرة، البيرة ـ رام الله ـ عين يبرود (قرب سلواد)

٨ ـ المغرب ٩ ـ ليبيا ١٠ ـ تونس ١١ ـ الأندلس ـ اسبانيا اليوم ١٢ ـ اليمن الديموقراطية ١٣ ـ ايران ١٤ ـ الصومال.

وقد يعجب المرء، من هذا التشتت.. ومن تعدد الأوطان لهذه العشيرة، لكن العجب سرعان ما يتلاشى حين ننظر الى الموضوع، نظرة جدية وعميقة، لنرى ان هذا الشتات، سمة غالبة على القبائل العربية، وصفة بارزة قد تنطبق عليها جميعها! وما الهجرات السامية القديمة بسرّ.. كما ان الحروب والغزوات، ربما كانت من جملة الأسباب العاملة، في تشتيت هذه العشيرة وغيرها، وتمزيق أوصالها، وتفتيت وحدتها.. ومن أمثلة التاريخ الكثيرة، التي ربما تصلح لأن تكون شاهداً صادقاً على هذا الاعتقاد، هو ان ابراهيم باشا في زحفه على بلاد الشام، اصطدم ببعض القبائل التي وقفت ضده في تحركه العسكري.. وكان من جملة المتصدين له: قبيلة الجبارات وعلى رأسهم الوحيدي.. لكن هذه القبيلة، كانت أضعف من أن تقف في وجه جيش منظم مدرب.. فهزمها شر هزيمة، وشتتها في كل صقع، وتحت كل شمس.. فضلا عن الأعداد الكبيرة التي سحقها أو أسرها أو نفاها..

يقول عارف العارف في كتابه ـ تاريخ بئر السبع وقبائلها ـ «كان الجبارات في غابر الأزمان، أرباب مال وحلال وخيل وعز.. ولم يضعفهم سوى الضربة التي ضربهم إياها ابراهيم باشا، يوم دعاهم لطاعته، فأبوا ولم يطيعوه، بل اعتزموا صده وكفاحه، حتى أنزل بهم أشد أنواع غضبه ونقمته.. فأباح للعربان المجاورين نهبهم فنهبوهم، وساق عليهم هو حملة كبيرة، اضطرتهم في نهاية الأمر الى الخضوع.. وقد أسر منهم في بادىء الأمر ٤٠٠ أربعمائة شخص أرسلهم الى سجن عكا ثم أسر ثلاثمائة اخرين والحقهم بالأولين، وفي المرة الثالثة، أسر ما تبقى منهم من الرجال حتى لم يبق في أوطانهم سوى الكهول والنساء والأطفال.. الخ».

والآن يحسن بنا أن نتكلم عن أماكن تواجد هـذه العشيرة في كل بلد نسمع انهم يحلون فيه اليوم أو حلوا فيه أمس:

١ ـ السعودية: فضلاً عما ذكرناه في البداية، فإن الوحيدات في هذه البلاد المقدسة المشرفة، يتواجدون في المناطق التالية:

أ ـ تعتبر مدينة رابغ[1] والوجه، ومنطقة املج على البحر الأحمر من أهم الأماكن التي يتواجدون فيها اليوم وعاداتهم ـ كما علمنا ـ شبيهة بعاداتنا...

---

(١) عرفنا منهم : الشيخ محمد سعد الوحيدي وولده المهندس سعود الوحيدي، كما عرفنا منهم المهندس عبدالرحمن الوحيدي وأخاه علياً.

ب ـ يسكن عدد منهم مدينة جدة، في منطقة تدعى «الكندرة» بفتح الكاف وتسكين النون..

ج ـ بعضهم يسكن المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم..

د ـ يعيش عدد منهم ـ يزيد عن العشرين رجلا ـ في منطقة بيشة ـ النقيع ـ [١]
ويقول سمير القطب في كتابه ـ انساب العرب ـ ومن الأشراف: اليبس أهل بيشة وغيرهم من أشراف بيشة.

هـ ـ بعض الآثار لا تزال تحمل اسم هذه العشيرة مثل: بئر الوحيدي، ويسمى هذا البئر كذلك: بئر ابن هرماس.. وابن هرماس هو أحد شيوخ الوحيدات .. كما مر.. وجبال الوحيدي في صحراء الربع الخالي [٢].

و ـ جاء في كتاب لورنس: أعمدة الحكمة السبعة: Seven Pillars Of Wisdom

١ ـ بتاريخ ١٩١٧/١/١٧ ميلادية، أخذني «بويل» الى املج، ومن ثم ذهبنا الى الشاطىء لتقصّي الأخبار... ولقد علمنا ان «فيصل» سيصل اليوم الى «بئر الوحيدي» وهو بئر ماء على بعد أربعة أميال للداخل.

٢ ـ بلغ تعداد الجيش المعسكر عند بئر الوحيدي، خمسة آلاف ومائة هجان، وخمسة آلاف وثلاثمائة من المشاة.

٣ ـ عند بئر الوحيدي، كانت الجمال ـ الهجن ـ تعاني من جوع شديد، ولهذا، فسرعان ما انتشرت في الأرض، لتقيم أودها، وسد جوعها، بعد نزولنا عنها..

٢ ـ مصر: وقد سبق الحديث عنها...

٣ ـ الأردن:

أ ـ يقول لورنس في كتابه آنف الذكر، بتاريخ ١٤، ١٩١٨/٤/٢٣ ميلادية من المستحسن إنذار معان أولا، لذلك أرسلنا فرسان الاستطلاع الى «المريغات» وكذلك الى الوحيدات. وعلى ما نعلم، لم يكن في مناطق معان وحيدات في ذلك التاريخ.

ب ـ سكن الوحيدات جبل الشراه، وكانت لهم أراض تدعى (الفجيج) فيها عيون ماء أهمها: أذرح والجرباء[٣]

---

(١) عرفنا منهم: محمد عبدالله الوحيدي، ومحمد بن ناصر بن عبد الله بن علي الوحيدي.

(٢) كتاب: معجم قبائل العرب، لعاتق بن غيث البلادى.

(٣) تاريخ بئر السبع وقبائلها لعارف العارف.

ج - هناك في منطقة معان، قريبا من وادي موسى وآثار البتراء الشهيرة، تلاع تسمى لليوم تلاع الوحيدي. . وفي رحلة مدرسية لي. الى البتراء، في أوائل الستينات من هذا القرن الميلادي، سألت أحد شيوخ المنطقة عن تلاع الوحيدي هذه، حيث كنا نسمع بها، فقال هذا الشيخ: انها تلك التلاع المقابلة لقرية الطيبة من الجهة الجنوبية الغربية.

د - يتندر البعض من أبناء هذه العشيرة، وحتى عهد قريب، بأن اثنين من رجالاتهم - بكير بن حسن وفارس بن رباح - ورجل ثالث من عشيرة العمارين - من الجبارات - عادوا من فلسطين آخر موطن لهم في العهد التركي، الى عشائر بني حميدة، وباعوهم أراضيهم التي تركوها وراءهم بعد هجرة جديدة لهم الى شمال الأردن. . وذلك بثمن بخس. . قطيعاً من الغنم الهزالي!

هـ ومن جنوب الأردن، يبدو انهم تحركوا شمالا الى مدينة جرش، وفي الوادي العميق الواقع جنوبي مدينة جرش، توجد طواحين الوحيدي، وتسمى اليوم: طواحين العدوان. . ومن الغريب ان هذا الوادي يسمى: وادي الجبارات.

و - ذكر لي من أثق به، انه سكن بلدة ققفقا شمالي جرش مدة يسيرة من الزمن وكان يجاوره في السكنى رجل يدعي انه من الوحيدات. .

ز - وفي قرية المشيرفة في منطقة جرش، توجد عائلة تقول انها تمتد بنسبها الى عشيرة الوحيدات. . ولهذه العائلة أقارب يسكنون وادي السير.

ح - لهذه العشيرة تواجد في منطقة الطفيلة . . ويقول هؤلاء: ان لهم أقارب «غرّبوا - أي اتجهو نحو الغرب» منذ سنين.

٤ - فلسطين:

ذكرنا ان قسماً من هذه العشيرة، يستوطن غزة وقرية المخيزن في فلسطين. . والآن نواصل سيرنا مع القسم الثاني من هذه العشيرة فنقول :-

أ - تركوا جرش ومنطقة عجلون، واتجهوا صوب الغرب الى فلسطين، فحلوا في قرية يالو وهي قرية تابعة الى القدس الشريف - شرفها الله وأعزها - ولهم في هذه القرية قبور كثيرة، تسمى «قبور الوحيدي».

ب - جاء في كتاب عارف العارف - تاريخ بئر السبع وقبائلها ما يلي:
قتل أبو ماسوح من الرتيمات رجلا من عشيرته يدعى أبو خضرة، فرحل ونزل هو وربعه عند الوحيدي في وادي الصرار.

ج ـ عمورية : مر في صفحات سابقة الحديث عن معركة عمورية هذه التي جرت بين الجبارات وعلى رأسهم الوحيدي من جهة، وبين الترابيين من جهة اخرى.. مما يدل على ان هذه العشيرة كانت تسكن هذه المنطقة.

د ـ منطقة فطاطة ـ بفتح الفاء وتشديد الطاء الأولى ـ وهي تلال غربي جبال الخليل[1] وهي آخر موطن للقسم الثاني من عشيرة الوحيدات، حيث ذكرنا ان القسم الأول، يستوطن غزة وقرية المخيزن، ويقال ان هذه المنطقة كانت لعشيرة تسمى «الفطافطة» من قرية ترقوميا من أعمال الخليل، تركتها لأسباب غير واضحة، واستقرت في ترقوميا على ما نعلم.

هـ ـ عارة وعرعرة :

كانوا وهم ينشلون الماء من بئر العشيرة يغنون :

عــرعـرهْ يــا آمّ الــورودْ ما ذكـرت لنـا قعـودْ ؟

وحدث عام ١٩٦٠ للميلاد ان اصطحبني في رحلة الحج ثلاثة رجال من هذه البلدة، وتم التعارف بيننا : فقال أحدهم واسمه : محمد ابراهيم الوحيدي، اننا ايضا من عشيرة الوحيدات، ولكن صغر سني يومذاك، وأمور الحج شغلتني عن كل حديث، فلم نتطرق الى غيرها.. كما لم نلتق بعد عودتنا من الحج، بسبب بعد الشقة، وبسبب حروبنا المستمرة مع اسرائيل ـ نكّس الله أعلامها ومزق شملها ـ.

و ـ البيرة : بعد هجرتنا من آخر موطن لنا ـ فطاطة ووادي الندى ـ حطت بنا الرحال في منطقة اريحا ـ في غور الأردن ـ فسكن قسم منا مخيم عين السلطان للاجئين الفلسطينيين، وسكن قسم منا في مخيم النويعمة، وبقي قسم آخر في مخيم العروب قضاء الخليل. وقد كنا نقضي أشهر الصيف في منطقة البيرة المجاورة لرام الله هرباً من حرارة الجو في أريحا، وفي البيرة هذه عين ماء يطلق عليها أهل البيرة اسم «عين الوحيدي».

ز ـ ذكر لنا احد مخاتير قرية عين يبرود انه كان يسمع بأن الوحيدات كانوا قديماً يسكنون منطقة عين يبرود، وما حولها من قرى.

ح ـ يقول أناس من مدينة رام الله ان «فندق رباح» سمي باسم رباح بن احمد

---

(١) أسماء الأماكن والمواقع والمعالم الطبيعية والبشرية والجغرافية المعروفة في فلسطين حتى العام ١٩٤٨ لقسطنطين خمار.

الوحيدي نظراً لما كان يتمتع به رباح من شهرة وصيت في منطقة رام الله في ذلك الزمان.

ط ـ المتواتر ان عائلة «ملحس» الوجيهة في نابلس تعود بنسبها الى الوحيدات [1].

٥ ـ سوريا :

ذكر أحد شباب هذه العشيرة، انه قرأ في قوائم المنتسبين الى جامعة دمشق، بعض الأسماء التي تحمل اسم هذه العشيرة، ممن يستوطنون سوريا وذلك أثناء كان هذا الشاب ينهل العلم من معين تلك الجامعة العريقة..

٦ ـ لبنان :

قال لي أحد شباب هذه العشيرة، انه أثناء دراسته في جامعة بيروت العربية بلبنان، في اوائل الثمانينات، التقى طالباً من عشيرة الوحيدات القاطنين في لبنان، يدرس هو الآخر في تلك الجامعة كما ذكر شاب آخر انه قرأ على واجهة محل تجاري، اسم : فلان الوحيدي.

٧ ـ الكويت :

ذكر القادمون من الكويت، بأنهم التقوا احد شيوخ الوحيدات القاطنين هناك، وذكر لهم هذا الشيخ، انه وقومه، وفدوا قديماً الى الكويت، من الطائف في المملكة العربية السعودية.

٨ ـ المغرب :

قيل ان لهذه العشيرة تواجداً كبيراً هناك، في مدينة مراكش، وان مسئولاً كبيراً منهم يعمل في الدولة هناك.

٩ ـ ليبيا :

ذكر الدكتور عليان مرشد الوحيدي ـ انظر الصورة صفحة ٩٧ ـ انه سمع بأن ما يزيد على ثلاثمائة شخص من عشيرة الوحيدات، يقيمون في جنوب مدينة طرابلس، بليبيا، في منطقة تدعى : غريان . . حيث كان هذا الدكتور يعمل هناك طبيباً على حساب دولة ليبيا. في بداية عقد الثمانينات من هذا القرن.

١٠ ـ تونس :

قيل ان في تونس تواجداً لهذه العشيرة، بدليل ان شاباً من شباب الوحيدات القاطنين اليوم في غزة، والذي يعمل هناك، صاهرهم ـ تزوج منهم ـ.

---

(١) بلادنا فلسطين ج٢ ق٢ للدباغ.

١١ ـ الأندلس ـ اسبانيا :

ذكرنا سابقا ان هناك قاضياً مشهوراً من قضاة منطقة ملقا اسمه أبو محمد عبدالله ابن عمر الوحيدي، وقد دفن في منطقة رية في المسجد المسمى باسمه وهذا قبل زوال الحكم الاسلامي عن تلك البلاد. . أما بعد ذلك فلا نعرف فيما اذا انقرض أفراد هذه العشيرة أم انهم عادوا الى بلاد المغرب!!

١٢ ـ اليمن الديموقراطية :

ذكرت جريدة الأهرام القاهرية في صفحتها الأولى في أوائل السبعينات من هذا القرن، ان السلطات الانجليزية القت القبض على الشيخ قاسم الوحيدي لارتباطه بالثورة التحررية هناك .

١٣ ـ إيران :

كنا قد قرأنا في الصحف المحلية هنا، في بداية الستينات من هذا القرن، انه زار الأردن، وزير الزراعة الإيراني البروفسور الوحيدي، وفي بداية ثورة الخميني، قرأنا في الصحف المحلية، ان من جملة من تم اعدامهم من الذين كانوا متعاونين مع الشاه السابق: غلام الوحيدي وهو أحد نواب مجلس الأمة السابق هناك.

١٤ ـ الصومال :

يقول الدكتور : سيد أحمد حاج يحيى، عضو هيئة تحرير جريدة المدينة المنورة بجدة، ونجل أول مدير عام للميزانية في عهد الاستعمار يقول : ان للعلاّمة العيدروس، ثابت النسب لآل البيت، آصرة قربى بالوحيدي الذي يسكن الصومال حالياً.

هذه هي الأماكن والمواطن التي أمكننا معرفتها حتى هذا التاريخ والتي تتواجد فيها هذه العشيرة، أو تواجدت فيها.

ومن يدري!! فلعلنا غداً نعثر نحن أو غيرنا على أمكنة أخرى تتواجد فيها فروع أخرى لهذه العشيرة العريقة!! لا سيما بعد قراءة هذا المصنف!

أسماء أراضي العشيرة

الموارس
الغوليات
العيون
السطوح
الجزل ـ جمع جزلة وهي القطعة الصغيرة المساحة ـ
الحمرة ـ بضم الحاء المهملة وتسكين الميم ـ
الحجيجية
المصيفرية
سطح نبهان
وادي الندى
القويطية
ام السحالي
الكوع
الحيلة ـ بفتح الحاء المهملة ـ
وادي البير
الرسم
وادي الطور
العزّية
سطح البغيل ـ تصغير بغل ـ

اما طبيعة هذه الأراضي، فهي سهلية خصبة، تعيش مزروعاتها على ماء السماء اذ ليس فيها عيون ولا جداول أو ينابيع، يخترقها واديان كبيران هما: وادي البير ووادي الندى، ومن غريب ما يذكر ان وادي الندى هذا، دائم الندى، حتى لترى حبيبات الندى تتوج هامات أعشابه، حتى في أيام السموم وأهم مزروعاتها: الحبوب بأنواعها والخضروات الصيفية والشتوية، والدخان ـ الهيشي ـ وبعض أشجار الفاكهة..

ستخفق اعلام لنا وبيارق[1]..

هناك بوادي الندى.. رأيت النور.. ثم درجت.. وترعرعت... وفجأة: عصفت بي رياح النكبة... فلجأت.. فاذا بي احرم من رؤية مغانيه.. واحرم من رؤية حبيبات الندى... التي كانت دوماً تتوج هامات حشائشه وأعشابه حتى في أيام السموم... افلا أقل من أن اهديه هذه القصيدة المتواضعة!!

اوادي الندى! هل جادك الغيث والندى!! وقد أقفرت منا الربى والمرابع!
أم المزن.. من حزن.. تبخر في السما.. فأضحى جهاماً.. مزقته الزوابع
وسالت حبيبات الندى.. حيث اطفئت كما بؤبؤ.. قد أطفأته.. المعامع
وغارت ينابيع.. فجفت جنائن.. وصوّح زهر.. ثم ماتت مراتع
وهاجر شحرور.. وناحت حمائم.. وصاح غراب البين.. والبين واقع
كأن نسيم الفجر مارف طيفه.. بتلك الربى.. او غازلته المزارع
كأن لم يكن فيها انيس وسامر.. فما هي الا فدفد.. او بلاقع
«بلا نحن كنا أهلها.. فأزالنا صروف الليالي» والردى.. والمطامع
ثبتنا بها.. لم نرض غير ترابها لنا وطناً.. قد قدّسته الشرائع
ثبتنا بهاتيك الربى.. دون غيرها «كما ثبتت في الراحتين الأصابع»
لئن عصفت هوج الرياح فهذه قضاء لعمري.. لم يكن عنه دافع
وما ضرنا ان قد تفرق شملنا.. فلا بد يوماً تحتوينا المهاجع
وما ذنبنا لما تولى زمامنا على الرغم منا: طائر اللب.. خانع
فأسلمنا كرهاً.. لشر هزيمة.. تغنت بها في الخافقين.. المطابع
فياقومنا.. قد جاءنا اليوم دورنا وما الدور الا للذي لا يصانع
وياقومنا.. لا تمنعونا حقوقنا فان تفعلوا فالله راءٍ.. وسامع
وتبت يدا.. من يطرح الشوك تحتنا.. وشلت يمين تعتدي.. وتخادع
أناشد فيكم كل حر.. ومخلص فكونوا لنا.. انا دهتنا القوارع
لقد طمعت فيكم جميعاً.. عصابة فان لم تهبوا! فالردى.. والفواجع

● ● ● ●

اوادي الندى! مهما تمزق شملنا فما غيرنا للخرق.. والله.. راقع
اوادي الندى! ما لي عزاء على النوى سوى انني فيما قضى الله طائع
ولكنني قد ثُرت والله ناصري وقومي ورائي للعدو.. تقارع

---

(١) من ديواني: آلام وآمال. نشرت في جريدة الدستور الأردنية

واني على العهد الذي هو بيننا سأرجع يوما.. او ترد الودائع
هناك يكون العيد للشرق كله ويرجع للأقصى.. وللنقب راجع
وتخفق أعلام لنا وبيارق فتهمي سرورا باللقاء المدامع

الطيور

اهم هذه الطيور هي:

الدويري - الدوري - القبرة - ويلفظونها قمبرة، الحمري، اللامي، القعّاقة، الحنيني، الشحوم - بتشديد الشين والحاء، الفُسيسي، ام عليان، ابو رقيع، السنونو - سراق حنه امه، طوير الليل - الخفاش - وهذه كلها من نوع العصافير، واما الطيور الكبيرة فهي: البومة، الحودة - الحدأة - الصقر، الغراب، السقيري القطا، الدرج، الهدهد - ويسمونه قبار امه وابيه - الحمام ومنه الوحشي وهو أسود اللون عدا بطنه وجناحيه فلونها ابيض وابو مغيزل، والرخم، والدجاج وغيرها..

الحيوانات البرية

واهمها: الضبع، الذئب، او الوحش، الغزال، الأرنب، الثعلب ويسمونه الحصيني او ابا تحصن، الواوي - ابن آوى -

الأعشاب

كانوا يعرفون كثيراً من الأعشاب، التي تنبت في الثرى المكروب او الأرض البور، او في جنبات الأودية او مع غيرها من المزروعات مثل القمح والشعير والعدس والذرة البيضاء والخضروات، ومن هذه الأعشاب، ما يؤكل نيئاً ومنها ما يؤكل مطبوخاً كما انّ منها ما يؤكل مطبوخاً ونيئاً، فاما تلك التي تؤكل نيئة فهي: الجلبانة، كريشة الجدي، الجيلسون، الحبلق، البخيرة او البخرة، والشومر والسعيسعة، الكعوب ويؤكل مطبوخاً ونيئاً، السكران - بتشديد السين وفتحها وفتح الكاف - ويسمى السفرجل ايضاً وله ثمر مستدير وهو ذو رائحة قوية نفاذة تدل على مكان وجوده، ويشبه في شكله ثمر الأسكي دنيا تقريباً ولونه اصفر فاقع اذا نضج، والبريد - بتشديد الراء - وهو ذو قرون تشبه قرون البازيلا، والبلبوز وثمره يشبه ثمر البطاطا وتؤكل حباته مشوية، واليانبوت، وجزر البعبلي - بتشديد اللام الثانية - ويسميه الريفيون: جزر ابي علي، والفقع وهو نوع من الكمأة ويؤكل نيئاً ومطبوخاً، والدريهمة والبشع - بفتح الباء والشين وغيرها..

واما التي تؤكل مطبوخة فهي : الخبيزة ـ الخبازى ـ واللوف والرقيطة ويسميها الريفيون ـ السميعة ـ ولسان الثور ويحشون اوراقه العريضة بالارز او بالسمادة، كما يفعلون بورق الملفوف والسمادة هذه عبارة عن حبوب من الحنطة تجرش على الرحى خصيصاً لهذه الغاية أو لغايات انواع اخرى من الطبخ ، والحميضة وتوضع على طبيخ العدس، فتعطيه نكهة خاصة وطعماً لذيذاً كما توضع على السلطة ايضا، والحمصيص ـ بتشديد الصاد الأولى ـ والكريت وهو يشبه الثوم في شكله ورائحته وطعمه، والرجيلة ـ الرجلة ـ وغيرها وغيرها.

الألعاب

الالعاب التي كانوا يمارسونها في أوقات فراغهم كثيرة ومتنوعة، وهي للجماعات والزمر كما انها للأفراد أيضاً، وقد كان للكبار العابهم، كما كان للصغار العابهم أيضاً، وكانت الألعاب التي تمارس في فصول الشتاء غير تلك التي تمارس في فصول السنة المختلفة الأخرى.

١ ـ اللعب على الخيل والتدرب على أعمال الفروسية.

٢ ـ الكورة ـ الكرة ـ وكانوا يتخذون لهم اكراً من شعر الأغنام أو الأبقار أو من أوبار الابل، يبلونه بالماء ويضغطونه حتى يصبح كرات قوية، ويستعملون لها مضارب من العصي، يوردونها بها الى حفرة اعدت خصيصاً لذلك. . . حيث يسوقها احدهم ـ بالقرعة ـ بينما يحيط به الباقون من كل جانب، وكلهم يتحفز لدفع الكرة بعصاه، محاذراً ان تصيبه عصا اللاعب الذي يقود الكرة الى الحفرة، ليحولوا بينه وبين ادخال الكرة الى الحفرة، ويظل هذا يدفع الكرة امامه الى الحفرة، وهؤلاء يدفعونها بعيداً، الى ان يصيب احدهم بعصاه، فيتولى امرها وتصبح الكرة كما يقولون «امه» أو يوردها الأول الحفرة وهكذا دواليك.

٣ ـ لعبة المقدي ـ بكسر الميم وتسكين القاف ـ وهي لعبة شتوية، وتكون بين لاعبين، يمسك كل واحد منهما بعصا يدنو طولها من المتر ويضرب احدهما عصاه في الارض الموحلة بقوة، فتثبت منتصبة، ويأتي الاخر، فيضرب عصاه بكل قوته الى جانب عصا نده، فاذا اقتلعها من الأرض، يعاود الأول فيضرب عصاه بجانب عصا رفيقه مرة اخرى، وتتكرر هذه اللعبة مرارا وتكراراً.

٤ ـ الشارات أو القناطر، وتنصب هذه الشارات وهي من الحجارة ـ حجران او ثلاثة او حجر واحد وفوقه حصاة صغيرة ـ ترصف فوق بعضها على صفين متقابلين، وبين الصفين مسافة تقل عن المائة متر، ويبدأ كل فريق بالضرب على شارات نده، بحيث يتراوح الضرب بين الفريقين، الى ان يستطيع احدهم هدم قناطر الفريق

الاخر، وتلعب هذه اللعبة من قبل اثنين أو أكثر.

٥ ـ لعبة الصينية: وهذه اللعبة غالباً ما كانوا يمارسونها بعد صلاة العشاء وهي كما يدل عليها اسمها تتكون من صينية القهوة السادة وفناجينها وخاتم فضي او حديدي، وتمارس باخفاء الخاتم تحت احد الفناجين الموضوعة على الصينية ويأخذ احد الفريقين بالتفتيش عن الخاتم، بتحريك الفناجين واحدا واحدا، وبحذر شديد حتى لا يرن الخاتم، بفعل تحريك الفناجين فتبطل اللعبة ويلعب التخمين دوره في اكتشاف الخاتم الذي يختفي تحت الفنجان.

٦ ـ وهناك العاب اخرى كثيرة مثل: الغميطة، برفع الغين وتشديد الميم ـ وهي الغماية، وهناك ايضا، عظيم راح وربما تكون عظيم ـ بالتصغير ـ مراح، ولعبة الحاب او الحابة والطاب ووز عراق ووين انتو ـ انتم ـ يا ربعي والسيجة وغيرها الكثير.

الأمثال

يتفق الكثيرون، على ان الامثال هي المرآة الصادقة للحياة الاجتماعية والعقلية والدينية واللغوية للأمم.. فهي غالباً ما تتحدث بصدق عن اخلاق الامم وعاداتها وتقاليدها وتفكيرها... وربما كانت أقوى دلالة من الشعر، لأنها تمثل جميع الطبقات، بينما الشعر لا يمثل سوى فئة ممتازة... ولأنها تنبع من القلب كما يقال!

ومعلوم ان للأمثال مقدمات وأسباباً مشهورة بين الناس، ومعروفة لديهم، قال صاحب العقد: والامثال هي وشي الكلام، وجوهر اللفظ، وحلي المعاني، وهي أبقى من الشعر واشرف من الخطابة، لم يسر شيىء كسيرها، ولم يعم عمومها، حتى قالوا: أسير من مثل.

قال الشاعر:

ما أنت الا مثل سائر   يعرفه الجاهل والخابر

وقال المبرد: المثل المأخوذ من المثال وهو قول سائر، شبه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه، وقولهم مثل بين يديه اذا انتصب، معناه الصورة المنتصبة، وفلان امثل من فلان اي اشبه.

وقال ابراهيم النظام: يجتمع في المثل اربع لا تجتمع في غيره من الكلام، ايجاز اللفظ، واصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة.

وقد ضرب الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز كثيرا من الامثلة، فقال عز من قائل:

(ضرب مثل فاستمعوا له) وقال تعالى (ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء) وقال (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) الى غير ذلك من آي الذكر الحكيم.

وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمثال فقال (ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبي الصراط، أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى رأس الصراط، داع يقول: ادخلوا الصراط ولا تعرجوا. فالصراط الاسلام، والستور: حدود الله، والأبواب: محارم الله. والداعي: القرآن).

ويقول الميداني: يُروى ان امير المؤمنين علياً كرم الله وجهه قال (انما مثلي ومثل عثمان، كمثل أثوار ثلاثة كن في اجمة: ابيض وأسود واحمر، ومعهن فيها أسد، فكان لا يقدر منهن على شيء، لاجتماعهن عليه. فقال للثور الأسود والأحمر: لا يدل علينا في اجمتنا الا الثور الأبيض، فان لونه مشهور، ولوني على لونكما، فلو تركتماني آكله، صفيت لنا الأجمة، فقالا دونك كله، فأكله فقال للأحمر: لوني على لونك، فدعني اكل الأسود، لتصفو لنا الأجمة، فقال دونك فكله، فأكله، فقال للأحمر: اني آكلك لا محالة... فقال: دعني انادي ثلاثاً: فقال: افعل، فنادى: الا إني هنت، ويُروى - وهنت - يوم قتل عثمان، يرفع بها صوته وهو مثل يضربه الرجل: يرزأ بأخيه)

وهذا المثل وارد أيضاً في كتاب كليلة ودمنة، الذي ترجمه عبد الله بن المقفع الى اللغة العربية، ولا شك ان علياً كرم الله وجهه، اسبق من ابن المقفع في التاريخ، والله اعلم بالصواب.

ومما لا شك فيه ولا ريب، ان للغة المحكية - العامية - امثالها هي الأخرى، وان لهذه الامثال مقدماتها، كما لها أسبابها بين الناس، ولا عجب ان يكون لهذه العشيرة امثالها، لكن الذي يدعو للعجب، هو ان غالب هذه الامثال، متداول بين كثير من فئات الشعب الفلسطيني وقطاعاته، فأنت ربما تسمع بالمثل الواحد يتكرر في كثير من التجمعات السكانية المختلفة، نتيجة للاختلاط والاحتكاك والاندماج الذي كثيرا ما يحدث لسبب او لاخر، بحيث لا تستطيع معرفة اول من استخدمه منهم، او وظفه في فئته التي ينتمي اليها، ومهما يكن من امر، فليست هذه الاسباب بكافية لان تمنع تدوين ما احاطت به الذاكرة، او وعته الاذان الواعية، وذلك لكي لا يندثر، فلا يبقى له اثر.

وهذه مجموعة من الامثال، التي احسب ان افراد هذه العشيرة، كانوا يتداولونها، وقد رأيت من المفيد، تصنيف كلماتها وفق حروفها الاولى، ما امكنني ذلك، كما رأيت أيضا ترك كثير منها دونما توضيح، اعتماداً على نباهة القارىء وذكائه:

١ - اهل العقول في راحة. اي استراح من لا عقل له.

٢ ـ اردبّ موهو لك لا تحضر كيله
تتغبّر فيه دقنك، وتتعب في شيله، وهذا شبيه بمعنى الحديث الشريف: من حسن اسلام المرء، تركه مالا يعنيه، كما هو شبيه بقولهم: من دخل فيما لا يعنيه لقي ما لا يرضيه.
٣ ـ كل ادهية في ام اعبية.
٤ ـ البين له ناس عارفهم امدقٍّر في معارفهم.
٥ ـ بنت الفارة حفارة بمعنى فرخ البط عوام
٦ ـ لا تحيي البيض وتقتل الصيصان
٧ ـ لا تدخل بين البصلة او قشرتها، او يا داخل بين البصلة وقشرتها ما نايبك غير صنتها.
٨ ـ ما ابتفرح امرية وراها ابنية
٩ ـ ما ابتعرف ظهره من قفاه
١٠ ـ ثوب العيره ما ابيدفّي يضرب فيمن يتكل على غيره ولا يعتمد على نفسه
١١ ـ وجارك بخير، انت بخير،
١٢ ـ جابوا الخيل يحذوها، مدّ الفار رجله!
١٣ ـ لو ان الحدية ـ الحدأة ـ ابتاخذ ما اعطت، او الاخذ حلو والعطاء مر.
١٤ ـ حاميها حراميها.
١٥ ـ الحق بالدرهم، والكرم بالقنطار
١٦ ـ من دنى نفسه للردى لا يلومها، قال الفيلسوف الفرنسي كانت: «اذا جعلت من نفسك دودة تزحف على الأرض، فلا تلم من يدوسها بقدميه»
١٧ ـ الدنيا قمرا وعتمة. او يوم لك ويوم عليك
١٨ ـ رافق السبع ولو اياكلك.
١٩ ـ راعي البيت ادرى باللي فيه، شبيه بقولهم: وصاحب البيت ادرى بالذي فيه.
٢٠ ـ ربيت كلب وعقرني، يحرم علي تربات الكلاب. شبيه بقول الشاعر:
اعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني.
٢١ ـ رزية في المال ولا في العيال. وهو شبيه بقول القائل:
لعمرك ما الرزية فقد مالٍ ولا فرس يموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حرٍّ يموت لموته خلق كثير
٢٢ ـ سايل الله ما يخيب.
٢٣ ـ الشمس ما ابتتغطى بالغربال.
٢٤ ـ من شاف مصيبة غيره هانت عليه مصيبته.

٢٥ ـ كل شاة معلقة من عرقوبها اي (لا تزر وازرة وزر اخرى)
٢٦ ـ صح لها جوز قالت عنه اعور. يضرب لمن يعطي الشيء يستقله مع حاجته اليه.
٢٧ ـ الصبر مفتاحَ الفرج.
٢٨ ـ الضرب في الميت حرام.
٢٩ ـ ما بعد الضيق غير الفرج.
٣٠ ـ الطبخة ان كثروا طباخينها بتشيط. وهو كقولهم: لكثرة الملاحين غرقت السفينة.
٣١ ـ يا طبيب طب نفسك، او الحاوي ما ابيحوى نفسه. ومعناه شبيهٌ بقول احدهم: «طبيب يداوي الناس وهو عليل».
٣٢ ـ ان طلعت دقن ولدك زين دقنك.
٣٣ ـ العصفور الحذري بيطيح في اضيق الزردات. وهو كقولهم في الفصيح: من مأمنه يؤتى الحذر.
٣٤ ـ طول عمرك يا زبيبة فيك هالعود. اي من شب على شيء شاب عليه.
٣٥ ـ لو العيّل ـ الطفل ـ بيظل في عافيته. لظلت الدنيا بنعيمها. يضرب في تغيير الأحوال والأزمنة.
٣٦ ـ طولة الروح ابتطلع الروح اي ان للصبر حدوداً.
٣٧ ـ اللي فيه طبع ما بيخليه. شبيه بالقول: الطبع غلب التطبع.
٣٨ ـ اطعم الفم، ابتستحي العين.
٣٩ ـ ان ظل العود اللحم بيجود يضرب في الفأل والأمل.
٤٠ ـ عفّر يا ثور، على قرونك. شبيه بالمثل المشهور: على نفسها تجني براقش.
٤١ ـ عفش الرجال تمر.
٤٢ ـ العيب من أهل العيب مو عيب.
٤٣ ـ كل عرمة ولها كيال، وكل حرمة ولها خيال.
٤٤ ـ العتمة ما بتجي على قد ايد الحرامي. او كيل القرايا ما بيجي على كيل السرايا.
٤٥ ـ عين الحسود فيها عود.
٤٦ ـ عليك بالدرب لو دارت، او بنت العم لو بارت.
٤٧ ـ الفرس من الفارس.
٤٨ ـ اللقمة ما بتجي على قد الفم. مثل قول الشاعر:
ما كل ما يتمنى المرء يدركه   تجري الرياح بمالا تشتهي السفن
٤٩ ـ القرعة ابتتحالى بشعر بنت اختها.
٥٠ ـ الكلب ما بيعض اذن اخوه ـ اخيه ـ او الكلب ما بيعض ذيله، وهو يضرب لمن يتعصب لصاحبه دون وجه حق.

٥١ ـ كلب الشيخ شيخ.

٥٢ ـ ان كبر ولدك خاويه.

٥٣ ـ كل منخل جديد وله علاقة. كأنك تقول: لكل جديد فرحة.

٥٤ ـ لا للسيف ولا للضيف ولا لعتمات الليالي. يضرب لمن يتصف بالجبن والبخل في آن.

٥٥ ـ الميت ما بيشيل الميت. يضرب لمن يتصف بالعجز وقلة الحيلة.

٥٦ ـ مثل يهود خيبر يضرب لمن يتصف بالغش والخداع وخلف الوعد.

٥٧ ـ مرتك من حظك واولادك من حظك وجارك من حظك.

٥٨ ـ المكتوب ابينقرا من عنوانه.

٥٩ ـ النار ولا العار.

٦٠ ـ نية الصياد في مخلاته.

٦١ ـ ما نزلة غير اقبالها طلعة.

٦٢ ـ وردة من زردة.

٦٣ ـ بيسوي من الحبة قبة.

٦٤ ـ يوم النيا ما في حيا.

٦٥ ـ كل واحد بينقي شوكه بيديه. وهو شبيه بقول الشاعر: ما حك جلدك مثل ظفرك، فتولَّ أنت جميع امرك.

٦٦ ـ اللي بينزل من السما تتلقاه الأرض. يضرب في التحدي، وهو شبيه بقولهم: ان كنت ريحاً فقد لا قيت اعصاراً.

٦٧ ـ ابيمرق من خدم الدرع.

٦٨ ـ اللي ابيتسقّى حلاهن ابيتسقّى مرارهن.

٦٩ ـ ما بيقومها من مرقدها. ويضرب للعاجز الكسول قليل الحيلة.

٧٠ ـ ما بيروح حق وراه مطالب.

الحكايا الشعبية

لم أرَ فرقاً بين الحكايا الشعبية لهذه العشيرة، وبينها في العشائر الأخرى المجاورة او القرى القريبة، وكل ما فيها من اختلاف هو في الأسلوب والألفاظ أما الأفكار فهي واحدة تقريباً. ويقولون «الحكاية أم سبع وجوه» ولذلك يختلط الأمر، فلا تستطيع ان تميز حكايات هذه العشيرة والعشائر الأخرى بعضها من بعض، واعتقد ان معظم الحكايات تشترك فيها عشائر وقرى وربما مدن فلسطين من أقصاها الى أقصاها، فمن في هذه العشائر او القرى أو المدن الفلسطينية لم يسمع بقصص الغولة او قصة الشاطر حسن والشاطر محمد ونص نصيص وغيرها!!

وحتى لا أفوت على القارىء فرصة الاستمتاع بالحكايا الشعبية فإنني أختار له هذه القصص القصيرة الواقعية، والتي هي أقرب للطرف منها الى القصص :-

١ - يذكرون ان كوكبة من خيالتهم، مروا على قرية من قرى منطقة يافا، وكانت هذه القرية منهمكة في زفاف عروس لأحدهم، فأخذ هؤلاء يلعبون على الخيل مشاركة لأهل البلدة أفراحهم، فاعترضهم شاب من شباب البلدة وتوسل اليهم ان يساعدوه في حقه في العروس ذلك انها له وعقد عليها شاب آخر بقوة نفوذه في البلدة، فطلبوا العريس ووجهوا اليه عدة اسئلة، تبين منها ان هذا العريس مغتصب فعلاً، فأمروه بتطليقها وتركها لعريسها الأول فأبى واستكبر، فأطلقوا عليه النار فخر صريعاً، فقادوا العروس الى أهلها، ليصار بعد ذلك الى عقد الزواج عليها لعريسها الأول ثم انصرفوا.

وتدل هذه القصة على ما كان لهذه العشيرة من سطوة وسيطرة ونفوذ في مناطق واسعة آنذاك في المنطقة.. التي كانوا يعيشون في دائرتها..

٢ - في عرس واحد من رجالات بعض العشائر، أوعز شيخ هذه العشيرة - وكان حاضراً ومعه عدد من رجاله - أوعز للبداع - الشاعر الشعبي - في الدحية بأن يقول شيئا في رجلين اخوين كانا يحضران العرس، بقصد جلب السرور والانشراح للحضور، فشرط البدّاع حمايتهم له فقبلوا، فقال :

بأقدرْ ما أجيب لكو جحيوهْ   واربطْ في ذيـلِهْ طنّـيـنـه

وما كاد يكمل هذا البيت حتى هجما عليه بسيفيهما، فاعترض الوحيدي طريقهما وحماه منهما، ومعنى البيت واضح للقارىء ولا يحتاج الى شرح، انما ينبغي القول ان : جحيوه وطنينة، لقبان لرجلين اخوين، ويعتبر هذا البيت من أقذع انواع الهجاء وأفحشه كما لا يخفى..

٣ - في إحدى الليالي الشاتية، والمطر ينزل غزيراً كأفواه القرب، والريح صرصر عاتية، انخلعت عدة أوتاد لبيت أحد ابناء هذه العشيرة من العبيد - وكلنا عبيد - فوقع البيت على ساكنيه، فانسل هذا الرجل من تحته وخرج عارياً، فدق الأوتاد من جديد، ورفع الأعمدة، وأقام البيت، وعاد الى داخله، ولبس ثوبه الذي لم يكن يملك سواه، ولما سئل عن سبب خروجه عارياً قال : لو خرجت لابساً ثوبي لابتل ولثقل علي، ثم انه لن يجف الا بعد ان يقتلني من البرد، أما بهذه الطريقة فان ثوبي الجاف، سوف يدفئني دون أدنى ريب.



الشيخ طالب
احد صالحي العشيرة

الطرق الصوفية والدراويش

مرّ بنا ان هذه العشيرة تمتاز بالتقوى والصلاح، وقد برز فيها قديماً شيخان صالحان، يضرب المثل بصلاحهما وتقواهما، وهؤلاء هما : الشيخ خالد بن نبهان المتوفي قبيل بدء الحرب الكونية الأولى. . والشيخ احمد بن حسين المتوفي عام ١٩٦٢ للميلاد. وحباً في الايجاز، نذكر كرامة واحدة لكل :

١ - بينما كان الشيخ خالد رحمه الله جالساً ينتظر دوره ليطحن عدلاً من الحنطة في طاحون لرجل من قرية الفالوجة، اذ برجل يسبقه على الحوض، ويأخذ الدور منه عنوة، وبغير وجه حق، علما بأن الشيخ بعيد الدار، والشمس كانت قد مالت للغروب، فغضب الشيخ غضبا لا مزيد عليه، وهدد بإيقاف دوران حجر الطاحون وأنذر وتوعد، فلم يلتفت أحد إلى تهديده ووعيده، فاقترب من الطاحون ووضع يده عليه، وقال : بسم الله فإذا به يتوقف عن العمل بقدرة قادر. . وهنا عرف القوم قدر الشيخ ومكانته، وأخذوا يسترضونه، فلم يرض الا بعد أن افرغوا

الحوض ووضعوا حنطته فيه، وهنا بدأ البابور بالحركة بمشيئة الله..

وهذه القصة، يخيل الى القارىء بأنها مبالغ فيها، ولكن أولياء الله، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.. ثم انها مؤكدة بتواترها..

٢ ـ وأما الشيخ أحمد رحمه الله، فمن جملة ما كان يروى عنه، انه كان يخطط على الأرض رسماً لهيكل شبيه جداً بالقبر، قبل حادثة الوفاة ـ اية وفاة ـ فإذا كان المتوفى كبيراً، كان القبر الذي رسمه على الأرض كبيراً هو الآخر واذا كان المتوفى صغيراً، كان القبر صغيراً كذلك، فيعرف الناس ان هناك شخصاً لا بد وأن يموت قريباً!

وقد عمر هذا الشيخ طويلا، ومات بعد ان سلخ من العمر مائة وخمسة وعشرين عاماً تقريباً... برزت له فيها أسنان اللبن قبل وفاته بمدة.. ودفن في منطقة الفارعة من أعمال نابلس.

ممارسات شعبية

- الأعراس -

في طلب يد الفتاة.. تتبع الطرق المتبعة في معظم قرى وقبائل ومدن فلسطين في إرسال الخاطب «جاهته» إلى ولي أمر الفتاة التي وقع عليها الاختيار.. وتسود الأولوية، فتكون الفتاة للأقرب فالأقرب.. خوفا من المنازعات والخصومات وفي هذه العشيرة، لا يرى الزوج امرأته قبل الزواج، الا في عهود الطفولة المبكرة.. لأن الفتاة اذا بلغت سن الرشد، تحتجب عن الشباب، ولو كانوا أبناء عمومتها أو خئولتها.. أما المهر، فهو قليل بالنسبة الى ما هو عليه عند الآخرين، سواء في المدن أو في الريف أو عند القبائل.. ومن طريف ما يروى في هذا الموضوع، ان أحدهم خطب ابنة عمه، وأمهرها شاة واحدة، كما طلب عمه.. ولكن، ما هي الا أيام حتى طرق بابه ضيوف.. وكان في ذلك الوقت فقيراً معسراً، لا يملك شروى نقير.. فكيف يقري ضيوفه والحالة هذه!! لا سيما وهو يسمع بالحديث الشريف الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه..» أو كما قال.. ثم انه من قوم يعدون الكرم صفة ملازمة لهم على الدوام، توار ثوها كابراً عن كابر.. فما كان منه، الا أن ذهب الى عمه، وطلب منه شاته التي أمهرها لخطيبته، فأقرضها عمه له.. فأطعم ضيوفه وحمد الله ربه، ان فرج كربه، فأزاح غمه، وأزال همه.

وأما الكسوة، فهي ايضا متواضعة جدا، ولا نرى أبناء الريف مغالين أو مبالغين في قولهم عنها «ثوب وعباه وبرقع ووقاه» وليست هناك توابع للمهر ولا شروط اضافية..

كهدم العم والخال وشاة الشباب وثوب الأم.. وما الى ذلك من شروط مسببة للإفلاس ومضرمة لنار الخصومة والبغضاء.

وتغسل العروس قبل الزفاف بقليل.. والزفاف خاص بالعروس دون العريس، الذي يكون في هذه الفترة بين ثلة من الأصدقاء، يشرحون له غوامض الأمور، التي ستعترض طريقه في ليلته المقبلة... وكيفية مواجهته لها... وتحمل العروس على هودج محلّى ومزين.. أو مشياً على الأقدام، بين حشد من صديقاتها.. يطوقنها بأيديهن، ويحطن بها، وكأنما هي ملكة النحل تحيط بها صاحباتها من كل جانب، وما ذلك، الا لكي لا تنفذ اليها عين متلصصة او عين حاسدة شانئة. ويحيط بالموكب جماعات الخيالة، يتصايحون ويتسابقون بشكل منظم، الى أن يوصلوا العروس الى عش الزوجية.. ويسمونه: البرزة.. - بكسر الباء وتسكين الراء - وهو بيت ينصب قدام بيت والد العريس. ويستمر الاحتفال غناء من قبل النساء حتى صلاة العشاء، وطراداً على الخيل من قبل الشباب، حتى مغيب الشمس.. وبعد صلاة العشاء بقليل، يودع الشباب العريس.. ويدخلونه البرزة، ويعودون، ادراجهم.. وبعضهم قبل أن يعود، يضرب العريس على ظهره بقبضة يده، او يدفعه دفعاً الى البرزة، او يضربه بخيزرانته، ضرباً غير مبرح طبعاً، يُقصدُ منه، الإبقاء على اتزان حالته النفسية.. وحتى لا تأخذ منه الفرحة مأخذاً يدفعه الى الفشل في الزواج في ليلته الأولى، فيشمت به الشامتون، وينغص عيش والديه وذويه.. وفي الصباح، يخرج وينضم الى أفراد العشيرة، في استقبال المهنئين والمدعوين.. وتذبح الذبائح، ويقدم الغداء الى الجميع، في شق العشيرة، حيث ينال هذا الطعام - القرى - كل بيت من بيوتات العشيرة.. ولا يغرب عن البال، ان العرس، يسبقه ليال لا تقل عن الثلاث، الا في الحالات القليلة، حيث يدوم أسابيع. وتقضى ساعات هذه الليالي الجميلة التي تدوم حتى الفجر، على حد قول البداع:

خذ لكْ كلامْ من ضميري لـطلوعَ النجمـهْ البـدريـهْ

تقضى بالغناء من قبل النساء، وبالريدا - «الدحية او الدحة» من قبل الرجال واليوم التالي، يوم القرى، تذبح الذبائح التي يعدها العريس وأهله خصيصاً لهذا اليوم، كما أسلفنا، والتي يقدم بعضها من قبل المدعوين، سواء من أبناء العشيرة أو من العشائر الأخرى او الأصدقاء من أهل الريف.. ولا يبقى من هذه الذبائح شيء اللهم الا اذا كانت كثيرة للغاية، بحيث تزيد عن الحاجة، فتدفعه بذلك، الى الإسراف والتبذير، الأمر الذي لا يشاطره فيه ذو حجى وتقى...

فن القول الشعبي

وكما ان للشعر الفصيح، أغراضه المتعددة، كالمديح والفخر والذم والغزل والوطنيات والمراثي وغيرها، وكما ان له اوزاناً وصوراً واخيلة ومعاني جميلة وأفكارا بارزة، فكذلك الغناء الشعبي، فهو ايضا متعدد المرامي والأغراض، وغالباً ما يعتمد على الوزن والقافية، والصورة الجميلة المبتكرة، والخيال المجنّح.. ويمكن القول، ان الفرق المميز بينهما، هو ان الشعر يكتب بلغة فصيحة، وأما الغناء الشعبي فيكتب باللغة المحكية..

وأهم هذه الأغراض هي: أغاني الأعراس، أغاني البئر، أغاني الاستسقاء أغاني الأعياد، النعي، الحداء للإبل، التحطيب وغيرها..

أغاني الأعراس:

ذكرنا ان الأعراس، كانت تدوم ثلاث ليال، كما انها تدوم لمدة أكثر، وتقضي هذه الليالي، بقول الريدا او الدحية، وهذه كما هو معروف عبارة عن صف واحد منظم، من الشباب، يبدأون بقولهم: دحييه دحييه دحييه، ويصاحب هذه الحركة، تصفيق حاد صاخب، أشبه ما يكون اليوم بالتسخين او التحمية، الذي يبدأه معلم التربية الرياضية لطلابه قبل بدء حصته.. ويستمرون في عملهم هذا، الى أن يخرج من بينهم شاعرهم ويسمونه «البداع» - بفتح الباء وتشديد الدال - فيبدأ «بالقول» وكلما قال بيتاً من الشعر، قالت المجموعة: رويحاني قول الريدا او رايحين انقول الريدا، واحياناً يتبارز في القول اثنان - بداعان - يقف كل واحد منهما في طرف من صف الدحية، ويتناوبان القول.. وكثيراً ما كانا يتخاصمان شعراً، ويتفوهان بكلمات قاسية، لكن بحدود الأدب، ومثال على ذلك، قول احدهم:

يا ولدْ قلّلْ من هرجكْ   لاكفُرْ عراسكْ زبديهْ

فيرد عليه نده: نافياً عن نفسه تهمة الإساءة الى صاحبه:

من يومنْ ربي نشاني   ما قلت الكلمهْ الرديهْ

وشبيه بهذا المعنى يقول آخر:

اللي بيجينا متعدي   لازم انشقلب احذيّه

وكلمة «احذيه» - بتضعيف الياء - تعني أحذية أي جمع حذاء، ومعناه واضح.

وتحضرني القصة التالية: استطراداً لما ذكرت من خصومات البداعين. .وقد جرت حوادث هذه القصة في عشيرة غير هذه العشيرة، قال أحدهم يرد على زميل له يدعى: «مسلم أبو زيادة».

يـا مـسـلم أبـو زيـادة	خـلي لهـرجـك تـقـاديـر
لانـفـخ عـلـيـك نـفـخـة	اقـطعك وادي الـسـوافـير

وهذا الشاعر المجيد، ما زاد على أن جعل من خصمه، ريشة ينفخ عليها، فيجعلها تجتاز وادي السوافير، الذي يبعد عن عشيرته فراسخ وأميال.

وفي بداية الريدا، تخرج اليهم فتاة محتشمة تماماً، بحيث لا يظهر من جسمها شيء حتى عيناها، تغطيها، بملاءة وتكون ممتشقة حساماً بتاراً، يلمع تحت ضوء القمر المنبعث من السماء، الزرقاء الصافية الأديم ـ اذ كانت الأعراس تقام في الصيف على الغالب ـ وتسمى «الحاشي» وكانوا كثيراً ما يضيقون عليها الخناق، رغم سيفها الصقيل، الذي يتثنى بيدها، ذات اليمين وذات الشمال، فيضرب في الأرض تارة، وتارة يضرب في الهواء، وتحاول كبح جماحهم، ولكنهم يهجمون ولا يحجمون، لا سيما وهم يعلمون علم اليقين، ان السيف بيمنى فتاة، وكثيراً ما كانوا يهزمونها، فتولي مدبرة ولم تعقب. . وفي هذا الموقف يقول البداع :

الحـاشي قـفّـى وانهزمْ	مـا جـتـه مـنـا رديـهْ

وفي التفاتة رائعة الى ربة البيت ـ ام العريس ـ يقول :

داخـل عـاراعـيـة البيـت	تـطـلع لي وحـدة نشميـهْ

وبعد هذا القول، سرعان ما يخرج «حاشي» آخر والسيف يلمع في يدها، وفي هذه المرة تحاول الثبات والصمود، ولو أدى الى جرح بعض الأكف:

وأول ما يبدأ البداع قوله، يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، اذ انهم ما كانوا يغفلون عن الذكر، حتى في مواطن التسلية واللهو وساعات الفرح والسرور، واسمع ما يقول البداع في هذا الباب:

أول مـا نـصـلي ونـسـلمْ	عـا محمد خـير الـبـريـهْ
مـسـعـدْ مـن قـبّـلْ قـبلهْ	أو شـرب من زمـزمْ ميـهْ
أفـرد عـبـاتـك أو صـلي	عـالـقـبـلةْ الـمـحـمـديـهْ
ومحـمـد لمـنّـهْ خـلـقْ	خمس كلمـاتْ طلعنْ منّهْ
أولهـن الـصـومْ والـصـلاةْ	والـفـرضْ قـدّام الـسـنـهْ

وفي قوله : مسعد من قبل قبله. . الخ كناية عن تأدية مناسك الحج، فهو يبشر من ـ قبل قبله ـ بالسعادة الغامرة، لأنه سوف يحج ويشرب من ماء زمزم فكلمة قبل قبله : تعني بلا أدنى شك، ذلك الذاهب جهة القبلة، والقبلة عندهم مكة، بلا خلاف، خاصة وان استقبال القبلة كما هو معروف، شرط من شروط صحة الصلاة، وفي البيتين: ومحمد لمنه خلق. . الخ اشارة لطيفة والتفاته طريفة، الى الأركان الخمسة

التي بني عليها الإسلام، واذا كان لم يرتب هذه الأركان ترتيباً يتسق وترتيب كلمات الحديث الشريف «بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان». متفق عليه.

فهو قد أحسن في ترتيب الفرض والسنة كما لا يخفى عليك..

وبعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، يبدأ في مدح صاحب العرس، ومن قولهم في هذا المجال:

بيت المفرّحْ فازهْ(1) والّلي مجاورتهْ عوديهْ

ثم يحيي الحاضرين فيقول:

الله ايمسيكوا بالخيرْ يا ضيوفٍ مع محليّهْ

ولأن الكلام ذو شجون وشئون ـ كما يقولون ـ نرى البداع يضرب في كل اتجاه، ففي الفخر يقول:

مِنْتِ خابره يا ابنيهْ والكونهْ(2) في البرجليهْ
نرمي حمر الطرابيش بالجوهرهْ(3) المغربيهْ

وفي المعركة يقول:

احنا يومنْ مشينا من راس الرجمْ طلينا
موهو اسم الله علينا لن جينا بعدْ مفزاع
أم اصبعْ ما هي سريعهْ والعمرَ الاقشرْ نبيعهْ
عند أمهاتَ الحيرانِ تسمعْ للبزر ملازمْ
من مملياتِ المحازم والكل عْنِ غميرَهْ عازمْ

يقول البداع بلسان قومه، اننا في دخولنا المعارك، لا نحتاج الى مفزاع أو مفزع، أي الى من يحثنا على دخولها، بل ندخلها قبل نداء المفزع.. وهو المنادي للمعركة، والا «موهو اسم الله علينا» ان احتجنا الى ذلك، وهو دليل السرعة والمبادأة.

وشبيه هذا القول بقول طرفة بن العبد:

اذا القوم قالوا من فتى خلت انني عنيت فلم أكسل ولم أتبلّد

---

(1) البيت الفازة: هو الذي يقام على عامودين، أما العودية، فهو القائم على عامود واحد، وهناك البيت المروبع وهو القائم على أربعة أعمدة وهكذا.

(2) الكونة: المعركة

(3) البرجلية: خربة لقرية عراق المنشية، وتسمى خربة الوحيدي ـ أنظر كتاب بلادنا فلسطين للدباغ ـ وكانت ميداناً لمعركة قديمة حدثت بين الوحيدات وأهل عراق المنشية.

والجوهرة المغربية: البندقية.

وأمهات الحيران، الإبل، والبزر وممليات المحازم كناية عن البنادق والذخائر وحرف ما في قوله: ام اصبع ما هي سريعة: زائدة. والكل عن عميره عازم: أي مصمم على التضحية بنفسه وما يملك.

في الشهامة والمروءة:
يقول شاعرهم في هذا الباب:

عيبْ على الرجلْ يشردْ	وسلاحَهْ سيفْ وشبريهْ
وعيبْ على الرجلْ يشردْ	ما عاش مْخلّي خويّهْ
والرجلْ ما بينْ رجالِهْ	يضربْ بالعينَ القويّهْ
والرجلْ من دونِ رجالِهْ	ما آبيسوى ولا صلديّهْ
والرجلْ ما آيخلّي هواتِهْ	لوِ آنْ يمينِهْ مرميهْ

معنى هذه المقطوعة واضح على ما اعتقد.

استدراك

وحيث فاتني توضيح كلمة «بداع» في موضعها، فإنني لا أرى في توضيحها هنا غضاضة فأقول:

حسب اعتقادي، ان البدع ـ قول البدّاع ـ ليس مأخوذاً من البدعة بمعناها الفقهي المعروف، التي عناها الحديث الشريف التالي: «ان اصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي، هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار» أو كما قال ليس هذا هو معنى البدع ـ وانما هو بدعة الدلالة اللغوية التي تعني التجديد.. ومعنى بدع القول وابتدعه، انشأه وابتدأه..

وهكذا البداع، فإنه في قوله، يبتدىء وينشىء على السليقة.. اللهم الا في بعض الأحوال، حيث يكون البداع، راوياً يقول مما يحفظ ومعيداً ومكرراً ما قيل قبله.. والله أعلم بالصواب.

مع الحاشي

إن أكثر ما يهيج شاعرية البدّاع، هو رؤيته للحاشي، عندما تخرج في خفة ورشاقة، وسيفها يتثنى بيمينها، كما يتثنى قدّها الميّاس، وقوامها الرشيق، وأول ما يقف البدّاع، يصلي ويسلم على الحبيب ﷺ، ويحيي المشتركين في الريدا وأهل العرس كما مر سابقاً، ثم يوجه نداء حاراً وتوسلاً عميقاً الى ربة البيت، لتخرج الحاشي الى الريدا، إن كانت لم تخرج حتى هذه الساعة إذ ربما تكون قد خرجت وهم «يدحون» أي يغنون الريدا قبل ان يوجه البداع نداءه هذا. . ومعلوم أن الحاشي تخرج للريدا، حتى اذا بدأ البداع «القول» اختفت بسرعة، أما مناشدة البداع لربة البيت في قوله :

داخـلْ عـاراعـيـةْ البـيـتْ   تـطلعْ لي وحـده نشميـه

فإنما هو على اعتبار ما كان أو ما سيكون. . لأن موضوع «الحاشي» في الريدا هو من الأهمية بمكان. . وسواء كانت الحاشي تتثنى كعود الخيزران أمام الريدا أم كانت غائبة، فإنما هي موجودة في خاطر البداع ووجدانه واستمع إلى البداع وهو يتغنى بالحاشي :

يـا الـلي شعـركِ يـذريـكِ   عـنْ بـردَ الأربعـيـنـيـهْ
شـعـركِ يـا سلبْ جمـالْ   عـلى الشـواغِـرْ مـطويـهْ

فهو يذكر في هذين البيتين، أن شعر الحاشي لطوله، يحفظها من برد أيام الأربعينية كما يشبه شعرها بسلب جمال مطوي على رحل جمله، والسلب كما هو معروف، هو الحبل الناعم والمفتول باتقان. .

وللبداع في هذا المعنى أيضاً :

يا أم شعـورْ على العرعورْ   سلبْ جمـالْ عـرايشـيـهْ

وعرايشية، أي منسوب إلى العريش المعروفة، حيث يتقنون هناك صنع الحبال المختلفة الأطوال والأشكال. .

وجدير بالذكر، أن النساء كانت تحرص كل الحرص على شعرها، وتعتني به كل العناية، وكانت تتباهى بطوله، حتى أن شعر بعضهن يصل الى الأرض لطوله. وتحضرني قصة للشاعر أبي نواس، قالها في غانية تغتسل :

نضت عنها القميص لصب ماء   فـورد وجههـا فـرط الحيـاء

ومدت راحة كالماء منها إلى ماء معد في إناء
فلما ان قضت وطراً وهمت على عجل لتأخذ بالرداء
رأت شخص الرقيب على التداني فأسبلت الظلام على الضياء
فغاب الصبح منها تحت ليل وظل الماء يقطر فوق ماء

وبيت القصيد كما يقولون، هو البيت الرابع، فهو الذي يعنينا من هذه الأبيات. ففيه دلالة على أن هذه الفتاة، كان شعرها لغزارته وطوله، يصل الى الأرض، اذ أنها وقد فجأها «الرقيب» أسبلت شعرها الأسود الطويل على جسدها البض النحيل، وبذلك تكون قد سترت نفسها به، ريثما ترتدي ثيابها..

وفي معنى آخر يقول البداع:

والله لعدّي ظَعنكِ بالّلي حشوتها وقية
والله لعدّي ظعنكِ بالطّلَقْ مو بالحنيّة
والله لحمّل جملك من قمح البريراوية

والطلق والحنية كناية عن السيف، والحنية هو السيف الذي يميل في شكله نحو التقوّس قليلاً، وهو ليس كالطلق ـ المستقيم ـ وفي هذه الأبيات، يقسم بأن يعدي ظعن «العروس» وربما ظعن محبوبته، بالتي تزن حشوتها قدر الأوقية، أي البندقية، أو بالسيف كما يقسم بأنه سيحمل جملها من قمح أهل قرية برير وهي قرية مشهورة من قرى غزة.. بانتاج الحنطة..

وفي معنى آخر، يصف فيه الحاشي، ويشبهه بالغزال الذي «يجهم» الماء أي يغشاه، فيقول:

اعنيقكَ يا عنيقَ الغزالِ آنْ دنّقْ يجهمَ الميّةْ

فإذا ما هربت الحاشي، وانكفأت إلى البيت يقول شامتاً:

الحاشي قفّى وانهزمْ ماجتهْ منا رديّهْ

وربما يقول مدنفاً:

أخذتِ عقلي واقفيتِ ما تبريْ لي منْ خطيّهْ

وأما في السخرية من الحاشي فيقول:

يا قدرةَ الله القديرْ حاشينا الليلهْ قصير

وفي مقطوعة مقفاة، يقول في الحاشي:

يا مريري والعقدهْ يا مريري يا مريرْ
يا مريري والعقدهْ قوقي يا ديك العصافير
بآحُطَّكْ يا حاشي باشا وانت يا امغني وزير
بلادي صارت خرابات يومِنْ طبّنها البوابير
أوّلهنْ في خشْمْ زنّهْ وآخرهنْ في العوجا حفير
يا حاشينا ابني لك قصرْ عالي عاروس النخابير

وفي هذه الأبيات الموزونة المقفاة، أكثر من معنى لطيف، وقبل كل شيء، المرير عندهم يعني العقال وهو في اللغة ما اشتد فتله، حيث كان بعضهم يصنع العقال من الصوف المرعز أو الوبر في بعض الأحيان، بعد أن يفتله بمهارة واتقان، ويجعل له عقدة يتحكم بها بحجمه.. ليناسب حجم رأسه..

والبدّاع في مقطوعته هذه، وهو يخاطب مريره، يعرض بالحاشي، ويسخر منها، فينعم عليها بلقب باشا، في حين ينعم على المغني ـ من النساء ـ برتبة وزير.. ولا ينسى أن يسوق معاني أخرى، شأنه شأن شاعر الفصحى.. فينعى على بلاده.. بأنها أصبحت «خرابات» بعد أن شقت سهولها وهضابها بوابير ـ قطارات، البر التركية، وكأنما هو يتنبأ لبلاده بالخراب واليباب! من وجود هذه البوابير التي لطولها، أولها في خشم زنة ـ اسم موضع ـ وآخرها في العوجا حفير ـ جنوب بئر السبع ـ ثم يعاود الإلتفات مرة أخرى إلى الحاشي، فيقول متهكماً: ابن لك قصراً عالياً على رؤوس النخابير ـ موضع في اراضي قبيلة الجبارات ـ حتى لا تطالك يد، او يرقى اليك أحد.

وتنتهي هذه السخرية، وهذا التهكم، بهجاء مقذع يقول فيه البداع:

ابوكْ من كدشِ الرملهْ وأمّكْ من خيل البيطاني

وإذا كانت العلاقة قد ساءت إلى هذا الحد بين البداع والحاشي، فإن هذا ربما يكون راجعاً إلى أن الحاشي انهزم وفر ولم يرجع!

وقريب من هذا المعنى، قول أحدهم في الحاشي، عندما تبدو حركاتها ليست كما ينبغي أن تكون من وجهة نظر فنية:

البومهْ بتخلّفْ بومهْ والصقرْ بيخلفْ زيّهْ

وقد يندرج هذا البيت، تحت باب الحكم والأمثال أيضاً. وربما ينسحب هذا الإفتراض على البيت التالي:

ما أكذبْ من شبّ اتغرّبْ غيرْ شايبْ ماتت جيالـه

في التوجع والشكوى

يـا من يقُـلْ لهـيـلي ثـوبي غـدي سـرايـحْ
يـا من يـقـل لهـيـلي والـعـمـرْ كـلّه رايـخ
ثـوبي من فـوقَ الـركبـةْ او وجهي من لونِ ارداني

وكلمة سرايح، تعني ان ثوبها أصبح مزقاً، لا يكاد يستر جسدها الهزيل، نظراً لما تعانيه من فقر وعوز وفاقة، وفي اللغة: السريحة: كل قطعة من خرقة ممزقة، جمع سريح وسرائح.. وهي هنا تتساءل بمرارة وحسرة دونما انتظار لجواب.. تتساءل عمن يبلغ أهلها بأن ثوبها قد أصبح سرائح.. وأن عمرها صائر الى البلى.. كما هو ثوبها الممزق، الذي أصبح يكاد يعلو ركبتها.. وهذا منتهى المبالغة والمغالاة، في الشكوى والألم.. وأن لون وجهها أصبح كلون اردانها، وإن دل هذا الوصف الحزين، لثوبها ووجهها على شيء، فإنما يدل على حال سيء، ويأس يكاد يكون قاتلاً، فالثوب القصير، إلى هذه الدرجة، دليل الفقر المدقع، والمعيشة الضنكة، وتغير الوجه، الى هذا الحد، يدل على تغير الحال، وانشغال البال.. وهذا منتهى التوجع ونهاية الحزن.

وهذا النوع من الغناء، يحتاج في ادائه الى مدٍّ طويل، كما أن له لحناً خاصاً به.

وفي البيتين التاليين، شكوى مرة، وألم ممض، وهما يختلفان عما سبق، باللحن والايقاع:

عيني يـا الـلي بـكيتِ وبكـاكِ وشْ فـايـدْ منّهْ
ابكــاك لا ردّ الغــايـبْ ولا الـلي زار المـجـنّـه

أجل!

كفكف دموعك، ليس ينفعك البكاء ولا العويل
فهكذا قال شاعر فلسطين الكبير: ابراهيم عبدالفتاح طوقان.

فلا فائدة من البكاء، فالبكاء لا يرجع غائباً، ولا يخرج من في القبور، وفي هذا إشارة خفيفة، ودعوة لطيفة، الى التحلي بالصبر عند نزول المصائب، وانصباب النوازل.. فإن الصبر نصف الإيمان وصدق الله اذ يقول: **(وآصبر وما صبرك الا بالله، ولا تحزن عليهم، ولا تك في ضيق مما يمكرون)**

الحداء للإبل

كان البعض، ينقلون على جمالهم، الحبوب او التبن أو القصل، ويذهبون به إلى القرى المجاورة، أو المدن، لبيعه، وشراء ما يلزم بالثمن المقبوض.

ولما كانت الإبل تطرب كثيراً للحداء، فإن الجمّال ـ بتشديد الميم ـ كان يقطع المسافات الطويلة، هو وجمله، بالغناء الرقيق.. ومن غنائهم في هذا المجال، حيث كانوا يرددونه بشكل جماعي، ويمدون أصواتهم، ليعذب اللحن ويستقيم الوزن:

يا مـزنْ يا رعــودِ   هلهــلْ عـلى عربنــا

فهم في هذا البيت، يخاطبون المزن ـ المطر ـ وقد رأوه من بعد، كما يخاطبون الرعود، وقد أصمّ صوتها آذانهم، بأن تهل على عربهم! فتسقي مزروعاتهم ودوابهم!

ومن حدائهم أيضاً:

ارفـع شبند الخضــرا   عـن الوحـل والطينـهْ

والشبند، غطاء يوضع على صدر الفرس، لدفع الذباب والحشرات عنها، وزينة لها..

وتحضرني هذه القصة المضحكة المبكية: حسب قول شاعر العربية:

وكم ذا بمصر من المضحكات! ولكنه ضحك كالبكا

تقول القصة:

حدثنا أحدهم قال: كان أحد رفاقنا راكباً جمله، في حين كنا نغني معاً، لتطرب الجمال، فتسرع في سيرها.. ولكي نطرد السأم والملل عن أنفسنا، ونخفف مما نعانيه من آلام السير على الأقدام ـ والجمال محملة ـ وإذا بصاحبنا، تأخذه سنة من النوم، فيسقط على الأرض، فهرعنا اليه سراعاً، فأسعفناه، وحملناه ثانية على جمله، وتابعنا سيرنا الى الجهة المطلوبة..

وتذكرني هذه القصة الواقعية بالقصة التالية: التي كنت قد قرأتها في زمن سابق.

يزعم العرب، ان أول من غنى للإبل، وحدا لها، هو مضر بن نزار، حين اخذته سنة من نوم، فسقط عن جمله، فانكسرت يده، فحملوه وهو يقول: وايداه! وايداه! وكان من أحسن الناس صوتاً، فأصغت الإبل اليه، وجدّت في السير.

في التحطيب

التحطيب ـ كما هو معروف ـ هو جمع الحطب للأغراض المنزلية، كالطبخ والطهي والتدفئة، وكانت النساء تغني أثناء جمعهن للأحطاب، ومن غنائهن:

ولـدْ يـا أبـو بـارودهْ	غـصن النخـلْ متْـدَلِّي
لمـن تشـوفَـكْ عـيني	كـل الهمـوم آتـولّي

وفي هذين البيتين تشبه المغنية فتاها بغصن نخل يتدلى فيلامس الأرض، او يكاد، لطوله الفارع، وتذكر بأن رؤيتها له، يزيل عنها الهموم ويسعدها، وتمد الكلمات الأخيرة ـ في الصدر وفي الروي ـ أثناء الغناء، وتمطّ مطاً مناسباً..

ويغني الرجال إذا ما رأوا الحاطبات مصادفة، فيقول أحدهم:

لَمَّـنْ شفـت البنـاتْ	النَّقـعْ حطبـنْ مِنّـهْ
يـومِنْ شـالَنْ حطبهنْ	سخيف القلبْ بكّنّـهْ

فقد تأثر جداً عند رؤيته لهن وهن يحتطبن من النقع، وهو عندهم، ما انبسط من الأرض، لدرجة أن «سخيف القلب» أي رقيقه، لو رآهن وهن على هذه الحالة، لبكى تأثراً عليهن أو منهن..

وهذا آخر يقول أيضا:

اتفجّـرنْ يـا عيـوني	واغـدنْ شـوارع ميّـهْ
واتهشّمَـنْ يـا ضلوعي	واغـدنْ حطبْ نشميّـة

فهو في قوله هذا، يريد لعينيه أن تتفجرا، لتسيلا شوارع ماء لمحبوبته، وان تتهشم اضلاعه، لتصبح حطباً لها.. لشدة ما يعاني من وجد، وما يقاسي من صبابة! وهذه ولا شك، تضحية مغالى بها، وفدائية مبالغ فيها، كما لا يخفى.

في الغزل

أبيات الغزل عندهم، رقيقة عذبة، وذات معان عميقة، وغنية بالجمال الفني، والذوق الرفيع..

يقول احدهم مخاطباً فتاته:

انـا وايـاك يـا خـالَـهْ والمـولى كـاتـبْ شقـانـا
وردنـا على البـير الغـربي دلّينـا ما طـالْ آرشـانـا

ويقول الاخر:

يـا بـنـت قـولي لابـوكِ الـزرع املجلج خـضـارَهْ
يـا بـنـت قـولي لابـوكِ خـلّيـهِ آيغـذّي امـهـارَهْ

وفي هذين البيتين والبيتين السابقين، تأخذك روعة المعاني، وحلاوة الأسلوب وطلاوته..

وفي لحظة سرور، يسمع البداع بها الزغاريد، يقول فيها:

يـومن سمعت الـزغـاريت لـني عـلى القبلة حـييتْ
لـني مكـسـور اليـمـنى لجيكـو اتعكز عـاهـذيـك

فالزغاريد، تفعل فعلها في نفس البداع، لدرجة انه يقسم لو سمعها وكان على القبلة، أي يحتضر، لنهض من فوره اليها صحيحاً معافى، ولو سمعها وكانت قدمه اليمنى مكسورة، للبى نداء الزغاريد «متعكزاً» على قدمه الأخرى...

وكثيراً ما كان البداع يشطح في قوله، فيعرج على معاني بعيدة عن موضوعه، فمثلاً يقول في الغنم: وهو ربما لا يعنيها:

خـابْـر لـلغـنـمْ مـرتـعْ عـنـجـدْ آوشـلّالـة مـيّـهْ
من شـرق سدودْ، عنجدْ موجـودْ، يـا آلاصفـرْ الـديـدحَـانـهْ

والعنجد نبات قصير ذو قرون، تأكله الغنم بشهية.. والأصفر الديدحانة عندهم، كل ما له ألوان براقة جذابة، وهو هنا مرتع خصب، تبدو فيه الأزاهير من كل لون ونوع، وكأنما هو بساط سندسي جميل.

وهناك انواع اخرى من الشعر الشعبي، تشبه الى حد، الشعر القصصي ومنه الحوار الجميل التالي:

هي: ولـد يـا مقبّـلْ قبلهْ ابـتـلـتـفـتْ عـلامـكْ؟
ان كـان هـواك الـظِيفـهْ ارعـى العـرب قـدامـكْ
هـو: والله ما بيّ الـظيفهْ بـيـيّ خـضـارْ وشـامـكْ

ولا بد من مدّ الصوت اثناء الغناء في مثل هذا الشعر. . وهذا النوع من الغناء، يلعب الخيال المحض فيه دوره، فالشاعر هنا، تصور له نفسه، انه يرد على فتاته، ويجيبها على تساؤلاتها. .

وهذا حوار آخر

العجوز: خذْ لكْ عجوزٍ مقطعْ   او فكّكْ من طردْ ابنيّةْ
الصبية: ايشْ جابْ ركوبْ العودهْ   لـركـوبْ المهـرةْ الصبيّـهْ؟

ومعنى هذا الحوار الجميل واضح، ويتلخص في وقوع روح التنافس الشريف، بين امرأة نصف، وبين صبية، وقعتا في حب فتى جميل.

وهذا حوار جميل، قد نستشف منه حباً عنيفاً عفيفاً:

هو: ياابنيّةْ حطّي ايدي بيدك   والـلي عـنّـةْ مـا عـنّـهْ
بس خايف من سيف ابوكِ   الارخـمْ من جنبـةْ آيسلّهْ
خايف من شلفا اخوكِ   الـطيرْ ما آيـوقّـع بـظلّهْ
هي: ابويا في العربْ غايبْ   والغـايبْ مـا يـدروا عنّـهْ
واخويا في العربْ وجعانْ   يـا ربِّ لـو تـرفـعْ عنّـهْ
الخبنـةْ مليانـةْ جنيهاتْ   ازنـاقـي دوبـةْ يـتـلّه

وما دامت «الخبنة» لديها، ملأى بالجنيهات، فالأمر اذن لا يتعلق بالمادة، وانما هو الحب الشريف العفيف فقط.

ولعل بين هذا الحوار الطريف وبين ابيات المقطوعة التالية، بعض التشابه، فكلاهما من الشعر التمثيلي على الأقل:

قـالت: ألا لا تلجنْ دارنا   إن أبـانـا رجـل غـائـرُ
قلت: فـإني طـالب غـرة   منـه، وسيفي صارم بـاتـر
قالت: فإن القصر من دوننا   قلت فـإني فـوقـه ظاهـر
قالت: فإن البحر من دوننا   قلت فـإني سـابـح مـاهـر
قـالت: فحولي اخوة سبعة   قلت فـإني غـالب قـاهـر
قـالت: فليث رابض بيننـا   قـلت فـإني أسـد عـاقـر
قـالت: فإن الله من فـوقنا   قـلت فـربي راحم غـافـر
قـالت: لقـد أعييتنـا حجـة   فأت اذا ما هجـع السامر
فاسقط علينا كسقوط الندى   لـيـلة لا نـاهٍ ولا زاجـر

وعندما يبلغ التنافس ذروته، بين المحبين، يعمدون في هذه الحالة، الى أساليب كثيرة، يصرفون بها القلوب عمن تحب، والكل يحاول الفوز بقلب حبيبته. . وهذا واحد

منهم يعمد الى أسلوب التشنيع بمزاحِهِ فيقول:

يا ابنيةْ لا تآخذي كوبانْ   يطلغْ عليك فضيحه
ايدبَّ صديرهْ ريايلْ   وايخلّي فراشهْ لهْ ريحه

وكوبان هو الرجل النذل، وصديره، تصغير كلمة صدر، وهي هنا للتحقير، وريايل، جمع ريالة، وهي اللعاب يسيل على الصدر بشكل لا ارادي...

في المبالغة والمغالاة..

وكما يقولون: اعذب الشعر اكذبه، فان البداع يقول:

خابرْ ابويْ يومْ آخذ امّي   بيدي طبخت الحِليّهْ

والحلية هنا تعني طعام العرس - القرى -

ويقول اخر

كل شعيرهْ من راسي   تحتها كليمهْ مطويّهْ

وهذا مغالاة في القول ومبالغة، حمله الاعجاب على ان يسلك طريقها.. لما يدعيه من غزارة المادة الكلامية التي يزعمها لنفسه.. ولعل هذا القول منحول او مقتبس من القول المأثور: «كل شعرة مطوية، تحتها نجاسة مخفية».

واما قمة المبالغة، فهي في قول أحدهم:

شفت البرغوثْ حاملْ نَبوت   آومتبعْ للدولهْ التركيَّهْ

والبداع في هذا البيت، ما زاد على ان جعل البرغوث، وهو من اضعف مخلوقات الله سبحانه، يطارد جيش تركيا... التي كانت ذات يوم، لا تغيب الشمس عن ممتلكاتها... وبسلاح هو النّبوت - العصا الطويلة الغليظة - ولكننا نخشى ان هذا البرغوث يطارد جيش تركيا، عندما انهزم هذا الجيش... فيكون بذلك تشفياً وانتقاماً او انحيازاً وتبعية.. وليس مبالغة ومغالاة.. وعلى كل حال، يبقى المعنى في بطن الشاعر، كما يقولون، وصدق الله العظيم (والشعراء يتبعهم الغاوون، الم تر انهم في كل واد يهيمون، وانهم يقولون ما لا يفعلون، الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم اللذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)

مع المناسف والضيفان..

يقول البداع:

الله ايحييكوا يا ضيوف   ويحييكوا يا احليه

المنسف بيشيلوه اثنين والسمن دفق القنية
اول طوف للضيوف آوثاني طوف محلية
اوثالث طوف للرعيان هيل البشوت الملوية
ياالمحلي غسل عاظيوفك بالصابون البلدية

وهذا في الحقيقة تقسيم بديع، وتنظيم رائع، فأول ما يتربع على المنسف هم الضيوف، ثم يأتي بعدهم «المحلية» وبعد ذلك، الرعاة، أهل البشوت الملوية، أي العباءات الملتفة على اكتافهم وظهورهم والبشت ـ بكسر الباء وتسكين الشين ـ في اللغة: كساء من صوف غليظ النسج لا كمين له.

وفي هذه الابيات يحيي البداع الضيوف اولا ثم المحلية ويعمد بعد ذلك الى وصف المنسف... وفي التفاتة لطيفة يشير الى ان «المحلي» يغسل على ضيوفه بالصابون البلدي الجيد، وليس بالمستورد الرديء..

مع القمر..

وللقمر عندهم مكانة لا تخفى... فاذا كان كمال الدين بن النبيه الشاعر المعروف، قد قال ذات يوم عن قمره:

أماناً أيُّها القمرُ المطلُّ ففي عينيك أسياف تسلّ

واذا كان هذا الشاعر قد عنى بقمره هذا حبيبته المقبلة عليه، او فتاة شبيهة بحبيبته.. فان شاعراً آخر، ولعله ابن الفارض قال في قمره:

يا ليل طل، يا شوق دم اني على الحالين صابر
يهنيك بدرك حاضر يا ليت بدري كان حاضر

كذلك فان البداع ـ شاعر العشيرة الشعبي ـ يقول من أبيات له:

طلعْ القمرْ والموازينْ غايبْ عيوقَ آلْثريا
يا قمرنا لا تغيبْ انعلّقْ فيكَ الكلاليب
يا قمرنا يا عالي يا اللي نجومك بتلالي

فالشاعر هنا، يرى باحساسه الرهيف، وعاطفته المشبوبة ان قمر السماء والموازين، بدت له مضيئة وضيئة في حين ان احدها وهو ما يطلبه وينشده غائب عن ناظريه والنجم الغائب هو «عيوق الثريا» والعيوق هو نجم احمر مضيء في طرف المجرة الايمن، وعلى اثره ثلاثة كواكب بينه، يقال لها «الاعلام» واعتقد ان معنى هذه الابيات واضح فلا يحتاج الى توضيح...

ولعل من الطرافة بمكان، ذكر هذين البيتين فربما وجد القارىء فيهما متعته!!

ايها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان!
هي شامية اذا ما استقلّت وسهيل اذا استقلّ يماني

في الرثا....

وفي النعي ـ الرثاء يختلف قول النساء مبنى ومعنى واداء عنه في قول الرجال. . .
وهذا بدّاعهم يقول معاتبا الدهر:

الله آيخونَ الليالي ترقى وتهدَّ العلالي
اخذتْ حسنْ وحْسينْ وهمّ آحماةَ التوالي

وحسن وحسين هما ولدا رباح جد هذه العشيرة الأول ويقول ايضا:

مرحوم آقبيرَ ابو حمامْ مرحومْ التِّربَ اللّي لَمّهْ
غرّبْ على النعشْ ممدودْ كلّ الاصايل يبرنّهْ
حتى بنات الجبارات حلّن شعرهنْ ينعنّهْ

وابو حمام الذي يرثيه البداع، هو سعود أحد مشاهير شيوخ العشيرة الاولين. .
دفن في عسقلان حيث مقام سيدنا الحسين رضي الله عنه ففي ذلك المقام، كانت هذه العشيرة تدفن موتاها لسنين عديدة خلت ائتناساً بجدهم الحسين. . وهذا ما جعل البداع يقول: «غرب» لان عسقلان واقعة في الجهة الغربية من مضارب هذه العشيرة.

في الهزل..

لما كان الاسلام ديناً واقعياً، لا يمت الى الخيال بصلة، ولا يتيه في اودية المثالية الواهمة، ولا يعامل البشر وكأنهم ملائكة، وانما يعاملهم بشرا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق فقد اكد بأن لهم غرائزهم التي خلقوا عليها، وطبائعهم التي قد لا يتخلون عنها، فلهم بذلك ان يفرحوا ويمرحوا، ويضحكوا ويلعبوا، فهكذا كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي حديث للصحابي الجليل حنظلة الأسدي قال:

لقيني ابو بكر وقال: كيف انت يا حنظلة؟
قلت نافق حنظلة
قال سبحان الله ما تقول؟
قلت: نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة حتى كانا

رأي عين، فاذا خرجنا من عند رسول الله صلى عليه وسلم، عافسنا - لاعبنا - الازواج والاولاد والضيعات فنسينا كثيراً.

قال ابو بكر: فوالله انا لنلقى مثل هذا!

قال حنظلة: فانطلقت انا وابو بكر، حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت نافق حنظلة يا رسول الله!

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما ذاك!

قلت يا رسول الله! نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين، فاذا خرجنا من عندك، عافسنا الازواج والاولاد والضيعات ونسينا كثيرا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده انكم لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وطرقاتكم، ولكن يا حنظلة، ساعة وساعة، وكرر هذه الكلمة - ساعة وساعة - ثلاث مرات - صحيح مسلم

وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه. ان القلوب تمل كما تمل الابدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة.

فاذا كان لا بأس على المسلم من ان يمزح ويمرح، ويسر ويفرح، بما يشرح صدره، وان يمتع نفسه ونفوس رفاقه، بلهو بريء مباح، وهزل مهذب ومزاح، شريطة ان لا ينشغل بكل هذا عن مجمل الواجبات.

فان البداع، هو الاخر، ينطلق من هذه التعاليم السمحة، فيحاول ما استطاع. ان يملأ الجو الذي يعيش فيه هذه الساعات، بالفرح والمرح، ولنستمع الى هذا الحوار، بين بداعين، يحاولان فيه جلب السرور، والارتياح، للحضور.

الاول: عيرك لن طب ذرتنا من عروة ذيله لاقطعهْ
الثاني: عيري يا عير طيبٌ عرق النجيل آبيقلعهْ
عيري آبياكلْ نجيلٌ أكلْ النجيل آبينفعهْ
وعيري يومنْ أينهّقْ اللّي في غزه آبيسمعه

ويقول احدهم:

شلظمْ بلظمْ بالتركي بآنْسجْ للقردْ بطاقيهْ

والاكتفاء بهذين المثلين الضاحكين، يقطع على القارىء اسباب السأم، ويحول بينه وبين الملل.. والا لكنا اوردنا من مثل هذا المزيد...

الختــام...

وفي نهاية الريدا كل ليلة، يختمون دحيتهم بلحن يدعى: الشروقي، او المشرقيّة.. وهذا اللون من الغناء، يختلف أداء ومعنى، عن بقية أنواع الغناء الذي سبق، ولا بد أن تكون له دلالة ما.. كأنْ يكون ناتجاً عما يسمى اليوم بالتبادل الثقافي - مع الفارق - ولعل الأصح، انه ناتج عن اللقاءات العابرة، التي كانت تتم بين العربان، ولا سيما بين قبائل الغرب - قبائل فلسطين - وبين قبائل الشرق - قبائل الأردن - لا سيما وانه كانت هناك صلات كثيرة مختلفة بين هذه القبائل وتلك، والأهم من ذلك، ان هذه العشيرة، كانت لها منازل متعددة وفي أمكنة مختلفة من الأردن.. كما ذكرنا..

على ان الأسباب الحقيقية لانتشار هذا اللون بين أفراد هذه العشيرة، تظل غير معروفة تماماً.. وستظل كذلك، الى أن يماط اللثام عن حقيقتها يوماً ما، على ايدي المختصين والدارسين.. والأبيات التالية هي نموذج من هذا اللون المسمى: الشروقي أو الشروقية او المشرقية:

يـا حمـامْ يـا جمـامْ ويـن حمـدهْ تـنـامْ!
تحـت ظـل الخيـامْ فـوق ريش الـنـعـام!
بـير زمـزم عـليـه حـارس مـا يـنـام
والـركـايـب عـليـه مـثـل رف الحـمـام

والركايب: جمع ركاب وهي كناية عن الإبل التي كان يركبها حجاج بيت الله.. وصدق الله العظيم اذ يقول «واذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق».

ويقولون كذلك في معنى مختلف عن سابقه:

يـا قـرنـفـلْ تـصـنّـتْ حـديـثَ الـبـنـاتْ
كـيـف حـال الـغـنـمْ بـعـدْ رعـي الـبـنـاتْ
مـثـلْ حـالَ ٱلـتـيِّـمْ عـنـد المـبـغـضـات

وفي هذه الأبيات كما لا يخفى، موسيقى ظاهرة، في الوزن والروي، وتمتاز بصدق الإحساس، وتآلف الالفاظ والصور.. فالبداع، يطلب من القرنفل وهو عقد نظيم نضيد من حبات قرنفل جافة، طيبة الرائحة تنقع بالماء لمدة معينة فتطرى فيدخل فيها سم الخياط.. فاذا هي عقد كأنه من اللؤلؤ او الجوهر.. تضعه المرأة في جيدها، فتتباهى به بين رفيقاتها، وصويحباتها.. يطلب البداع الى هذا العقد القرنفلي، ان يسترق السمع، فيشي، له بما تقوله البنات، في حديثهن، عمّا يختلج في صدورهن.. وعن حال اغنامهن، بعد رعيهن لها.. وهو اذ يعرض في قوله بالبنات، بأنهن لم يخلقن

لرعي الأغنام، يقرر بما لا يدع مجالا للشك، بأن حال هذه الأغنام التي ترعاها، البنات، هو حال اليتيم، الذي اوكلت رعايته الى المبغضات والشانئات.

أغاني البئر

خطاف

ذكرنا سابقاً ان بئر العشيرة، يسمى «فطاطة» وكانوا غالباً ما يوردون مواشيهم وجمالهم وخيلهم اليه في رونق الضحى، والى ما بعد الظهر بقليل، اذ ان فترة ما قبل الضحى، وما بعد الأصيل مخصصة للواردات من النساء.. وكانوا يستخرجون الماء نشلا بالدلاء، وكانت هذه من الجلد، كما كانت من الصفيح ايضا، واذا سقط الدلو في البئر، كأن انقطع الحبل به او سهى عنه الناشل، يستعملون في اخراجه، آلة حديدية يسمونها الخطاف - بضم الخاء وتضعيف الطاء - انظر الشكل - واذا استعصى عليهم استخراج الدلو بهذه الطريقة، ينزلون احد الفتيان الى قعر البئر، بربطه بحبل متين.. حتى اذا ما وصل الفتى قعر البئر، ووجد الدلو، ربطه في صلبه وجر الحبل، اشارة لانتهاء مهمته، فيسحبونه هو والدلو الى خارج البئر. ويعاودون نشلهم الى ان يسقوا دوابهم.. فيخلعون ملابس «النشل» ويغسلون وجوههم وأيديهم وأرجلهم، ويرتدون ملابسهم ويعودون الى أهلهم وذويهم، وفي هذا يقولون :

يـا عـبـدْ يـا قُـمْـبـيـزَرْ ارمِ الخـلـقْ وِتْـمَـيـزَرْ

وهذا القول يرددونه بعد الانتهاء من عملية النشل، وانظر الى كلمة «اتميزر» فهي مشتقة من كلمة مئزر. يقول الشاعر :

لـيس الجـمـال بمئـزر فـاعـلم وان رديت بـردا

أي ما دام «العبد» قد اسقى دوابه، فليلق خلقه - المخصص للنشل - ويعد الى ارتداء ملابسه العادية من جديد..

ونشل الماء كان غالبا ما يتم من قبل اثنين، كل ينشل الحبل مرة - نوبة او عقبة - الى أن يخرج الدلو فيصبونه في الحوض، وأثناء النشل وفي بدايته على الأخص، يرددون الواناً من الغناء، او يقولون : هب هب هب بالهاء وتسمعها احياناً بالحاء، اذ تختلط الأصوات، فيصعب التمييز.. ومن أمثلة هذه الأغاني قولهم :

صُـبٍّ لْهـا صُـبْ زيـتٍ مـغ رُبْ[1]

وفي هذا القول، دلالة واضحة، على انهم وهم يصبون الماء لحيواناتهم في

(١) الرُّب : ما يطبخ من التمر.

الأحواض المتناثرة حول البئر، انما يصبون لها الزيت والرب.. كناية عن انهم يقدمون لها الماء الزلال.. دليل حبهم لها، واهتمامهم بها .. واذا ارادوا ان يسخروا من احدهم، أو يستعملوا أسلوب التهكم يقولون:

جوزْ آم آرْكَبْ في البصهْ طَبْ

وانظر الى جمال الصنعة في هذا البيت.. أما «أم اركب» فكلمة «اركب» جمع ركبة، وهذا كناية عن المرأة الكسلى، التي لعظم ركبتها تعجز عن القيام او الحركة، والمعنى الاجمالي، هو ان هذه المرأة، تتصف بالكسل، وهم يشبهون زوجها بأنه هو الآخر كسول مثلها، ولكسله طب - وقع - في البصة، والبصة: الثرى المبتل بالماء، ونتيجة هذا الكسل، فان دوابه تظل حائمة على الأحواض الجافة، مدة طويلة قبل أن يستطيع ارواءها، وهذا الكسل لا يرضى به أحد ممن ينشلون الماء، لذلك تراهم يسقون دوابهم بهمة ودأب ملحوظين:

والناشلون يعرفون آبار المنطقة، ولذلك لا بدع أن يمر لهذه الآبار ذكر وأي ذكر في غنائهم، فيقولون:

يا طيِّبهْ يا طابهْ البيرْ جوه اصحابهْ

والصنعة في هذا البيت واضحة ايضا كما هي واضحة في غيره، واما كلمة «جوه» فهي تعني: أتوه، وهي مشتقة من الفعل جاء كما لا يخفى..

ويقولون ايضا:

يا واردات الويبهْ اسقنْ قعودْ ذهيبهْ
عرعرهْ يا آمّ الورودْ ما ذكرتِ لنا قعودْ؟

والويبة وعرعرة، اسمان لبئرين معروفين، فهم يستعيرون هذه الأسماء التاريخية، ويخلعونها على بئرهم، وكأنما هم في هذا يربطون الواقع المعاش بالبيئة المحلية.. كما يقولون:

الزَّعَقْ وخْويلفهْ البقيرْ مويلفهْ

والزعق وخويلفة، اسمان لبئرين معروفين، والبقير اي البقر كناية عن جملة الحيوانات، وكلمة «مويلفه» مشتقّة من الائتلاف والألفة، ويلاحظ كيف ان اللغة طيعة بأيديهم، وكأنما هي عجينة لينة، يصنعون منها ما يشاءون!

وفي معنى رائع يقولون:

الحوضْ آقرعْ مما تجرعْ

أي ان دوابهم، وهي تجرع الماء - تبلعه وتشربه - لا تكاد تترك في الحوض قطرة ماء، لشدة عطشها - وانظر الى جمال الأسلوب في قولهم: الحوض أقرع - فهم يواصلون

صب الماء في الأحواض، والدواب تواصل الشرب الى أن ترتوي، فتصدر عن الحوض..

قال العجاج :

تسمع للجرع اذا استحيرا   للماء في أجوافها خريرا

أغاني الاستسقاء..

كثيراً ما كان احتباس الأمطار يطول أمده على الناس، فيخشون نتائجه السيئة عليهم، كالقحط والجدب والأوبئة ونفوق المواشي، ولهذا كانت النساء تخرج ليلا، وهن يغنين اغاني حزينة، شعوراً منهن بفداحة الأمر، وعظم الخطب، فيما لو احتبس المطر طويلا، وفي غنائهن الحزين، توجه صادق نحو استمطار الغيث من السماء، وهذه بعض الأمثلة :

يا آمّ الغيثْ غيثينا   وبلّي قريعةْ راعينا
راعينا مرقْ عنّا   جابْ لنا طبقْ حنّه
ان مطرت اتحنّينا   ما مطرت بلا حنةْ

وفي غنائهن هذا، يضعن شروطاً لأنفسهن، بأن لا يتخضبن بالحناء، الا اذا نزل الغيث، وبلّ «قريعة راعينا».

وانظر الى البراعة، في ربط الراعي بالجو الذي تعيشه النساء ربطاً ينم عن ذكاء وفهم، في الأبيات السابقة، وفي حالة اليأس يقلن :

يا آمّ الغيثْ يا طقعةْ   كتّلتينا بالسقعةْ
يا آمّ الغيثْ غيثينا   ببريقعكِ غَطّينا

فهن في هذين البيتين، يصفن أم الغيث ـ المطر ـ بـ «طقعة» واعتقد ان معنى هذه الكلمة واضح للقارىء، وزيادة في الإيضاح، فان سنة المحل التي تقل فيها الأمطار، غالباً ما تكثر فيها الرعود، فيقول الناس : لا تسمع غير «طقع الرعود» ومن هنا جاءت كلمة طقعة.. وأما «ببريقعك غطينا» فهو التفاته رائعة، وحيلة بارعة في التوسل، وهو كناية عن طلب المطر الغزير! والله أعلم! فإذا ما نزل المطر، غنى الصغار :

امطري او زيدي   بيتنا حديدي
عمنا عطا اللهْ   او رزقنا على اللهْ

أما من هو عطاالله هذا! فلا ندري. اللهم الا اذا كان يعني عطاء الله المطر للناس.

ومما يجدر ذكره، ان العرب كانت اذا أبطأ المطر شدت العُشر والسلع ـ وهما

ضربان من النبت ـ في أذناب البقر، والهبوا فيه النار، وشردوا البقر تفاؤلاً بالبرق والمطر[1] وفي ذلك يقول شاعرهم :

أجاعل أنت بيقوراً مضرّمة ذريعة لك بين الله والمطر

وبيقورا : اسم جمع لبقرة

ولا يليق بنا أن ننهي هذا الموضوع، دون المرور على ذكره في عهود الاسلام المشرقة بل يحسن بنا ان نذكر بأن الاستسقاء سنة سنها للناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان الناس اذا أقحطوا واجدبوا وأمسكت السماء ماءها، هرعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستسقوا به، فما هو الا أن يرفع يديه داعياً، حتى ينزل المطر مدراراً. . وقد روى البخاري رضي الله عنه، عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: ربما ذكرت قول الشاعر، وأنا انظر الى وجه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي، فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

أغاني الأعياد

في أيام الأعياد ـ الفطر والأضحى المباركين ـ يبلغ السرور ذروته، حيث تخرج النساء معاً وتغني وتزغرد، والخيالة حولهن يلعبون على الخيل، ويقيمون السباقات قريبا منهن، وكثيراً ما كانت تحدث مشادات كلامية، بعد انتهاء السباقات، فالكل يحرص على أن يكون حصانه هو المجلي. . ولكن هذه المشادات ما كانت لتستقر او تمكث بينهم طويلا، بل تذهب مع غبار معارك السباق. .

وكان للنساء في هذه الأعياد، ألوان كثيرة من الغناء. . وفي انتهاء العيد، تغني النساء :

العيدْ قشقشْ بيرقَهْ والكلْ يلبسْ خيلَقَهْ

وقشقش بيرقه، بمعنى أزف الرحيل، فالبيرق هو العلم كما هو معروف، وخيلقه أي ثوبه القديم. .

---

(١) قصص العرب ج١

أغاني الثوار

وكما كان لكل مناسبة عندهم لون من الغناء، فكذلك كان لثورة عام ١٩٣٦ الشهيرة غناء ايضا. . ومن هذا الغناء، نذكر البيتين التاليين : وكانوا يرددونهما بشكل جماعي، وبمد طويل لالفاظهما :

بارودنا شنع الظَّريبْ
واللي يصيبهْ ما يطيبْ
خليه يموتْ، خليه يموتْ
خليه يزور المقبرهْ

وهم يعنون، ان بنادقهم شديدة الضرب، ماهرة به، ومن يصيبه ضربها، ما يطيب أي لا يعيش، وفي تكرار شطرة: خليه يموت، ما يفيد الشماتة والتشفي، وليس التأكيد فحسب، لمن يصيبه رصاصهم فلا رحمة ولا شفقة، فإنما هو عدو لدود، والموت هو أقل شيء يفعلونه تجاه هذا العدو اللدود، الذين هم الانجليز واليهود. . .



ويرى فيها والد المؤلف ـ متكئاً ـ وعلى يمينه عزت جبر وحبيب هديوة، واحمد اسماعيل، وفايز علي

كلمة ختامية

ليس بالضرورة، ان تكون جميع الأغاني السابقة، هي من نظم شباب العشيرة وشاباتها.. اذ ربما يكون بينها البيت او البيتان او ما هو أكثر من ذلك أو أقل. متداول بين العشائر المختلفة، بحيث يعجز الدارس تماما عن معرفة القائل الاول، لهذا البيت او ذاك، وذلك نتيجة للقاءات الكثيرة، التي كانت تحدث بين افراد العشائر والقبائل المختلفة التي كانت تتناثر على الساحة الفلسطينية عامة، ومناطق غزة وبئر السبع خاصة...

وفي ختام هذا الفصل، لا بد من الملاحظات التالية:

١ ـ اعتقد ان هذا التراث في جملته (العادات والحكايا والشعر والاهازيج والغناء والحداء وغيره) لن يلاقي القبول عند الجميع بل انه سوف يتأرجح بين القبول والرفض، وفي اعتقادي ان الرافضين له، مثلهم (كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا..) او: كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل.

٢ ـ يلاحظ ان هذه الاشعار الشعبية وهذه الاغاني، تعتمد البيت او البيتين في غالبها، ولا تتعدى المقطوعات، وان ذلك مرده النسيان وعدم التدوين..

٣ ـ لا تخلو هذه الأغاني من السطو ـ الأدبي ـ والانتحال، اذ ان منه ما هو مصنوع ومنسوب الى شعراء شعبيين ليس لهم.. كما ذكرنا..

٤ ـ جاءت هذه الاغاني على نظام الشعر العمودي الذي يلتزم وزناً واحداً وروياً واحداً، كما جاء بعضها على نظام المقطوعات التي تتعدد فيها القافية.

٥ ـ كثير من الشعراء الشعبيين يعمد الى اللغة التصويرية التي تتزاحم فيها التشبيهات والكنى والاستعارات، وكثير منهم يميل الى الصنعة ويتعلق بها، ولا شك ان عنصر الموسيقى متوفر فيها، حيث يحس بها السامع ويستجيب لها وهذه نابعة من صدق الاحساس، وتآلف الالفاظ والصور كما لا يخفى...

٦ ـ ان الهدف الرئيسي من وراء تدوين هذا التراث، هو الخوف عليه من النسيان، وصونه وحفظه للدارسين في قادم الازمان.. كما ذكرنا ذلك في المقدمة.

واذا كان البعض سيعتبره هذرا لا فائدة منه، ولانه على الاخص كلام عامي، فيقابل بالرفض من قبل هؤلاء فما انا ـ علم الله ـ بالذي يشجع العامية على حساب الفصحى بحال.. فمعاذ الله ان افعل، والفصحى هي لغة القران العظيم... ولكنه يظل تراثا اثبت وجوده في فترة زمنية معينة... في جزء غال من فلسطين السليبة..

المصادر


الكتاب	المؤلف
صبح الأعشى	القلقشندي
نهاية الأرب	النويري
بلادنا فلسطين	مصطفى مراد الدباغ
القبائل العربيةوسلائلها في بلادنا فلسطين	مصطفى مراد الدباغ
تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي	د. حسن ابراهيم
تاريخ بئر السبع وقبائلها	عارف العارف
الخطط	المقريزي
سبائك الذهب	ابو الفوز السويدي
درر الفرائد المنظمة في اخبار الحج الى مكة المكرمة	الجزيري
انساب العرب	سمير عبد الرزاق القطب
اسرائيل فتنة الاجيال	ابراهيم خليل احمد
جهاد شعب فلسطين	صالح مسعود ابو يصير
محنة فلسطين واسرارها السياسية والعسكرية	صالح صائب الجبوري
معجم البلدان	ياقوت الحموي
معجم قبائل العرب	عاتق بن غيث البلادي
الكامل	ابن الاثير
تاريخ الرسل والملوك	الطبري
تاريخ قضاة الأندلس	ابو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الاندلسي
تاريخ سيناء	نعوم شقير
اسماء الاماكن والمواقع والمعالم الطبيعية والبشرية والجغرافية المعروفة في فلسطين حتى العام ١٩٤٨م	قسطنطين خمار
Seven Pillars of Wisdom ت. ى. لورنس	T.X. Lawrence

المحتوى



المؤلف في سطور

١ - هو أبو الوليد جميل بن عياد بن محمد بن سعود بن حسين بن رباح بن أحمد بن سالم بن حسين بن بكر الوحيدي.
٢ - رأى النور في أراضي عشيرة الوحيدات عام ١٩٣٠ للميلاد.
٣ - تلقى علومه الابتدائية، في مدرسة الفالوجة - صاحبة الحصار الشهير -
٤ - تلقى بعض علومه الثانوية في مدرسة المجدل... وفي الكلية الابراهيمية بالقدس أتم هذه العلوم.
٥ - عمل مع حكومة الانتداب البريطاني في وظيفة Wireless Operator.
٦ - كان له شرف المشاركة في القتال.. في بعض معارك النقب عام ١٩٤٨ للميلاد، إلى أن سقط جريحاً في معركة بئر السبع، فوقع أسيراً في قبضة العصابات الصهيونية بتاريخ ٢١/١٠/١٩٤٨ للميلاد.
٧ - حصل على شهادة امتحان المعلمين الأدنى عام ١٩٥٧ للميلاد.
٨ - حصل على شهادة امتحان الدراسة الثانوية العامة عام ١٩٦٢ للميلاد.
٩ - حصل على شهادة الليسانس في التاريخ من جامعة بيروت العربية عام ١٩٦٧ للميلاد.
١٠ - عمل معلم مدرسة ثم مساعد مدير، ثم مديراً في مدارس وكالة الغوث الدولية منذ ١/٥/١٩٥٠م ولا يزال على رأس عمله.
١١ - من آثاره القلمية:
أ - آلام وآمال ديوان شعر مطبوع.
ب - منظومة الفتح المبين منظومة شعرية - مخطوط.
ج - من فيض الخاطر مقالات قصيرة مختلفة - مخطوط.



يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم
« صدق الله العظيم »
رباح
ابن احمد بن سالم
ابن حسين بن بكر
— الوحيدي —
عشيرة الوحيدات
أو بنو عطية
« الجبارات »
تم رسم هذه الشجرة بتاريخ
٢ ربيع الأول ١٤٠٦هـ / ١٥/ ١١/ ١٩٨٥م

يطلب هذا الكتاب من المؤلف

الأردن - البقعة - ص.ب ٤٧

ة: المؤسسة الصحفية الأردنية

السعر دينار ونصف